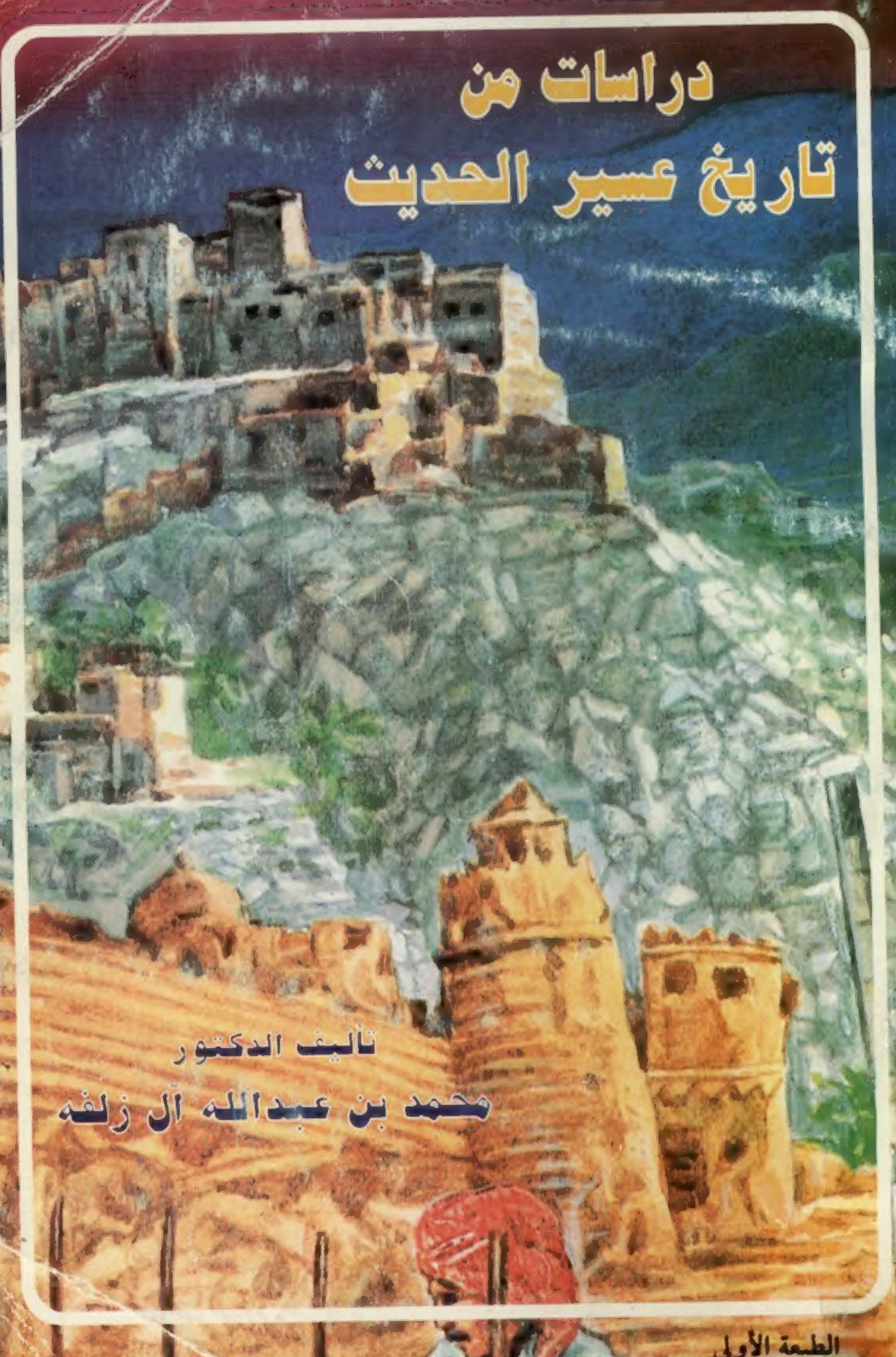
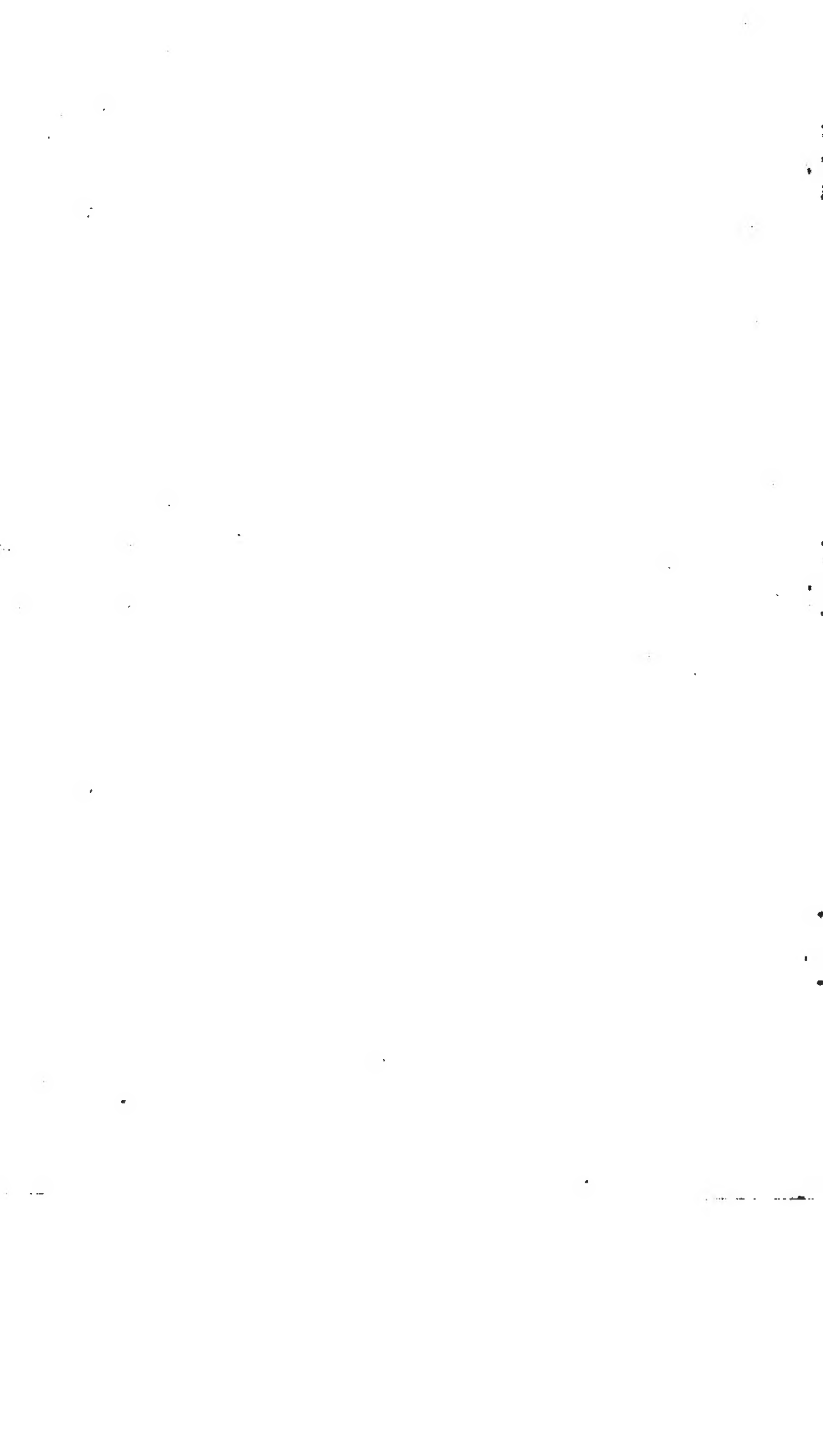
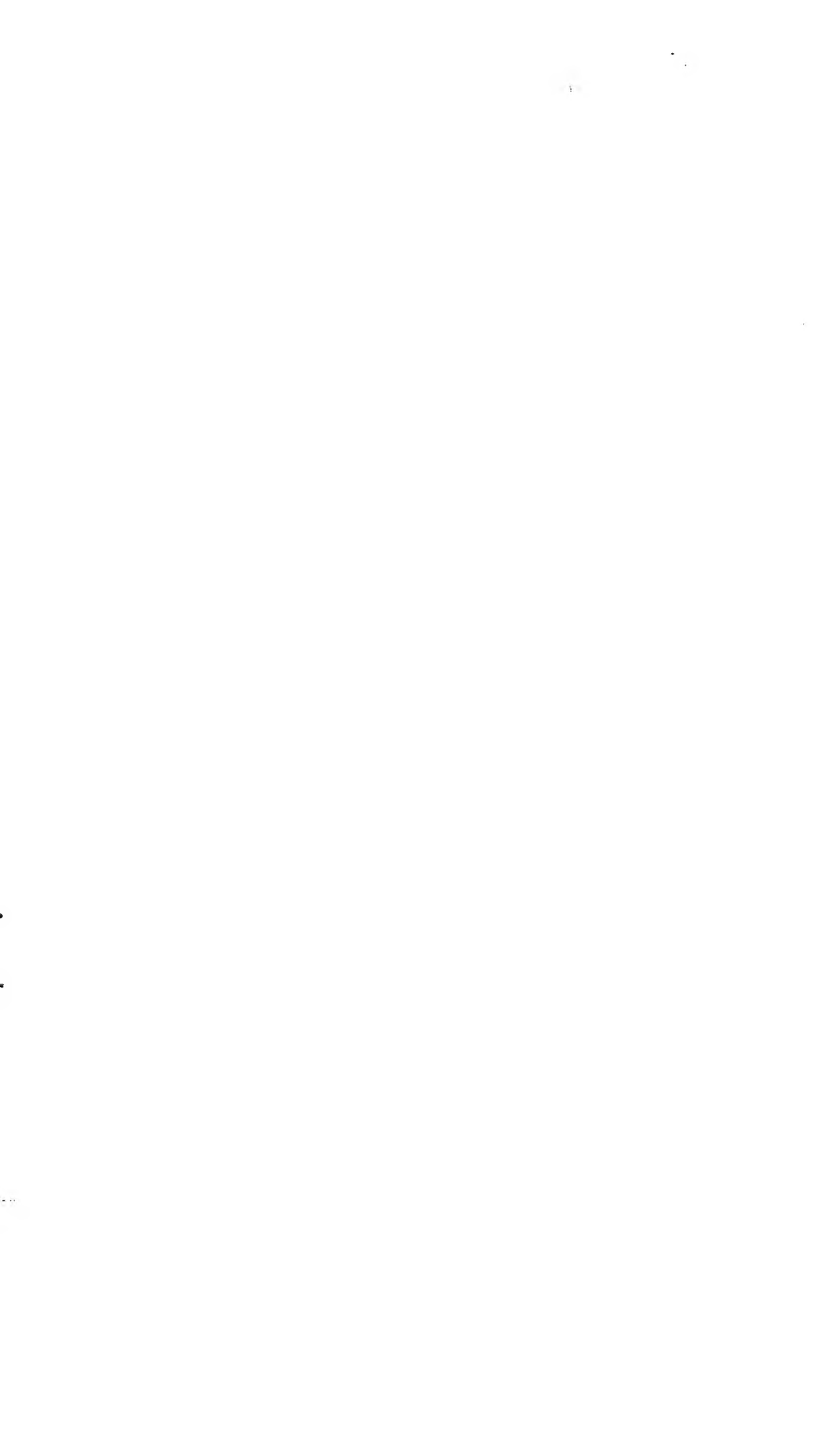
دراسات من تاريخ عسير الحديث



تأليف الدكتور
محمد بن عبدالله آل زلفه

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ





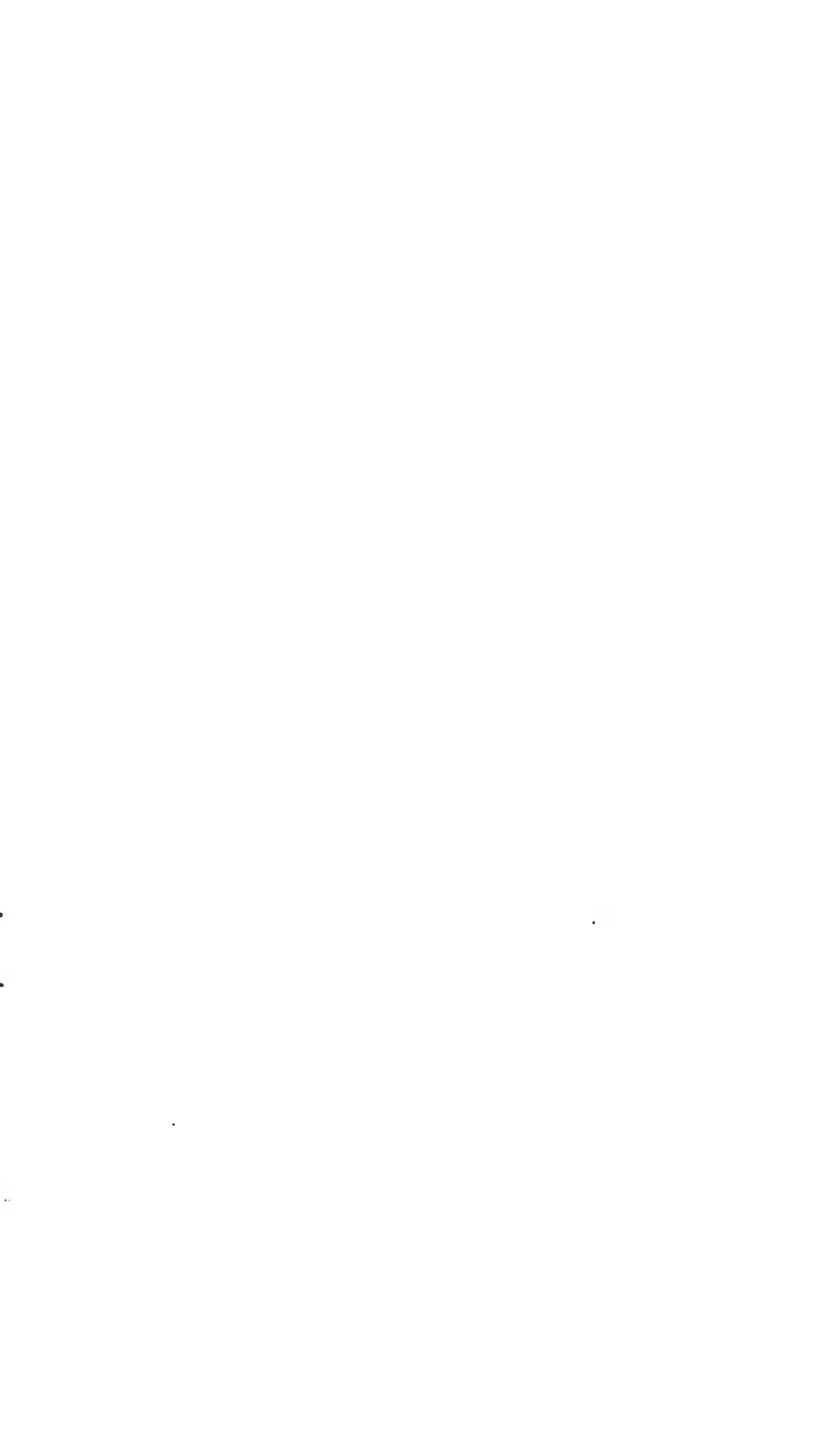


دراسات
من تاريخ عسير الحديث

تأليف الدكتور
محمد بن عبد الله آل زلفه
قسم التاريخ
جامعة الملك سعود

الطبعة الاولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م





الإهداء

إلى الذين أرووا بدمائهم

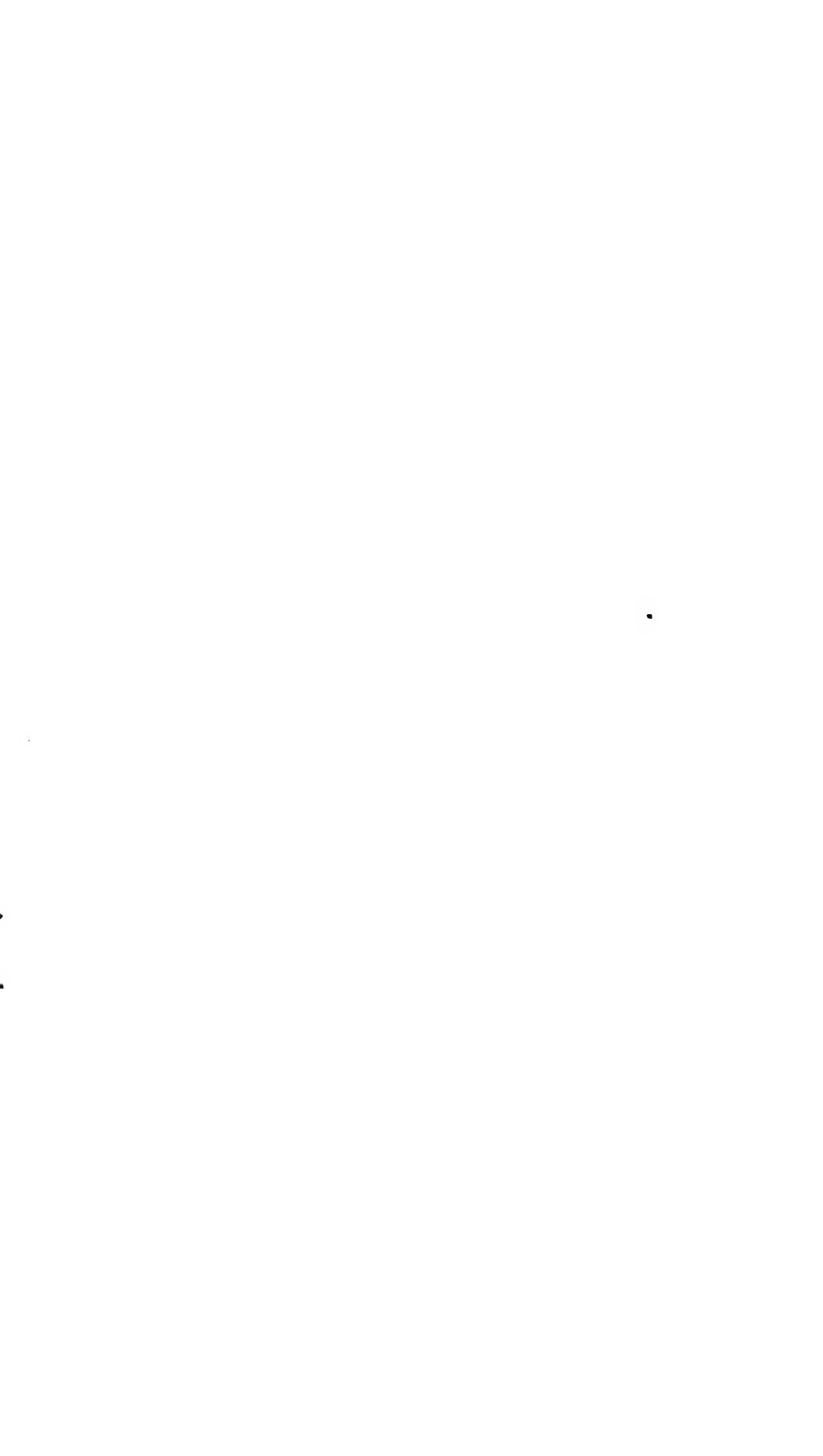
أديم تراب عسير دفاعاً عن عزته

وشموخه في الماضي

وإلى الذين يواصلون مسيرة بنائه الحضاري اليوم

أهدي هذا الكتاب

د. محمد بن عبد الله آل زُلفه



توطئة

هذه مجموعة من المحاضرات والبحوث والدراسات شاركت بها في عدد من المؤتمرات والمناسبات العلمية تناولت مواضيع تتعلق جميعها بقضايا وشئون عسيرية.

أردت بجمعها وإعادة نشر ما سبق نشره منها ونشر ما لم ينشر أن تعم فائدته من خلال جمعها في هذا الكتاب وتقديمه للقارىء الكريم الذي قد يجد مشقة في متابعة ما ينشر في المجلات العلمية عن جوانب من تاريخ الوطن، إما لصعوبة الحصول على المجلة نفسها، أو لعدم معرفته بما ينشر في تلك المجلات.

هذه المقالات والبحوث كتبت في فترات متفاوتة ومناسبات مختلفة، منها ما قدم في مؤتمرات علمية عالية، فخرج البحث وهو في أقرب صيغة إلى ما يجب أن تكون عليه البحوث قبل نشرها من حيث التوثيق، ومنها ما قُدم على شكل محاضرات، فلم تكن مكتملة التوثيق أسوة بغيرها من البحوث المقدمة لمؤتمرات دُولية ومنشورة ضمن أعمال تلك المؤتمرات، لأن المحاضرات غالبًا ما تكون ذات طبيعة مختلفة ولكن هذا لا يعني وبأي شكل من الأشكال أن عدم تطبيق المنهج التوثيقي من حيث الشكل ينفي أصالتها العلمية ودقة ما ورد فيها من معلومات.

ثم هناك أمر آخر قد يلمسه القارىء الكريم وهو تكرار جزء من المعلومات الواردة في بعض الموضوعات الواردة في هذا الكتاب والسبب في ذلك هو أن هذه الموضـوعات أعدت في مناسبات مختلفة وأوقات متفاوتة، وكان المتلقي في كل مناسبة يتوقع أن يسمع توطئة عن أحوال المجتمع والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تشكله مما جعل ضرورة التكرار لا مفر منها.

ثم لا يفوتني أن أنوه إلى أن من أهم الدوافع لجمع ونشر هذه المقالات والدراسات والبحوث إضافة إلى ما سبق الإشارة إليه هو خلق تواصل بين الكاتب وبين قارئه الكريم وتلقي منه أي جديد ليضاف أو لتصحيح خطأ غير مقصود أو توسيع دائرة النقاش حول الكثير من النقاط المثارة والتي لا زالت بحاجة إلى إشباع إذا ما توافـرت لنـا المصـادر المـوثـوق بها لاسيما ومنطقة عسير منطقة بكر على الدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي الختام أرجو الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه خير هذا الوطن وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم.

الرياض غرة صفر ١٤١٢هـ
١٠ أغسطس ١٩٩١م

د. محمد بن عبدالله آل زلفة
قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

قراءات في تاريخ عسير الحديث(*)

قراءات في تاريخ عسير الحديث(*)

لقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري، قيام ثورة إسلامية في شبه الجزيرة العربية، كانت بداية انطلاقة لعهد جديد في تاريخ الجزيرة بل ومنطقة الشرق الأدنى تلك الثورة هي انطلاقة الدعوة السلفية في نجد على يد المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب والذي وجد في سيف محمد بن سعود أمير الدرعية حاميًا له ولدعوته. تلك الدعوة التي لم تكن إلا تخليصًا للإسلام مما لحق به من البدع والخرافات والعودة به إلى ما كان عليه في عهد السلف الصالح وإعادته إلى نقائه الفطري. فكانت بحق من أهم الحركات التي ظهرت في جزيرة لعرب منذ ظهور دعوة نبينا محمد ، ﷺ، .

أحدثت هذه الثورة الإسلامية تغييرًا كبيرًا في البنية السياسية في الجزيرة العربية، بل وامتدَّ أثرها إلى ما وراء ذلك. حيث اختفت قوى سياسية، مثل قوة دهام بن دواس صاحب الرياض، وآل زامل في الخرج، وآل عريعر في الأحساء، وآل معمر في العيينة. وبرزت هناك قوى جديدة كقوة عسير السياسية والعسكرية كما سيأتي مفصلاً. وظهور بوادر قوة في حائل ظهرت بوضوح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

(*) محاضرة ألقيتها في النادي الأدبي بأبها في ٢١ شوال سنة ١٤٠١هـ.

وقوى اهتزت مكانتها، ولكنها لم تسقط نهائيًا لدخولها في اتفاقيات مع قوى أجنبية كانت هي بدورها تخشى على مصالحها من ازدياد النفوذ السعودي، كقوة إمام اليمن وسلطان عمان، وشريف مكة الذي فشل في محاولاته المتكررة في وضع حد لتوسع نفوذ أتباع الدعوة الإصلاحية.

هذا على المستوى الداخلي في الجزيرة العربية أما ما وراء الجزيرة فكان يحيط بها من جهاتها الثلاث ولايات بغداد، ودمشق، والقاهرة العثمانية. قام كل من ولاة هذه الولايات الثلاث بدور لا ينكر في محاولة إخماد تلك الثورة الإصلاحية قبل أن يستفحل أمرها. كانت أولى المحاولات من قبل والي بغداد والذي حقق فشلاً ذريعًا أحرج الدولة العثمانية، حيث أبان ضعفها أمام قوة الثورة الفتية الآخذة في الازدياد. وكان الخليفة العثماني يأمل في إخضاع هذه الحركة في عُقْر دارها وعاصمتها الدرعية قبل استفحال أمرها وانتشارها إلى ما وراء ذلك. وأمام فشل ولاة بغداد وسع أتباع الدعوة نفوذهم شرقًا في الأحساء، وغربًا في الحجاز، وشمالاً في ولاية الشام. وأصبح الأمر يهدد بسقوط تلك الولايات في أيدي أتباع الدعوة.

أما إقليم عسير أو منطقة عسير مدار حديثنا فالحديث عن تاريخها يطول، ولا يمكن أن تكفي محاضرة ولا حتى محاضرات ولا أكون مبالغًا إذا قلت حتى ولا كتاب أو كتب في تغطية ولو بعض الجوانب من تاريخها الطويل الشيق، والذي يخفي علينا منه أكثر مما نعلم نتيجة لنُدرة المصادر وصعوبة العثور عليها. وهذا ما سأعرج بالحديث عليه ولو بشكل مختصر في نهاية حديثي وأوجه للجميع دعوة مفتوحة إلى المشاركة في إيجاد الحلول المناسبة المتعلقة بجمع وإخراج مصادر تاريخ بلادنا والاهتمام بإبراز تراث الأمة والذي هو ملك لها لا لشخص بعينه مدعيًا ملكيته لها وحرمان الآخرين من الاطلاع عليها إما بدافع التعصب أو الجهل. أو بحجة أنه إرث لأسرة بعينها يتوارثونها كما يتوارثون الأنعام أو أجزاء من أثاث المنازل.

ما هي عسير وما هي حدودها؟

إقليم عسـير (يا حضرات السـادة) جغرافيًا هو المساحة الممتدة ما بين حدود المملكة العربية السعودية مع جمهورية اليمن الشمالي حاليًا ـ كما حددتها اتفاقية الطائف عام ١٩٣٤م (١٣٥٣هـ) بين البلدين في عهد كل من الملك عبدالعزيز والإمام يحيى والتي لم تأت اعتباطًا، وإنما كان لها ركيزتها التاريخية. هذا من الجهة الجنوبية. أما من الجهـة الشـمالية فيحـدها جنوب الطائف، ويدخل ضمن هذا التحديد تهامة عسير الممتدة من الليث شمالاً إلى ميدي جنوبًا، والسُّفوح الشرقية لمرتفعات عسير الممتدة إلى ما وراء تثليث شرقًا والوديان (رنية وتربة) في الشمال الشرقي. واضعين في عين الاعتبار هذا التحديد إلى جانب العامل الجغرافي الوحدة العضوية بين سكان هذا الإقليم وإن اختلفت طرق معيشتهم وأنماط حياتهم الاجتماعية بحكم عامل البيئة في بعض المناطق من هذا الإقليم.

هذا ولم ندرج ضمن هذا التحديد المناطق التي انضمت إلى هذا الإقليم نتيجة للتوسع السياسي الذي أحرزه قادة هذا الإقليم في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، والذي سيأتي ضمن حديثنا عن هذه الفترة.

أما عسير بالمفهوم الجغرافي الأكثر تحديدًا فهي الأراضي التي تسكن عليها عسير القبيلة بفروعها الخمس الرئيسة: بني مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة، ورجال ألمع، وهي تحتل رقعة من أرض الإقليم بموجب حدود معروفة، وتنقسم إلى قسمين: قسم يسكن السراة. والقسم الآخر يسكن في تهامة. ومن الملاحظ أن القبائل الرئيسة في هذا الإقليم تنقسم إلى قسمين: تهامية، وسروية، ولكل قبيلة تهامتها حيث نجد تهامة عسير ونعني هنا عسير القبيلة وتهامة قحطان وتهامة شهران وتهامة بني شهر وتهامة شمران وتهامة بالقرن وباللسمر وباللحمر وتهامة غامد وزهران وغيرها.

ولعل لهذا التوزيع أسبابه السياسية والاقتصادية والأمنية في الزمن الماضي. أما القول بأن هذه القبائل بفروعها المتعددة هل تعود في نسبها إلى أصل واحد؟ أم ما هي إلا مجرد أحلاف مع مرور الزمن انضوت تحت اسم واحد. فهذا ما سنتركه للمهتمين بالأنساب للإجابة على هذا التساؤل؟.

وبحكم الاستقرار الذي يعيشه غالبية أفراد هذه القبائل واتخاذهم الزراعة مهنتهم الأولى فقد نظموا علاقاتهم بأن دخلوا في أحلاف ومعاهدات تضمن لهم حياة مستقرة آمنة. ويرأس كل قبيلة أمير، ويتبع لكل أمير عدد من النواب، والنائب يساعده خمسة أو ستة من الجماعة، ومدول وعشّار وظيفة النائب حل مشكلات الجماعة الصغيرة التي ينوب عليها ويساعده كبار الجماعة الخمسة أو الستة حسب كبر أو صغر المجموعة، ولكل جماعة بيت ماليتها الخاص موارده «عُشر» الإنتاج الزراعي وعُشر الثروة الحيوانية ووظيفة العشّار استحصال هذه الموارد.

وأحب أن أنوه إلى أن هذا العُشر لا يمت إلى الزكاة التي حددتها الشريعة الإسلامية بصلة، فالزكاة تجمع بطريقة أخرى وتصرف في الوجوه الشرعية المعروفة. أما المدول فوظيفته تنظيم الشئون الاجتماعية وخاصة ما يختص بالولائم في مناسبات الأفراح وغيرها ذات الطابع الجماعي. فإذا استعصى أمر على النائب رفعه إلى الأمير، أما الأمور الشرعية فمردها إلى القاضي الشرعي.

ولكل قبيلة سوقا ينصب كل أسبوع وربما أكثر من سوق وللأسواق الأسبوعية في منطقة عسير نظم وقوانين دقيقة تكفل حمايتها وحماية مرتاديها والحديث عنها سيفرد له بحث مستقل في المستقبل - إن شاء الله -.

وملكية الأرض في إقليم عسير تنقسم إلى قسمين ملكية خاصة، وملكية مُشَاعة.

الملكية الخاصة هي ما يملكه الإنسان أو الفرد من أرض يزرعها لنفسه، وكل الملكيات الخاصة معروفة مساحتها بمعرفة هيئة مختصة لهذا الغرض لأن الفرد يلتزم بواجباته الاجتماعية والوطنية بقدر ما يملكه من الأرض، ولهذا السبب لا نرى وجودًا للملكيات الواسعة للأفراد هربًا من الالتزامات الاجتماعية، وتوسيع نطاق المشاركة.

أما الملكيات المشاعة وهي ما تسمى بالمحاجر جمع «محجر»، أو الأحمية جمع «حمى»، فهي ملك للقبيلة كلها، وغالبًا ما تكون عبارة عما يمكن أن نسميه في الوقت الحاضر «بالمرافق العامة». وغالبًا ما تكون هذه المحاجر أو الأحمية مناطق شجرية وغابات يستفاد منها للرعي والاحتطاب، وأيضًا مصادر لمياه السيول. وتنطبق عليها القاعدة الشرعية القائلة «الناس سواسية في ثلاث الماء والكلأ والنار». بالإضافة إلى أنه يستفاد منها في أغراض أخرى حددتها أنظمة الأحمية التي وضعت وفق نظام دقيق.

فالأنظمة تمنع قطع الشجر الأخضر. ليس هذا فحسب بل وتحدد أيامًا معينة في السنة لتشذيب الأشجار، وأيضًا غرسها. ويجوز احتطاب الشجر اليابس للاستعمال الشخصي فقط عند بعض القبائل. ويجوز الاستفادة من أخشاب الأحمية حتى وإن كانت خضراء في بعض الأغراض وبشكل محدود للأغراض ذات العلاقة بالإنتاج الوطني مثل أدوات الفلاحة، وحددتها بعض الوثائق التي اطلعت عليها بالاسم أي أسماء تلك الأدوات[1]. هذا بالنسبة للمزارعين. أما لغير المزارعين أي البدو فقد حددت تلك الوثائق نفسها الأخشاب التي يحق له أن يقطعها خضراء؛ وهذا لايتم إلا تحت إشراف هيئة مختصة.

والأمر الشيِّق والملفت للنظر ما وجدته في وثيقة أخرى اطلعت عليها بهذا الخصوص تبيح لمن أراد أن يبني بيتًا أن يقتطع من أشجار الحمى ما يكفي للدور الأول فقط، وبدون مقابل، وتحت إشراف نخبة من الجماعة. أما ما زاد على دور فلا يجوز[2].

وهذا عدل وإنصاف بحق من أراد أن يبني بيتًا ليأويه وعائلته.

أما الأشجار اليابسة فتباع لمن أراد أن يشتريها من أفراد القبيلة أو الجماعة نفسها، أو تباع بالمزاد العلني في السوق ويودع ريعها في بيت مال القبيلة أو الجماعة.

وتقوم القبيلة أو الجماعة أحيانًا بجعل جزء من أرضها المشاعة وقفًا على الأعمال الخيرية، كأن تكون وقفًا لمسجد كما هو الحال لمسجد «الرّهوة» في شعف شهران والذي يعد واحدًا من أكبر المساجد في منطقة عسير وأقدمها.

أما الوجوه التي ينفق عليها من بيت مال الجماعة فكثيرة، ويشرف على بيت المال الجماعة الستة الذين ورد ذكرهم، وغالبًا ما يكون مقر بيت المال بناءً مميزًا في وسط القرية، وله أكثر من مفتاح بقدر عدد الهيئة المشرفة عليه، وهي المسئولة عن تحديد وجوه الإنفاق كتجهيز الغازي ورفدة المنكوب من جماعتهم أو من غير جماعتهم، وإقراء الضيف، ومساعدة ابن السبيل، والإنفاق على الأعمال الخيرية ذات المصلحة المشتركة، كبناء الطرق في الأماكن الوعرة، وإقامة المساجد، والإنفاق على زوجة وأولاد الغازي حتى يعود أو تزويده بمئونة إذا طال أمد مغزاه.

هذه لمحة بسيطة عن واقع المجتمع في عسير ونظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما ورثوها كابرًا عن كابر.

وحدة القبيلة

القبيلة هي الوحدة السياسية في مجتمع عسير. والقبائل الكبرى لها شيخ شمل ينضوي تحته عدد من الأمراء أو الشيوخ في أوقات الحرب فقط. وهؤلاء الأمراء يرأسون فروعًا كبيرةً من القبيلة الأم لهم الحق في توقيع اتفاقية تحالف مع من شاءوا من القبائل

الأخرى، حتى وإن كانت في حالة عداء مع أحد فروع القبيلة الأم، ولدينا أمثلة كثيرة كتحالف الحاف ووقشة مع بني مغيد في الاتفاق الذي أبرم في سنة **١٢٥٢**هـ[٣].

والحاف ووقشة فرع رئيس من قبائل رفيدة قحطان ـ كما أبرمت القبيلة نفسها حلف معاهدة وحسن جوار مع آل رشيد أحد الفروع الرئيسة لقبيلة شهران العريضة في سنة **١٣٠٠**هـ.

من هذا نعرف أن القبيلة تشكل وحدة سياسية مستقلة في شئونها الداخلية، حرة في عمل ما تراه يخدم مصلحتها. إلا في حالة تعرض البلاد لغزو أجنبي كما حدث في النصف الأول من القرن التاسع عشر أثناء الحملات التركية المصرية المشتركة ضد منطقة عسير. أو كما حدث قبل ذلك أثناء غزو قبائل يام للمنطقة في سنة **١١٩٩**هـ. فقد أثبتت قبائل إقليم عسير وحدتها في مواجهة الخطر الذي يهدد البلاد بأكملها والذي لا يميز بين قبيلة وأخرى.

إلا أن الوحدة السياسية الحقيقية لمنطقة عسير لم تظهر بشكل جَليٍّ وواضح إلا منذ أن قبلت مبادىء الدعوة الإصلاحية التي قام بالدعوة إليها كما أشرت سلفًا الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ وناضل من أجل نشرها والدفاع عنها محمد بن سعود وأولاده من بعده.

ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عسير:

أما عن بداية انتشار الدعوة في منطقة عسير فيذكر **محمد بن أحمد الحفظي** في مخطوطته التي تظهر لأول مرة بعنوان: «نفح العود في الظل الممدود تاريخ آل سعود والديوان المرضي» ما نصه: «فلما منَّ الله علينا وعلى أهل جهتنا بظهور الحق الشامل واطلع سناه (ونشر) في أرضنا وبلادنا الدعوة وأسمع المنادي بنداه من سبقت له العناية

والسعـادة الأمير محمد بن عامر المتحمي وأخوه عبدالوهاب المتحمي فهاجرا إلى محل الـدرعية وهي محل العلم والعمـل والـدين الـواضـح ففـارقـوا في حب الله الأهـل والوطن. . . وذلك في سنة ثلاث عشر بعد المائتين وألف. . . وعادوا من هجرتهم إلى الأقـارب والأصحـاب قد التـزمـوا الدعوة النجدية. . . وكانت هجرتهم سنة كاملة مهاجرين مجاهدين في سبيل الله ـ سبحانه ـ ولحق بهم من قبائلنا من وفقه الله».

أما محمود شاكر فيذكر نقلاً عن مذكرات جعفر الحفظي أنه في عام ١١٧٧هـ وفـد إلى الـدرعية بعض أعيان عسير ومن جملتهم محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب وطامي بن شعيب من آل المتحمي ومن آل الحفظي علي بن الحسين وعبدالقادر بن أحمد وعبـدالله بن عبـدالـرحمن وزين العابدين وسواهم لطلب العلم على يد علامة زمانه محمد بن عبدالوهاب»[٤].

«وفي عام ١١٧٩هـ وجه أمير الدرعية محمد بن سعود مع محمد بن عامر وأخيه عبدالوهاب كتابًا إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى الدين ونبذ الشرك ودعوة من يليهم إلى التمسـك بما كان عليه السلف الصـالح، وقد وجد الإخوان خصومة لأن النـاس ظنـوا أنها دعـوة تملك وتغلب فردها الأمير محمد بن أحمد بن محمد فعادا إلى الدرعية لطلب النجدة وبيان الواقع».

وكان الأمير محمد بن أحمد واسع السلطة تدين له قحطان وشهران ورجال الحجر وغامد وزهران وبنو شعبة في تهامة.

ومن الأحداث المشهورة التي حدثت في عهد هذا الأمير أي محمد بن أحمد والتي كان لها أثر بالغ في مستقبل عسير السياسي هو قيام قبائل يام بغزو نجد وعسير في عام ١١٩٩هـ ودخلت يام بلاد قحـطان وشهران وأفسدت فيها وتوجهت إلى بلاد عسير

القبيلة فواجهت قوة محمد بن أحمد فانهزمت بعد ملحمة عظيمة في بلاد شهران قتل فيها أكثر اليامية وكفى الله شرهم»[٥].

وكان هذا أول غزو خارجي تتعرض له منطقة عسير في تاريخها الحديث ومن عدو يختلف معهم في العقيدة حيث كانت دعوة عدوهم تمت إلى الإسماعيلية بصلة.

وفي عام ١٢٠٥هـ غزا الأمير محمد بن أحمد بلاد سنحان ووادعه وكان يقود شهران يوم ذاك مشيط بن سالم. وقحطان يتزعمها غشام بن عامر الجد الأكبر لأسرة آل سالم المعروفة ببلاد رفيدة قحطان. ومن المعروف أن قبائل سنحان ووادعه تدين بالمذهب السُّنِّي وكثيراً ما لجأت إلى عسير لطلب النجدة ضد جيرانها أتباع الإسماعيلية في نجران أو الزيدية في اليمن، فلا أعتقد أن أمير عسير وأمراء قحطان وشهران قاموا بغزو أراضي قبائل سنحان ووادعه بل ربما جاءوا لنجدتهم ضد عدو مشترك.

في أثناء هذه الفترة كانت مبادىء الدعوة الإصلاحية آخذة في الانتشار وبصفة خاصة في حدود قبيلتي قحطان وشهران. وفي عام ١٢١٠هـ دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود وامتنعت على الأمير محمد بن أحمد فأعلن الحرب ضدها فلم تستطع الصمود أمام قوته فتوجه مشيط وغشام إلى الدرعية لطلب النجدة وكان محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب هناك.

وفي عام ١٢١٤هـ[٦] رجع محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب ومشيط وغشام إلى بلدانهم؛ واجتمعوا لمحاربة محمد بن أحمد في عسير وتقدموا لمهاجمة بلاد عسير وتمكنوا من هزيمة قوات الأمير محمد بن أحمد ـ في معركة المغوث ـ وقتل الأمير في هذه المعركة ودخلت المنطقة في طاعة الدرعية. وبذلك قضى على استقلال عسير السياسي وأعلن بداية دور جديد لتاريخها. لم تشر مصادرنا إلى أن الأمير محمد بن أحمد رفض الدعوة

بمبادئها الإصلاحية وإنما عارض تطلعات وطموحات محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب السياسية حيث بدأ يتصرفان كأمراء لا كمبشرين لدعوة إصلاحية.

فترة حكم أسرة آل أبو نقطة

تسلم محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي إمارة عسير، وقام بنشر مبادىء الدعوة في صفوف الأهالي الذين تقبلوها دونما كبير مشقة أو عناء؛ لأنها لم تأت بشيء جديد بالنسبة لهم، لأنهم كانوا أشدّ الناس في الجزيرة العربية تمسكًا بمبادىء الإسلام ودينه الحنيف على نقاوته وفطرته الأولى. كان محمد أبو نقطة يعقد حلقات للدرس صباح كل يوم يعلم الناس فيه أمر الاعتقاد، وقد انفرد بنقل ما كان يلقيه من دروس في هذه الحلقات المؤرخ لطف الله جحّاف في تاريخه «درر نحور الحور العين في حوادث سنة ١٢١٢هـ». ونحن هنا ننقله بنصه: يقول جحاف: «كان، أي الأمير، يقعد عند صباح كل يوم فتحضر القبايل والروسا [ء] والفقها [ء] وأهل الأعمال فيسمعون منه ما يتلوه عليهم في الورد الذي يسمونه الدرس ويتحفظه السامع فلم يبق في دياره كبير ولا صغير رجل وامرأة حرًّا وعبدًا إلا حفظه وعرضه عليه وسارع بقلبه الفارغ إليه وهذا لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«اعلموا - رحكم الله تعالى - أن هذه المقدمة والأن القواعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولانا وإياكم في الدنيا وفي الآخرة، وأن يجعلنا ساركين أينما كنا، وأن يجعلنا ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر، وإذا أذنب استغفر الله العظيم. اعلموا أن هذه الثلاث عنوان السعادة الحقيقية (   ) وعليكم أن تعبدوا الله مخلصين له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس بها، وخلقهم لها كما قال - تعالى - ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [سورة الذاريات، الآية ٥٦]. فإذا عرفت أن العبادة ما تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في

العبادة أفسدها، كالحدث إذا دخل الطهارة أفسدها. والدليل عليه قوله ـ تعالى ـ: **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾** [سورة التوبة: الآية ١٧]. عرفت حينئذ أن أهم ما عليك معرفة هذا الشرك بالله، فلعل الله ـ تعالى ـ يخصلك من هذه الشبكة. فعليك بأربع قواعد من قواعد الدين، ذكر الله في محكم كتابه، القاعدة الأولى أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله، ﷺ، مُقِرُّون أن الله ـ تعالى ـ الخالق الباري المصور العزيز الجبار ماله شريك في ملكه، ولم تنفعهم هذه المعرفة ولا أدخلتهم في الإسلام شيئًا. والدليل عليه قوله ـ تعالى ـ: **﴿أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾** [سورة يونس: الآية ٣١]. القاعدة الثانية أن ما كفرهم إلا دعوة الأولياء والصالحين يريدون منهم قربة وشفاعة، ودليل القربى قوله ـ تعالى ـ: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** [سورة يونس: الآية ١٨]. القاعدة الثالثة أن رسول الله، ﷺ، خرج على قوم كفار متفرقة عباداتهم منهم من يعبد الشمس والقمر وملائكة وأنبياء وصالحين وأشجار وأحجار فقاتلهم رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وما فرق. والدليل قوله ـ تعالى ـ: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾** [سورة البقرة: الآية ١٩٣]. ودليلهم أنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر قوله ـ تعالى ـ: **﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾** [سورة فصلت: الآية ٣٧].

ودليل الملائكة قوله ـ تعالى ـ: **﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾** [سورة سبأ: الآية ٤٠]. ودليل الأنبياء، عليهم السلام، قوله

ـ تعالى ـ: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم. لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ [سورة المائدة: الآيات من ١١٦ ـ ١٢٠]. ودليل الصالحين قوله ـ تعالى ـ: ﴿أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى﴾ [سورة النجم: الآيتان ١٩، ٢٠]. ودليل الأشجار والأحجار حديث عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله، ﷺ، إلى حنين ونحن حديث عهد بكفر وللمشركين سدره يعكفون عندها ينيطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة أخرى فقلت يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فكبر ثلاثًا ولا يكبر إلا من أمر عظيم. وقال: إنها السنن والذي نفسي بيده إنكم قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون أفغير الله أبغيكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين﴾. القاعدة الرابعة أن شرك أهل وقتنا هذا أشد وأغلظ من شرك الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون. ليكفروا بما أتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ [سورة العنكبوت: الآيتان ٦٥، ٦٦]. وأن شرك أهل وقتنا هذا في الرخاء والشدة ثم يقول بعد هذا في الدرس الحمد لله رب العالمين، واعلموا، رحكم الله تعالى أن هذا توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. فأما توحيد الربوبية فإنك أيُّها العبد توحد الله في أفعاله الذي يفعل مثل أنه يخلق ولا يُخلق غيره ويرزق ولا يُرزق غيره ويحيي ولا يحيي غيره ويميت ولا يميت غيره ويدبر ولا يدبر غيره فإن قيل: ما معنى التدبير؟ فقل: إنه يضع الأشياء

في موضعها ولا يضعها إلا عن حكمة وهذا مقرٌ به المشركون. وأما توحيد الألوهية فإنك أيها العبد توحد الله بأفعالك التي تفعل مثل الدعاء والدعاء مُخّ العبادة والخوف والرجاء والخشية والإنابة والذبح والنذر صرفه كلها لله عبادة ولغيره شرك انتهى. فهذا الذي سردناه عليه اعتماد الموهبة لا تجد أحدًا من أولئك من صغير وكبير وعارف وجاهل إلا وهو يعلمه ويعلمه أهله ومن وجد من أهل الأرض ممن له قدرة على دعائه إليه».

عارضت بعض القبائل بعض ما أمرهم به البعض من العناصر المتعصبة من أتباع الدعوة الذين رافقوا محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب وأغلبهم من بادية نجد والأطراف الشرقية لبادية قحطان وشهران والدواسر الذين فهموا مبادىء الدعوة الإصلاحية بطريقة خاطئة نتيجة لجهلهم بروح الإسلام السمحة حينما أجبروا المواطنين على أمور لا تمت إلى مبادىء الدين في شيء مثل «حلق الرؤوس» وتسليم السلاح الشخصي وذكر لي أحد سكان باحة ربعية بأن هناك غديرًا يسمى غدير «الدرماح» حيث جُزت رؤوس كثير من الناس جبراً. وقال أحد العسيريين يستنكر هذا الإجراء وعدم علاقته بالدين:

انحن عسير مزرقة لرماح
والدين معطينه بلاد درماح

إلا أن أمير عسير الجديد وتلميذ زعيم الدعوة والخبير بشئون المنطقة رأى ضرورة الذهاب بنفسه إلى الدرعية للتدارس مع قادتها لما يواجه الدعوة من صعاب في منطقته مصطحبًا معه وفدًا يمثل مختلف المناطق من إقليم عسير تهامته وسراته. وأثناء عودته وافته منيته بالقرب من مدينة بيشة ورشح زعماء عسير للإمارة من بعده أخوه الأمير عبدالوهاب الذي يعد المؤسس الحقيقي لإمارة آل المتحمي ومنشىء فكرة عسير الكبرى متخذًا عن صدق وإيمان مبادىء الدعوة الإصلاحية منهاجًا لبرنامجه السياسي وفي عهده برزت عسير كقوة سياسية وعسكرية أقلقت جيرانها المحيطين بها من جهاتها الثلاث

شريف مكة في الحجاز، وأشراف أبو عريش عاصمة المخلاف السليماني الجزء التهامي من عسير، وقبائل يام في الجنوب الشرقي لمنطقة عسير، وأئمة اليمن في صنعاء.

وكانت الدرعية تدرك أهمية انضمام عسير إليها لما تحتله من موقع استراتيجي مهم فما زالت الدرعية تذكر غزو قبائل يام للدرعية بقيادة حسن بن هبة الله المكرمي في سنة ١١٧٨هـ حيث منيت قوات الدرعية بهزيمة منكرة في الحائر بالقرب من الرياض أجبرت الدرعية على عقد صلح مع قبائل يام بعد أن خسرت الدرعية كثيراً من رجالها المقاتلين(٧). ولم يفل سطوة اليامية إلا قبائل عسير وذلك في سنة ١١٩٩هـ كما ورد ذكره سابقًا. والآن وقد انضمت عسير فلم يعد هناك أي خطر يهدد الدرعية من الجنوب.

أما في تهامة فكانت مبادىء الدعوة الإصلاحية قد انتشرت في بعض أجزاء المخلاف السليماني الذي كانت تحكمه أسرة آل الخيرات فرع من أشراف مكة هاجر إلى المخلاف على إثر خلاف نشب بين أشراف مكة، وما أكثر ما كانت تنشب الخلافات بين أفراد تلك الأسرة الشريفية طمعًا في السلطة لا حبًا في الإصلاح. انتقلت تلك الأسرة بخلافاتها إلى المخلاف حيث أصبح المخلاف حلقة صراع بين أفراد تلك الأسرة المتنافسة على السلطة في موطنها الجديد. وكان الشعب في المخلاف يدفع الثمن غاليًا نتيجة لتلك الصراعات حيث كان الأشراف يستأجرون جنودًا مرتزقة من بعض القبائل اليمنية والقبائل اليامية بشكل خاص ويدفعون أجور أتعابهم من أموال الشعب المغلوب على أمره(٨). وما أن تسربت أخبار الدعوة الإصلاحية إلى تلك الجهات على يد عرار بن شار رئيس قبيلة بني شعبة وأحمد بن حسين الفلقي من قبيلة الجعافرة وكان قد ذهب إلى الدرعية للتزود بالعلم والمعرفة والتشرب بمبادىء الدعوة الإصلاحية فوجد الشعب هناك أن خلاصهم من الظروف السياسية السيئة التي تعيشها بلادهم هو قبول الدعوة بما تحمله من مبادىء فيها العدل والمساواة ورفع الظلم نتيجة لنشوء النظام الطبقي الذي كان سائدًا هناك. إلا أن أسرة آل الخيرات وقفت بشدة في وجه زعماء الدعوة في المخلاف

الأمر الذي اضطر الزعماء الموالين للدعوة في المخلاف إلى طلب النجدة من الدرعية والتي سارعت إلى إرسال سرية يرأسها حزام بن عامر العجماني وزبران القحطاني وما أن سمع بعض أشراف الخيرات بنجدة الدرعية حتى أعلنوا استعدادهم لقبول الدعوة والدعوة لها في مناطقهم.

وكان على رأس شرافة أبو عريش الشريف علي بن حيدر الذي تنازل عن الإمارة لعمه الشريف حمود بن محمد، والذي عرف باسم «أبو مسمار». وقد أعلن هذا الأخير عداءه للدعاة والدعوة منذ توليه مقاليد السلطة، وهذا الشريف يعد بحق واحدًا من أدهى الحكام الذين عرفتهم المنطقة في تلك الفترة. فلقد كان أول عمل قام به هو الاتصال بإمام اليمن، يطلب منه المساعدة والمؤازرة والاعتراف بإمارته. وكان لهذا التصرف أبعاد سياسية وهو جر إمام اليمن إلى مواجهة مباشرة مع أتباع الدعوة حيث أدرك أنه لن يتمكن بمفرده من الوقوف أمام مد الدعوة المتدفق. وما أصبح يسيطر عليه من مخاوف إزاء تنامي قوة عسير المتصاعدة. لكن رسوله إلى صنعاء الشريف حسن بن خالد الحازمي الذي طلب العون والمساعدة من إمام اليمن فشل في مهمته، وذلك بعد ستة أشهر من المفاوضات ويعزو بعض المؤرخين هذا الفشل للضغط غير المباشر المفروض على الإمام، من قبل قادة الدرعية. وربما تكون الدرعية على اتصال مباشر مع الإمام، وكانوا يعدونه بعدم مهاجمة صنعاء إذا رفض طلب الشريف حمود، وهذا أمر طبيعي أن يفكر الإمام بإنقاذ عاصمة بلاده من تهديد السعوديين بغزوها[٨].

ومهما يكن الحال فحينما بلغت أخبار تفاوض الشريف حمود مع إمام صنعاء إلى الدرعية أعطت حكومة الدرعية الضوء الأخضر لأمير عسير عبدالوهاب أبو نقطة بالانقضاض على الشريف حمود والقضاء على إمارته، وكان الأمير العسيري ينتظر هذا الأمر بفارغ الصبر لأسباب سياسية واقتصادية، بالإضافة إلى السبب الرئيسي وهو العامل الديني. قاد أبو نقطة جيشًا قوامه عشرون ألف مقاتل[٩] من قبائل قحطان

وشهران وعسير وقبائل أخرى وأجبر الشريف حمود على إعلان ولائه للدعوة الإصلاحية ومبادئها وقرر أبو نقطة إبقاء حمود في إمارته على أبو عريش وذلك بعد أن تعهد هذا الأخير بالإخلاص للدعوة الإصلاحية والاعتراف بسيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود على منطقة المخلاف وأن يدعو للدعوة في المناطق المجاورة له، وقطع العلاقات مع إمام اليمن واعتباره عدوًا، ونتيجة للانتصار الذي أحرزه أبو نقطة على منطقة المخلاف أصبح قسما إقليم عسير خاضعين لسيطرة حاكم واحد هو الأمير عبدالوهاب ولأول مرة في التاريخ الحديث.

علاقة عسير بالحجاز في هذه الفترة

وبهذا أيها القارىء الكريم أصبحت عسير هي القوة الكبرى في المنطقة، وأصبح جيرانها على حدودها الجنوبية يخشون سطوتها. ولكن ماذا عن جيرانهم من الجهات الشمالية ما هو موقف شريف مكة من هذه القوة النامية على حدود نفوذه من الجهة الجنوبية؟. فما أن انتشرت مبادىء الدعوة السلفية في عسير وأصبحت عسير تابعة من الناحية السياسية للدرعية حتى أصبح شريف مكة يحس بأنه واقع بين قوتين الدرعية في الشمال الشرقي، وعسير في الجنوب.

وكان شريف مكة غالب بن مساعد قد وقع اتفاقًا مع قادة الدرعية في سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، كان أحد بنود ذلك الاتفاق هو السماح للحاج النجدي بأداء فريضة الحج، وتحديد الحدود، وتوزيع مناطق النفوذ بين القوتين أي الدرعية ومكة. إلا أن مبادىء الدعوة أخذت في الانتشار بين القبائل التي كانت داخلة تحت نفوذ شريف مكة التي نصت عليها اتفاقية عام ١٢١٣هـ مثل قبائل غامد وزهران وقبائل منطقة بيشة وقبائل بارق. فنظر الشريف للوضع من الناحية السياسية والاقتصادية وتجاهل أنه أمام تيار دعوة جديدة تحمل مبادىء ومفاهيم جديدة لا تحدها حدود ولا مناطق نفوذ. فوجد الشريف غالب نفسه في حل من اتفاقية سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م)

وهاجم القبائل الجنوبية التي ورد ذكرها سلفًا التي قبلت مبادىء الدعوة الإصلاحية في محاولة منه لإعادتها تحت نفوذه إلا أنه كان الخاسر سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا.

يذكر مؤلف مخطوطة نفح العود أحمد محمد الحفظي «أنه في شهر ذي الحجة آخر سنة ١٢١٧هـ وصل من الإمام سعود بن عبدالعزيز استلحاقًا للأمير عبدالوهاب المتحمي وجنوده إلى الجهة الشامية فانتدب الأمير جيشًا من رجال ألمع ومن عسير السراة شوكة تامة بزادهم وزنادهم وركايبهم . . . » إلى أن قال: «وإن المسلمين دخلوا مكة محرمين ملبين بعمرة مطهرين بيت الله من الشرك والمعاصي، معظمين الحرم الشريف، وذلك في شهر المحرم الحرام سنة ثمان عشرة بعد المائتين ١٢١٨هـ وطلبوا من [بقا] من أهل مكة الأمان فأعطاهم الأمير عبدالوهاب المتحمي وبث فيهم العدل والإحسان. . ويايعوه وعاهدوه على دين الله وعلى حب من حبهم وسب من سبهم وعلى الوفاء بالعهود وأمر عليهم الشريف عبدالمعين بن مساعد. . . ثم إن الأمير عبدالوهاب المتحمي تقدم بجواده وعساكره في ساقة الشريف غالب إلى جدة لا به قلة ولا ذلة. وطلب الأمان هو ومن معه[11]. . فلما أراد الأمير وجيوش عسير السراة ورجال ألمع الذهاب [المراح] إلى بلادهم رتب الأمير أربعمائة مبندق وأمّر عليهم يحيى بن ناشع وأعطاهم من الزاد والرصاص والبارود والدراهم ما يحتاجون إليه حتى الحطب ما فيه الكفاية».

إلا أن الشريف عاد لدخول مكة وأحاط هو وأتباعه على الرتبة العسيرية وضربوا مقرهم بالمدافع وما أن وصل الخبر إلى أسماع الأمير عبدالوهاب حتى بعث بقوة عاجلة مقدارها ٥٠٠ مبندق ركبوا البحر في إحدى عشرة سفينة تحت إمرة طامي بن شعيب وتقدمت سرية عن طريق البر ويذكر صاحب نفح العود أن الذين ركبوا البحر التقوا بثماني سفن واصلة من اليمن قاصدة جدة ودفاترهم بأيديهم شاهدة عليهم بشركهم فطاردهم المسلمون يومين وليلتين فتلاحقوا وأخذ الله من مراكب الكفار خمسًا وما فيها وهربت ثلاث إلى جدة ورسَا الجميع في بندر الخسّعة الذي أحياه الأمير وأخرجوا ما فيها

من الأموال إلى البر دقيقه وجليله وحكّموا كتاب الله وسنة رسوله على رأي الإمام المعظم عبدالعزيأز بن سعود. وقد وصل كتاب من نجد من آل شيخ الإسلام والإمام «أن الأموال جميعها ما كان للمشركين أنه حلال طيب والمغانم وما كان فيه دعوى للمسلمين فمرجعه إلى الحكم الشرعي وللأمير ظاهره» انتهى كلام صاحب نفح العود.

ويذكر أيضًا أن الأمير عبدالوهاب لحق بطامي في جيش قوي بحري وبري حيث يقول ما نصه: «مستلحق الأمير السفن الإسلامية وهي مقدار ثلاثين سفينة وركب فيها من المسلمين مقدار ألف مبندق ومعهم من الزاد والقوة والأمير غزا في البر بجنوده المنصورة وعساكره وجعل لكل واحد أربعة ريالات وأربعة أفراق بر وأربعة أمداد سمن وأربع من الغنم وتوجهوا على اسم الله وفي سبيل الله يقودهم كتاب الله. وواصلت الجيوش مسيرتها بحرًا وبرًّا عن طريق الساحل حتى دخلت مكة ودخل الشريف غالب في طاعة الدولة السعودية ويضيف صاحب المصدر السابق أن الأمير عبدالوهاب المتحمي قد أقام الأشراف وأعزهم ولم يقصر في حقهم بشيء وهم على نظر الله عز شأنه ثم على نظر الإمام الهمام سعود بن عبدالعزيز».

وقرر الأمير عبدالوهاب بأن يقوم بزيارة إلى الدرعية «لأجل المزاورة والمعاهدة والمحبة ولوازم في الدعوة. وقد حمل معه من الهدايا ما مقداره حمولة مائة بعير ونحو مائة قنطار من البن الصافي والبنادق والجنابي والسيوف المجلية وأربعة من الخيل وتقدم عليها مداوي بن شفلوت».

وبدخول السعوديين وحلفائهم مكة أصبحت الجزيرة العربية بأكملها ما عدا جزءًا من بلاد اليمن الجبلية تابعة لإمام اليمن أو جزء بسيط من عُمان الداخل تحت حكم الدرعية المباشر أو معترفًا بسلطتها ويدفع لها الخراج مثل أجزاء من حضرموت إن لم تكن حضرموت بأسرها على حد قول السيد محمد بن هاشم مؤلف كتاب تاريخ الدولة الكثيرية ص١٢٢ طبع ١٣٦٧هـ.

وكانت بيارق المنطقة الممتدة من مكة شمالاً إلى اليمن جنوبًا كلها تنضوي تحت إمرة عبدالوهاب أمير عسير وأصبح لعسير حاميات مرابطة في كل من مكة والمدينة بل ذكرت الليدي «بلانت» أن قائد الجيوش السعودية الذي تقدم إلى الغرب من دمشق كان عسيريًا.

طلب الشريف حمود استقلاله إداريا:

تقدم الشريف حمود شريف أبو عريش وهو القائد الفذ والسياسي المُحنَّك بطلب إلى حكومة الدرعية يطلب استقلاله عن سلطة الأمير عبدالوهاب وارتباطه بالدرعية مباشرة فوافقت الدرعية على هذا الطلب وهي لا تدرك الأسرار الخفية وراء طلب الشريف حمود الذي ينوي الاستقلال بالمخلاف وتلك الأراضي والموانىء اليمنية التي فتحها وضمها باسم الدعوة وكان جل رجاله الفاتحين من عسير وكان عبدالوهاب يحذر الدرعية من أن الشريف حمود يخطط لحركة استقلالية إلا أن الدرعية لم تأخذ برأي الأمير عبدالوهاب ولم تأبه لتحذيراته في بداية الأمر حتى ظهر لها ما كان يخشاه وما حذرها منه الأمير عبدالوهاب والذي سار فيما بعد على رأس جيش لمحاربة الشريف حمود وحقق انتصارًا ساحقًا، إلا أنه قُتل في تلك الغزوة وذلك في سنة ١٢٢٤هـ وخلفه في قيادة الجيش وإمارة عسير فيما بعد ابن عمه الأمير طامي بن شعيب (١٢٢٥ ـ ١٢٣٠هـ).

الغزو التركي المصري للجزيرة العربية وملخص لموقف عسير منه:

ما إن سقطت الحجاز ودخلت ضمن الإطار الجديد منضويةً تحت علم الدعوة الإصلاحية حتى اهتزت مكانة الخليفة العثماني وأصبح لقبه حامي الحرمين لا يعني شيئًا وهو يتلقى الخطاب الشهير الذي وجهه إليه رئيس الدولة السعودية سعود الكبير مخاطبًا السلطان باسمه المجرد من سعود إلى سليم، أما بعد فقد دخلت مكة إلى آخر الرسالة... ولذلك رمت الدولة العثمانية بثقل مصر كآخر سهم في جعبتها لاستعادة سلطتها على الحجاز وضرب الدولة السعودية.

١ ـ نزلت القوات المصرية في ميناء ينبع في ١٩ رجب ١٢٢٦هـ / أغسطس ١٨١١م وتقدمت نحو المدينة المنورة حيث التقت بها القوات السعودية في ممر وادي الصفراء وألحقت بالجيش الغازي هزيمة نكراء. وممن قتل في هذه المعركة من قادة عسير ابن «كدم» مقدم آل قريش من عبيدة قحطان.

٢ ـ زحف الجيش المصري بعد أن عزز قواته إلى المدينة وبعد حصار دام حوالي شهرين سقطت المدينة إلا أن إحدى قلاعها قاومت مقاومة ضارية دامت ثلاثة أسابيع حتى نفد طعامهم. ويذكر الرحالة «بوركهاردت» أن معظم جنود هذه القلعة من عسير استسلموا بشروط منها السماح لهم بمغادرة المدينة، وتجهيز وسائل لنقل أمتعتهم، ولكن القائد التركي المدعو «بونابارت» غدر بهم وقضى عليهم، وأقام من رؤوسهم برجًا على طريق المدينة.

٣ ـ حاول المصريون التقدم إلى عسير عن طريق القنفذة مطمئنين إلى تفوقهم الحربي في قوتهم البحرية إلا أن الأمير طامي بن شعيب ألحق بهم هزيمة منكرة كانت من أفدح الهزائم البحرية للجيش المصري.

٤ ـ حاولوا التقدم عن طريق الطائف فاعترضهم طامي بن شعيب ويخروش بن علاس أمير غامد وزهران والأميرة غالية البقمية وغيرهم من زعماء المنطقة الجنوبية وألحقوا بالجيش المصري أفدح الخسائر.

٥ ـ قدم محمد علي بنفسه إلى الحجاز وحاول أن ينجح فيما فشل فيه ابنه طوسون وقادته، وجاء بقوة بحرية جديدة وأعاد فكرة غزو عسير عن طريق القنفذة، وقام

بتحصين المدينة تحصينًا منيعًا إلا أن طامي داهم مصادر مياه المدينة وقتل جميع حراس الماء وعددهم ٥٠٠ جندي إلا من استطاع الفرار منهم فخاف المرابطون في القلعة المحصنة في القنفذة فأخلوا المدينة هربًا، ومن لم يمت بالسيف مات غرقًا؛ وهم يحاولون اللحاق بسفنهم التي هرب بها بحارتها إلى جدة خوفًا.

كان طامي بما أوتي من ذكاء وحنكة عسكرية يوزع قواته على خطوط طويلة وبقوة تمتاز بخفة الحركة لتحقيق غرضين إرهاب عدوه وإرباكه في الوقت نفسه ثم كانت خطة عسير دائمًا ـ وطامي بن شعيب هو الذي بدأها ـ تعتمد على عدم مواجهة العدو وجهًا لوجه في كثير من المعارك وتبني حرب العصابات (اضرب واهرب) لاسيما وعدوهم مزود بأسلحة ثقيلة فتقيد حركته. ولعل طبيعة بلاد عسير هي التي أملت على أبنائها هذا النوع من القتال.

٦ ـ أوقف محمد علي المعارك مع مقاتلي عسير وأخذ يفكر في الوسائل التي تمكنه من السيطرة عليهم واتخذ عدة تدابير:

(١) استمالة بعض القبائل البدوية مثل البعض من عتيبة وحرب وجهينة.

(٢) استمالة بعض أشراف مكة مثل الشريف راجح في قيادة أبناء هذه القبائل ضد العسيريين.

(٣) الإنفاق على أبناء هذه القبائل بسخاء.

(٤) استقدام جيش من بدو ليبيا وغيرهم من المغاربة لمهارتهم في مثل هذه الحروب وطبيعتهم البدوية المشابهة.

(٥) بناء قلاع على الطرق الرئيسية بين مكة وجدة والطائف للحد من غارات القبائل العسيرية حيث يذكر بوركهاردت وهو الرحالة المقيم في مكة خلال هذه الفترة أن أربعمائة رجل من قبيلة عبيدة قحطان هاجمت معسكرًا مصريًا بين جدة ومكة وقضت على أفراده ونهبت كل ما فيه.

(٦) كما ساعد محمد علي في تدابيره إذ شاءت القدرة الإلهية أن تفقد الجزيرة العربية قائدها الفذ سعود الكبير في هذه الظروف الحرجة من تاريخ بلاده ونشوب خلافات بين أفراد الأسرة السعودية على من يرث السلطة.

(٧) انشقاق بعض القبائل النجدية ضد عبدالله بن سعود الأمير الجديد الذي كانت تنقصه الخبرة ودهاء والده.

عند توافر كل هذه الظروف لمحمد علي قرر مهاجمة القوى السعودية مجتمعة شماليها وجنوبيها في معركة بسل جنوب الطائف بقيادة فيصل بن سعود شقيق عبدالله يساعده طامي بن شعيب وبخروش بن علاس وبن شكبان وغيرهم من زعماء عسير.

اختلفت الاستراتيجية لاشتراك عناصر متغايرة في التكتيك الحربي لأن لأبناء الجبال طريقتهم في القتال تختلف عن طريقة عرب الصحراء.

وكان الأمير سعود الكبير قد أوصى قبل وفاته أبناءه بألَّا يشتبكوا مع العدو في حرب مكشوفة إلا أنهم خالفوا وصيته وهذا تكتيك معروف لدى العسيريين إلا أن القيادة كانت بيد الطرف الثاني في الوقت الذي كا ن محمد علي على قدر كبير من الدهاء في إحكام خطته. فحصلت الهزيمة للقوى السعودية المشتركة وقاتل الرجال فيها قتال الأبطال. وتعتبر هذه المعركة على حد قول الرافعي عند تأريخه لعصر محمد علي من أكبر وأهم المعارك في تاريخ مصر العسكري الحديث.

كانت الخسائر في هذه المعركة كبيرة وفادحة حيث فقد السعوديون حوالي ١٥٠٠ من الرجال «وأقسم ثلاثمائة مقاتل من عسير بالطلاق من نسائهم إنهم لن يولوا الأدبار للأعداء فقاتلوا بشراسة إلى أن نفدت ذخيرتهم عندها استسلموا وقتلوا جميعًا أشنع وأشر وأهمج قتلة بالخازوق وهي طريقة بربرية وحشية لم تعرفها الجزيرة العربية من قبل في مدن الحجاز الثلاث الرئيسة بعد أن كان محمد علي قد وعدهم بالعفو.

٧ ـ عاد طامي إلى بلاده ينظم قواه كما عاد أيضًا بخروش بن علاس أشجع وأشهر فارس عرفته الجزيرة العربية في تلك الفترة، لتنظيم صفوف المقاومة لمواجهة العدو الزاحف باتجاه البلاد.

كما عاد بن شكبان وغيره من شيوخ بيشة إلى بيشة ينظموا صفوفهم من جديد أما فيصل بن سعود فقد عاد إلى نجد وتركت أبواب تربة مشرعة أمام محمد علي تلك المدينة التي قاومت أكثر من هجوم بقيادة الأميرة غالية المرأة التي لم يكتب عنها التاريخ بعد.

بعد أن استراح محمد علي عدة أيام في تربة تقدم إلى بيشة مفتاح عسير وبوابتها الرئيسة بقصد التقدم إلى بلاد عسير للقضاء على قوة طامي عدوه اللدود الأول والذي وصفه محمد علي في إحدى رسائله إلى السلطان «أنه أي طامي الأكثر خطرًا وذكاءً ويقود ٢٥,٠٠٠ ألفًا من الرجال جميعهم فرسان ومجهزون بالبنادق والمدافع» وذكر أيضًا أنه لا يستطيع التأمين على الحجاز طالما أن طامي ما زال قويًا وقال أيضًا: «إن القضاء على المقاومة في عسير سيفتح في وجهه أبواب اليمن» حيث تكمن مطامع محمد علي المادية في ثروات تلك البلاد.

سقطت بيشة بعد مقاومة قصيرة لأن المقاومة معظمها من العناصر البدوية سرعان ما تفرقوا في الآفاق.

واصل محمد علي مسيرته إلى أن وصل إلى خميس مشيط وعقد صلحًا مع مشيط أمير شهران كما أشار في تقريره.

كان ينوي التقدم باتجاه طبب عاصمة طامي ولكن خطوط إمدادات جيشه أصبحت عرضة لهجمات بخروش بن علاس الذي أخذ يغير على حاميات وخطوط مواصلات جيش محمد علي.

قرر محمد علي العودة إلى بلاد بخروش حيث داهمه في قلاعه وكان بخروش من الصعب القبض عليه إلا أن مجموعة من قومه قبضوا عليه وسلموه لمحمد علي مقابل العفو عنهم وعن ممتلكاتهم . وما زال محمد علي يتذكر رسالة بخروش التي أرسلها له وهو لا يزال بالحجاز يقول فيها ما معناه «إذا كانت هذه جنودك فخير لك أن تعود إلى حرمك والتمتع بمنظر مياه النيل وإلا فاحضر رجالاً غيرهم» .

فرغ محمد علي من أحد الخصوم الأقوياء وأصبح طامي الهدف الوحيد في الميدان وقد دبر الخطط للدفاع عن عاصمته وبلاده ولكن قوة جيشه لا تتناسب مع قوة جيش خصمه فلقد سقطت طبب بما فيها من ذخائر وتموين كانت خير عونٍ للجيش المصري في القضاء على آخر معقل من معاقل عسير أما طامي فقد قاوم على رأس جيشه مقاومة الأبطال ولكن أخيراً لجأ إلى تهلل حصن عسير الحصين يدير حرب العصابات ولكن تكالبت عليه الظروف من كل جانب فلجأ إلى تهامة فقبض عليه أعداؤه وسلموه للشريف راجح الذي كان على رأس فرقة عسكرية من الخيالة للبحث عنه وسُلِّم لمحمد علي .

وضع طامي ورفيق سلاحه بخروش بن علاس في قيد واحد حاول بخروش الهرب وقتل أثناء تلك المحاولة عدد من ضباط الأتراك فقتله محمد علي صبراً أي أمر جنوده بقتله طعناً بالحراب وعلى بطء حتى مات رحمه الله ولم يتأوه ولا بكلمة واحدة . وقطع النصف الأعلى من جسمه ووضع في خرج على رحالة طامي حتى وصل إلى القاهرة حيث شهر بطامي وما تبقى من جسم بخروش يرافقه على رحالة التشهير وأرسلا معًا إلى استانبول حيث شُهر بطامي قبل قتله وظل هو وزميله في البطولة والفداء والوطنية متلازمين حتى النفس الأخير لطامي .

٨ ـ لم تمت مقاومة شعب عسير بإلقاء القبض على طامي وتدمير عاصمته وتعيين شيوخ جدد من قبل محمد علي كما كان يعتقد وكما أشار إلى ذلك في تقاريره . وبترك

حاميات عسكرية قوية في البلاد وبأخذه الكثير من أبناء الشيوخ والأمراء كرهائن معه إلى مصر لكي لا يثور آباؤهم من بعدهم كل هذا كان وهمًا. إنه يجهل الروح المحبة للاستقلال والمتلهفة للحرية التي يحملها كل إنسان من أبناء هذه. البلاد فلقد عبر عن هذه الروح الوطنية لدى أبناء عسير دوسري بن محمد أبو نقطة والذي كان أحد الرهائن الشبان الذين اصطحبهم محمد علي معه إلى مصر حيث قال في لقاء مع الرحالة الفرنسي موريس تماسيه في سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م ما نصه: «عندما تمكن باشا مصر من هزيمة الوهابيين في معركة بسل عبر من خلال وادي بيشة وتقدم إلى عسير لغرض احتلالها. ومن أجل ضمان ولاء شعب عسير قام بأخذ أولاد الأمراء والشيوخ كرهائن وأخذ يخوِّف آباءهم بأنه في حالة أي تمرد أو عصيان ضد حكمه فإنه سيقوم بقتل أولادهم. ولكنه لم تمض إلا فترة قصيرة على مغادرة نائب السلطان (يعني محمد علي) للأراضي العسيرية مخلفًا بها حاميات عسكرية حتى أصبح السكان لا يطيقون وجود هذه الحاميات المعادية على أرضهم حيث بدأت حرب الاستقلال والتي انتهت بإخراج الأتراك نهائيًا إلى ما وراء حدود عسير. والآباء يدركون تمامًا ما قد سيحدث لأبنائهم ولكن حب الحرية طغى على العطف الأبوي لديهم والفرد يضحي بالعائلة من أجل مصلحة الأمة». انتهى النص.

٩ ـ قاد المقاومة العسيرية محمد بن أحمد المتحمي وكافح كفاح الأبطال من أجل الاستقلال بل وفي هذه الأثناء كان محمد علي قد أرسل ابنه إبراهيم باشا على رأس جيش كبير لحرب الدرعية لم يتوان زعماء المقاومة في عسير وبلادهم محدقة بها الأخطار من كل جانب من أن يمدوا يد العون والنجدة للدرعية بأن أرسلوا ألفي مقاتل. وعند انتهاء إبراهيم من الإطاحة بحكومة الدرعية وتدمير عاصمتها صدرت الأوامر إلى معظم القوات المصرية في الجزيرة بالتوجه إلى عسير لضرب الثورة هناك. وهذا ما حدث إذ هُزمت عسير عسكريًا ولكنها لم تهزم سياسيًا حيث قبض على قائد المقاومة وأرسل هو بدوره إلى مصر وله قصائد عظيمة في الوطنية والحنين إلى الأهل والوطن.

١٠ ـ وهنا تنتقل قيادة المقاومة من عائلة المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إلى قادة جدد ينتمون إلى قبيلة بني مغيد وهم سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل يساعدهما ابن عمهما الأمير الشاب الشجاع عايض بن مرعي.

في عهد الأول تكالبت الحملات المصرية التركية مضافة إلى أطماع شريف مكة محمد بن عون الذي كان يطمح في أن يصبح حاكمًا لعسير وأن تصبح عسير تابعة لشرافة مكة لما تكونه من أهمية اقتصادية وعمق استراتيجي تضمن به سلامة الحجاز من أي اعتداء إلا أن زعماء المقاومة دحروا الغزاة وأطماعهم بعد أن أنهكت الحروب الناس وتضرر الاقتصاد وتعد فترة سعيد بن مسلط وفترة سلفه أحمد بن محمد من أتْعَس الفترات في تاريخ المنطقة لكثرة الحملات العسكرية على البلاد.

أما فترة علي بن مجثل وهي الواقعة ما بين ١٢٤٢هـ ـ ١٢٤٩هـ فتعد فترة انتقالية في تاريخ منطقة عسير لعدة أسباب.

١ ـ لحسن السياسة التي انتهجها لاستقطاب الأهالي والقبائل من حوله.

٢ ـ انشغال محمد علي بالتوسع في بلاد الشام وإن كان هذا لا يعني أنه أهمل شئون عسير والتي أصبحت بالنسبة له مشكلة شخصية على رأي أحد القناصلة البريطانيين في القاهرة حيث يذكر في تقاريره أنه لا يقابل محمد علي إلا وقضية عسير من القضايا التي تشغل باله.

٣ ـ حدث في عهد هذا الأمير حادث مهم وهو ثورة بعض الفرق في جيش محمد علي في الحجاز بقيادة تركجه بلماز أحد الضباط الألبان فتم الاتصال بين علي بن مجثل وقائد التمرد استعد الأخير بمساعدة علي بن مجثل ضد قوات محمد علي التي ترابط في أبي عريش وتم اتفاق بين القائدين يدفع بموجبه علي بن مجثل مساعدات عسكرية ومالية للفرق المتمردة وهم يفتحون الموانىء اليمنية باسم الأمير علي.

٤ ـ أرغم الأمير علي بن مجثل قبائل يام على طاعته وقضى على أعوانها من أشراف أبو عريش.

٥ ـ امتدت سلطة عسير في عهده من الطائف شمالاً إلى ميناء المخاء جنوبًا وإلى وادي الدواسر شرقًا وجزر دهلك قرب الطرف الثاني من البحر الأحمر.

٦ ـ نال شهرة عظيمة في الداخل والخارج في الداخل لعدله وسيرته الحسنة في رعيته وفي الخارج لإقدامه وحنكته السياسية.

٧ ـ كان أول من نقل عاصمة عسير إلى أبها وابتنى بها قصرًا في مفتاحة ما زالت آثاره قائمة إلى اليوم ولنقل عاصمته هدف سياسي واقتصادي.

٨ ـ اشتهر بتسامحه وحبه للعلم والعلماء فكثرت المدارس في عهده نتيجة للاستقرار الذي ساد البلاد وأصبح للدولة هيبة عظيمة في عهده وابتنى قلاعًا كثيرةً في أماكن متفرقة من بلاده الواسعة أهمها قلعة دار النصر التي أقامها في أبي عريش.

يذكر موريس تماسيه أن علي بن مجثل كان يملك ثلاثمائة فرس من أجود أنواع الخيول في الجزيرة العربية. وشجع أبناء المنطقة على اقتناء الخيول حتى أنه قال «تماسيه» أن أكثر وأجود أنواع الخيول توجد في عسير.

٩ ـ قام حليفه بالأمس قائد حركة التمرد الألباني وكان مقره في المخا بأعمال تتنافى مع المبادىء التي يدعو إليها علي بن مجثل فأعد جيشًا عظيمًا وقاده بنفسه إلى الموانىء اليمنية وطرد تركجه بلماز منها واستولى عليها وعيّن عليها قواد من قبله. وأثناء عودته أصيب بمرض لم يمهله طويلاً حيث قدم إلى ربه راضيًا مرضيًا مخلفًا وراءه من الأبناء الذكور اثنين الأكبر ويدعى عايض والأصغر ويدعى محمد. إلا أن الإمارة انتقلت للأمير عايض بن مرعي.

١١ ـ عهد الأمير عايض بن مرعي ١٢٤٩ ـ ١٢٧٢هـ وهو أطول عهد عاشه أمير عسيري. جاء عايض إلى الحكم وعسير في أوج قوتها وعظيم مجدها وكان من الرجال المؤهلين لحكم بلاد واسعة أرجاؤها لما يملكه من مواهب قيادية وخبرة طويلة اكتسبها من خلال مشاركته في الحروب والإدارة معًا. ولعل هذا السبب الذي حدا بالقائد الراحل أن أوصى له بالإمارة من بعده، لاسيما في الوقت الذي جاء الأمير عايض إلى

سدة الإمارة كانت القاهرة قد أعدت حملات عسكرية قوية واحدة عن طريق الساحل والأخرى عن طريق الطائف للقضاء على قوة عسير نهائيًا والتي كانت وما زالت هي حجر العثرة في طريق تحقيق طموحات محمد علي في تأسيس امبراطوريته والتي كان يحلم في إقامتها في المشرق العربي إلا أنه كما قال المؤرخ الأمريكي «بيلي وايندر» والمتخصص في تاريخ الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر ومؤلف كتاب «الدولة السعودية في القرن التاسع عشر» قال: «إن سقوط عسير هو المفتاح لتحقيق أطماع محمد علي في الجزيرة العربية».

اتخذ محمد علي لنفسه أعذار هذه المرة في غزو عسير حيث يذكر الرحالة تماسيه أن العذر الذي تذرع به الباشا في غزو منطقة عسير هو اعتداء أمير عسير علي بن مجثل على حليفه شريف أبو عريش والذي ما إن سمع هذا الأخير بقدوم حملة محمد علي البحرية ضد عسير حتى سارع في إخراج حامية عسير من دار النصر فجهز عايض بن مرعي جيشًا لغزو أبو عريش فكان عذر شريف أبو عريش أن تبعيته لعسير انتهت بوفاة الأمير علي بن مجثل فشدد عايض الحصار على أبو عريش وفي هذه الأثناء تقدمت أساطيل محمد علي لتفك الحصار وتستولي على المدينة وميناء جيزان بحجة مساعدة حليفهم. وعلم عايض بالحملة التي يقودها أحمد باشا ابن أخت محمد علي وقائده في الحجاز يرافقه الشريف محمد بن عون ودوسري أبو نقطة معينًا أميرًا لعسير عند تحريرها من حكومتها الوطنية. وتعتبر هذه الحملة من أكبر الحملات التي شنت ضد عسير لا من حيث عدد الجنود ولا من حيث حداثة التسليح. ويرافق قائد الحملة خبراء عسكريون أجانب من مختلف الجنسيات الأوربية وانضم إلى الحملة بالإضافة إلى المذكورة أسماؤهم أعلاه الشريف منصور الذي كان شريفًا لغامد وزهران في عهد ما قبل علي بن مجثل والشيخ سلطان بن عبده أحد شيوخ قبيلة علكم الذي لجأ إلى حاكم الحجاز وشريف مكة هربًا من الأمير علي بن مجثل واللذين وعداه بأن يعيداه إلى رئاسة قبيلته. وانضم إلى الحملة كثير من القبائل أهمها قبيلة يام التي تريد أن تنتقم لنفسها من سطوة الأمير علي بن مجثل.

أسرع الأمير عايض عائدًا إلى عاصمة بلاده ليعد العدة لمواجهة تلك الحملة المصرية فاجتمع بكبار قادته وحكام مقاطعاته للتشاور في الأمر فقرر الجميع الصمود أمام هذا الغزو والعمل على جميع الترتيبات الكفيلة بضمان نجاح المقاومة. حاول عائض ومجلس مشورته سلوك الطرق السلمية أولاً في صد هذا الغزو بأن بعثوا بوفد لمقابلة أحمد باشا، وهو ما يزال في الطائف، يرأسه شخص يدعى هنيدي.

يقول موريس تماسيه الذي سجل أحداث هذه الحملة من بدايتها إلى نهايتها لكونه كان مشاركًا فيها ككاتب للبعثة الطبية «بأنه أثناء إقامتنا في الطائف شهدنا وصول مندوب للأمير عايض يحمل مشروعًا للتفاوض بين الأمير عايض وقائد الحملة بدأ المندوب العسيري حديثه بقوله: حقيقة أن عسير قامت بخطأ ضد محمد علي باعتدائها على بلاد حليفه شريف أبو عريش والذي كان تحت حمايته والأمير عايض فوضني بتقديم خمسمائة ألف ريال فرانس تعويضًا عن خسائركم مقابل العدول عن مواصلة حملتكم لغرض قتالنا».

كان جواب الباشا: «لم يبعثني محمد علي لأجمع نقودًا من هذه البلاد إنما بعثني لأكون سيدًا لعسير ولذلك إذا كنتم أقوياء فاصمدوا لقتالنا وإذا كنتم ضعفاء فأعلنوا خضوعكم لمحمد علي ولكن يجب أن تتذكر أنه في أي الحالتين العَلَم ذا النجمة والهلال سيرفع عاليًا على سواري أبراج قلاعكم في خلال ثلاثة شهور».

فكان جواب المندوب العسيري «نستطيع أن نضحي بأموالنا ولكن لن نضحي باستقلالنا والمستقبل ستقرره قوتنا الحربية والله سيقف مع الحق. ثم غادر عائدًا إلى بلاده». انتهى النص.

واصلت الحملة مسيرتها حتى وصلت إلى بيشة التي كانت خاضعة لإمارة عسير

ولم يكن أمامها مقاومة وإنما دخلتها سلمًا على أثر انسحاب الحامية العسيرية منها. استقرت في بيشة واحدًا وعشرون يومًا ثم واصلت مسيرتها بعد أن تزودت بزاد ووسائل للنقل أجبر المواطنون على تقديمها. أما حاكم بيشة ويدعى بن دهمان من قبل الأمير عايض فقد عاد إلى عاصمة رئيسه هو وموظفيه قبل وصول الحملة. وأصبحت بيشة بدون حاكم فعُين الشريف محمد بن عون حاكمًا عليها وتزوج من بنت الشيخ علي الصعبري شيخ بني سلول. وكان الشريف هو أيضًا له أطماع في ضم بيشة إلى الحجاز لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية وأطماع هذا الشريف قديمة كما أشرت من قبل في أن يكون له نفوذ في إقليم عسير.

استأنفت الحملة مسيرتها، وهي تتعرض من وقت لآخر لمناوشات وغارات بعض القبائل مثل بني واهب وبني منبه وناهس حتى وصلت إلى خميس مشيط حيث كان أول التحام بين قوة الطرفين. كانت خميس مشيط محكمة في غاية الإحكام من الناحية العسكرية تحت قيادة شيخها مشيط بن سالم وابنه علي وغيره من قادة الإقليم وكان الأمير عايض قد وضع خطة لتطويق العدو ولكن هذه الخطة كُشف عن سريتها بواسطة أقرباء دوسري أبو نقطة وكذلك سلطان بن عبده الذي كان يطمع في أن يكون شريكًا في حكم عسير وقبيلة ربيعة ورفيدة الذين تظاهروا بالولاء للأمير عايض إلا أنهم كانوا يتصلون سرًا بدوسري لإطلاعه على خطط الأمير عايض ومكامن قوته ومكامن ضعفه وهذا الأخير يبلغها لقائد الحملة. وهذا في اعتقادي من الأسباب المباشرة في هزيمة جيش عسير في مدينة خميس مشيط والتي شهدت أفظع المذابح وأبشع الصور الإجرامية في حق المحاربين من أبناء عسير. خسرت عسير في تلك المعركة أكثر من خمسمائة قتيل عدا الأسرى الذين قُتل الكثير منهم بطريقة همجية ووحشية تحدث عنها موريس تماسيه بكل ألم.

بعد تلك المعركة أصبح الطريق إلى أبها أمام الجيش الغازي سهلاً حيث تقدم



خريطة تمثل مسار حملة أحمد باشا على عسير عام ١٨٣٤م. أصل الخريطة محفوظ في أرشيف السجلات البريطانية. P. R. O.

حتى اتخذ من مناظر مقرًّا لمعسكره في الوقت الذي انسحب عايض بن مرعي إلى ريدة عاصمته الحُصينة في مثل هذه الظروف واتخذ هو وقادته خطة جديدة في الحرب ألا وهي الحرب التقليدية حرب العصابات التي أقلقت القوات المصرية وأحرجت موقف قائدها ونفدت مئونتهم لأنهم كانوا محاصرين تمامًا وقدم لنا موريس تماسيه أمتع الصور في الطرق الاستفزازية التي كان يمارسها مقاتلو الأمير عايض ضد القوات الغازية بالإضافة إلى ما أورده من أخبار أفراد الحملة وما أحدثوه من تخريب في مدينة أبها وبساتينها وكيف كانوا يقومون بهدم المنازل وأخذ أخشابها لإشعالها في الليل للإنارة خوفًا من فدائيي جيش عايض.

ثم يذكر لنا أن كثيرًا من أفراد الجيش المصري انضم إلى قوات الأمير عايض معبرين عن سعادتهم وتفضيلهم العيش في عسير بحرية ولا عبودية محمد علي. وأخيرًا تقدم قائد الحملة إلى عايض بطلب المفاوضات ويقدم لنا وصفًا لحالة الإبتهاج التي غمرت قلوب الجنود وقادتهم حتى قائد الحملة نفسه حينما قبل عايض بمشروع المفاوضات. وطلب قائد الحملة أن تكون المفاوضات في معسكره حيث أعد سرادقًا لهذه المناسبة وقدم مندوبو عسير بعد مغرب يوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤م. وكان وفد عسير مكونًا من ثلاثة أشخاص، وللأسف لم يورد المصدر أسماءهم ولكن أورد وصفًا لطريقة حديثهم وطريقة لباسهم ووصفًا لملامحهم وهيئاتهم.
وقد دامت المحادثات ثلاث ساعات وأسفرت عن النتائج التالية:

١ - يرحل المصريون في صبيحة يوم الغد. وتكون وجهتهم جهة البحر الأحمر.
٢ - تأمين طريق انسحابهم.
٣ - حصول عسير على استقلالها التام.
٤ - على عسير أن تنسى طلب الإنتقام ضد أي شخص أو أشخاص اشتركوا في هذه الحرب.
٥ - يقوم رؤساء الأمن لدى الأمير عايض بمرافقة الجيش ليضمنوا سلامته من أي اعتداء.

٦ ـ تحديد حدود إمارة عسير.

وهكذا أيها القارىء أصبحت عسير مستقلة تمامًا كأول وحدة سياسية في الجزيرة العربية تحظى بهذا الاستقلال التام.

وما هذه إلا لمحات من تاريخ عسير خلال هذه الفترة.

ومن الملاحظ أن أمراء عسير خلال هذه الفترة أي منذ قبولهم لمبادىء الدعوة الإصلاحية قد قتلوا أو ماتوا جميعهم وهم يناضلون في سبيل العقيدة مثل الأمير محمد بن عامر والأمير عبدالوهاب بن عامر أو قتلوا وهم أيضًا يناضلون من أجل العقيدة والوطن معًا مثل الأمير طامي بن شعيب والأمير محمد بن أحمد المتحمي والأمير علي بن مجثل توفي وهو عائد من حرب كان يخوضها ضد أناس مارقين على الدين مثل (تركجه بلهاز). وكذلك الأمير عايض بن مرعي توفي على إثر إصابته بمرض الكوليرا في تهامة وهو غازٍ ملبٍّ دعوة سكان تهامة اليمن في تخليصهم من ظلم الحكام الأتراك آنذاك. وآخرهم الأمير محمد بن عايض قتل وهو يناضل من أجل حرية واستقلال بلاده.

هذه، أيها القراء، صفحات مشرفة في تاريخ جزء غالٍ من بلادنا.

الهوامش

١ - انظر وثيقة رقم (١).

٢ - انظر وثيقة رقم (٢).

٣ - انظر وثيقة رقم (٣).

٤ - عسير، ص١٤٩.

٥ - جعفر الحفظي: نقلاً عن محمود شاكر الذي انفرد بالاطلاع على هذه المذكرات، عسير، ص١٥١.

٦ - اختلفت المصادر في تحديد السنة التي انضمت فيها عسير رسميًا إلى حكومة الدرعية فحدد مؤلف نفح العود في الظل الممدود «مخطوط»، محمد بن أحمد الحفظي سنة ١٢١٤هـ بأنها السنة التي استولى فيها الأمير محمد بن عامر أبو نقطة على مقاليد السلطة في عسير بعد رحلة أو هجرة إلى الدرعية دامت سنة بدأها في عام ١٢١٣هـ، ورقة ٢ من المخطوطة. بينما محمود شاكر في كتابه «عسير» يذكر فيما أورد اعتمادًا على مذكرات جعفر الحفظي بأن سنة ١٢١٥هـ هي بداية استيلاء محمد بن عامر أبو نقطة على مقاليد السلطة في عسير، ص١٥٢. وهذا التاريخ يمثل بداية تبعية عسير للدرعية. أما المؤرخ اليمني لطف الله جحاف فيذكر في تاريخه «درر نحور الحور العين» الذي لايزال مخطوطًا [والذي يعمل كاتب هذه السطور بالإشتراك مع الدكتور محمد سعيد الشعفي على تحقيق ما يتعلق بعسير ونجد والحجاز في هذا المخطوط] في حوادث ١٢١٢هـ بأن أبي نقطة أخذ في نشر مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منطقة عسير بعد أن تغلب عليها.

٧ - للمزيد من التفاصيل عن غزوة أهل نجران من قبائل يام لنجد وهزيمتهم لأتباع الدرعية، انظر عثمان بن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد»، طبعة دارة الملك عبدالعزيز، ص٣٩٠ وما بعدها.

٨ - العقيلي، ص٤٩٣.

٩ - البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد، نفح العود في سيرة الشريف حمود، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص١٣٠.

١٠ - يذكر أحمد السباعي في تاريخ مكة، ص١٣٢ نقلاً عن خلاصة الكلام عند ذكر الحديث عن حصار جدة ما نصه: «وعنَّ لبعض القبائل في عسير وكانت قد أخلصت في الطاعة أن تحاول فتح جدة فأرسل قائدها عبدالوهاب أبو نقطة إلى عبدالمعين في مكة يقول: خذ لنا بخمسة ريالات دقيقًا وخمسة ريالات سمنًا وخمسة ريالات عليقًا فقد عزمت على فتح جدة وأخاف أن يطول زمن الحصار فأرسل إليه عبدالمعين بما طلب.

١١ - رسالة الأمير عايض إلى شريف أبو عريش حول تحديد حدود إمارة عسير من الجهة الجنوبية الغربية، انظر نص الرسالة، نشرها العقيلي، جـ٢، ص١١١.

دور عسير في أحداث الحجاز(*)
في الفترة ما بين (١٢٦٧ / ١٨٥٠ - ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م)
في عهد الشريف عبدالمطلب على ضوء الوثائق العثمانية

دور عسير في أحداث الحجاز(*)
في الفترة ما بين (١٢٦٧ / ١٨٥٠ ـ ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م)
في عهد الشريف عبدالمطلب على ضوء الوثائق العثمانية

تولى الشريف عبدالمطلب شرافة مكة المكرمة للمرة الثانية[1] في شهر رمضان سنة ١٢٦٧ الموافقة ١٨٥٠م بعد أن رأت حكومة استانبول استدعاء الشريف محمد بن عون وأقالته من منصبه كشريف لمكة. وكان تعيين محمد بن عون شريفًا لمكة سنة ١٨٤١م بناء على وساطة محمد علي باشا والي مصر لدى رجال الدولة في استانبول بتعيينه أميراً لولاية الحجاز بعد عودتها تحت الإدارة العثمانية على أثر انسحاب القوات المصرية منها في ربيع عام ١٨٤١م.

كانت حكومة استانبول تعمل على تقوية قبضتها على زمام الأمور في ولاية الحجاز بشكل خاص وعلى الجزيرة العربية بشكل عام. إلا أنها كانت تخشى من ازدياد نفوذ شريف مكة مع أنها تدرك أن نفوذ الشريف الشخصي والمعنوي لا تنكر أهميته في إخضاع القبائل العربية للسلطة العثمانية. وقد ظهر واضحًا في أثناء شرافة محمد بن عون الذي تمكن من إجبار بعض أمراء الجزيرة العربية على الاعتراف بالسلطة العثمانية من مثل: أمير نجد فيصل بن تركي الذي اعترف بالسلطة العثمانية وتقديم جزية سنوية

(*) نشر هذا البحث في المجلة التاريخية المغربية، للعهد الحديث والمعاصر، السنة العاشرة، العدد ٢٩ ـ ٣٠، يوليو ١٩٨٣م.

لإيالة الحجاز[٢]. وشريف أبو عريش الذي أصبح موظفًا لدى الدولة[٣] وإمام اليمن محمد بن يحيى الذي أعلن خضوعه وولاءه لحكومة السلطان في عام ١٢٦٥[٤] بينما بقيت إمارة عسير مدار حديثنا في هذا البحث هي القوة الوحيدة في الجزيرة العربية التي رفضت الاعتراف بالسلطة العثمانية كما رفضت الاعتراف بسلطة محمد علي من قبل، بل لقد حاربته حتى آخر لحظة من وجود قواته على أرض الجزيرة العربية[٥].

ومن الجدير بالملاحظة أن تاريخ هذه الإمارة لا يزال مجهولاً من قبل الباحثين والدارسين من المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية بشكل خاص والمهتمين بتاريخ العرب الحديث بشكل عام.

لقد ظلت هذه الإمارة تُناضل من أجل الحفاظ على استقلالها الذاتي، مضحيّة من أجل الحرية بأعداد كبيرة من أبنائها الذين استشهدوا في أعنف المعارك التي شهدتها جزيرة العرب في القرن التاسع عشر. وعسير (يا حضرات السادة) هي المنطقة الممتدة بين الحجاز شمالاً واليمن جنوبًا ومن البحر الأحمر غربًا إلى أطراف الربع الخالي شرقًا. منطقة تغلب عليها الطبيعة الجبلية وهي مأهولة بما يربو على المليونين من السكان يمتهن الأغلبية الساحقة منهم الزراعة، وهم يقطنون فيما يزيد على عشرة آلاف قرية، أي أن في إقليم عسير أعلى نسبة سكانية في المملكة العربية السعودية اليوم. لم تكن عسير في أثناء فترة استقلالها في منأى عما كان يحدث في ولايتي الحجاز واليمن العثمانيتين، لاسيما وموقع عسير يمثل أهمية قصوى من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية لكل من هاتين الإيالتين.

وفي مناسبات كثيرة اتجهت أنظار مواطني الإيالتين المذكورتين إلى أمراء عسير يطلبون منهم إزاحة المظالم التي كان يمارسها بعض الولاة ضد المواطنين[٦] أو يشكون من عدم استتباب الأمن في المناطق التابعة لأي من الولايتين لعدم مقدرة الولاة العثمانيين

من السيطرة على بعض القبائل التي اعتادت قطع الطرق وإشاعة الفوضى أو ممارسات في الحكم لا تتفق مع روح الشريعة الإسلامية كما حدث في ولاية الحجاز في عهد الشريف عبد المطلب. وهذه القضية بالذات هي ما سيكون مدار تركيز بحثنا هذا عليها. ودور عسير في هذه الأحداث في ضوء الوثائق العثمانية والتي حصلنا عليها أخيراً من أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول. أما هذه الأحداث أو ما تسمى بثورة الشريف عبدالمطلب فكانت لها أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة وسآتي إلى ذكرها عرضًا لا تفصيلاً، لضيق الوقت من ناحية، ولكونها ليست نقطة الاهتمام في هذا الحديث.

أما الأسباب المباشرة فهي، قرار الحكومة العثمانية بمنع بيع الرقيق علنًا في أسواق مدن ولاية الحجاز، فقابل العلماء هذا القرار بالرفض والاحتجاج الشديد الأمر الذي حرك مشاعر العامة فقادوا مظاهرة انتهت بمهاجمة مقر الحكومة وقتل كثير من كبار موظفي الدولة في أثناء وقوع هذه الحوادث كان الشريف عبدالمطلب مقيمًا في مدينة الطائف، ولم يكن حينها في علاقة ودية مع والي ايالة جدة محمد كامل باشا الذي اتهم الشريف بأنه مدبر هذه الأحداث، وأصدر قرارًا بعزله وتنصيب الشريف عبدالله بن ناصر وكالة فكانت ردود الفعل لدى الشريف أن أعلن تأييده علنًا للثوار ضد القرار السلطاني الذي يخالف الشرع الشريف.

أما الأسباب غير المباشرة فهي: أن الشريف عبدالمطلب منذ توليه شرافة مكة في عام ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م وهو على خلاف مستمر مع الولاة العثمانيين مبتدأ بخلافه مع عبدالعزيز الملقب أقة باشا (١٢٦٦/١٨٤٩م) ثم أحمد عزت باشا الذي حلَّ محل الأول وكان من أصدقاء الشريف (١٢٦٩/ ١٨٥٢م) ثم صراعه أخيراً مع محمد كامل باشا الذي أصبح واليًا لإيالة جدة في رجب سنة ١٢٧٠هـ وكان سر هذه الخلافات الصراع غير المعلن بين الشريف لتوكيد سلطته الآخذة في الانحدار وبين الولاة العثمانيين العاملين على تشديد قبضتهم على زمام الأمور في شئون ولاية الحجاز.

وقد استغلوا في سبيل ذلك تأجيج الصراع بين الأشراف أنفسهم؛ وضَرْبِ شريف بشريف آخر، كالصراع بين ذوي زيد الفرع الذي ينتسب إليه الشريف عبدالمطلب وذوي عون الفرع الذي ينتمي إليه الشريف محمد ابن عون، إذ ما أن أدركت الإدارة العثمانية الخطر الذي يُهدِّد نفوذها من ازدياد نفوذ الشريف محمد بن عون حتى أقالته وأحلت محله الشريف عبدالمطلب بالرغم من علاقات الأخير الشخصية بكبار موظفي الحكومة في استانبول وعلى رأسهم الصدر الأعظم رشيد باشا. إلا أن الشريف عبدالمطلب كان يدرك أن سلطة شريف مكة قد أخذت في التضاؤل وأنه لم يعد إلا وسيلة لاستغلال نفوذه في إخضاع القبائل العربية للسلطة العثمانية. لذا فقد انتهج الشريف عبدالمطلب سياسة التقريب من القبائل العربية لا لإخضاعها لسلطة استانبول بل تحريضها على الثورة ضد الإدارة العثمانية بدليل وقوفه مع ثورة الحجاز ودخوله في علاقات ودية مع أمير عسير مستغلاً أحداث مكة، ونشرها بين القبائل وهذه سياسة مغايرة للسياسة التي كان ينتهجها سلفه الشريف محمد بن عون الذي وظف كل نفوذه لإخضاع القبائل العربية لنفوذ سلطة حكومة استانبول كما فعل ذلك من قبل لصالح حكومة محمد علي باشا، وهي السياسة التي انتهجها أبناؤه وأحفاده من بعده.

وانطلاقًا من سياسة استغلال الشريف عبدالمطلب لأحداث الحجاز قام بمساعدة بعض العلماء والوجهاء الذين انضموا إلى جانبه ببعث الرسائل إلى رؤساء العشائر يطلعونهم على أسباب ثورة الحجاز مركزين على الجانب الديني لما له من تأثير في نفوس أبناء الجزيرة العربية، متهمين الإدارة العثمانية في الحجاز بالانحياز إلى جانب النصارى الممثلين في قنصلي فرنسا وبريطانيا في جدة للتآمر ضد الإسلام والمسلمين لما لحكومتيهما من دور في التأثير على السلطان بإصدار قرار منع بيع الرقيق. وللأسف أننا لم نحظ بشيء من نصوص هذه الرسائل وما تحتويه من أسباب أوضحوها لغرض الإثارة ولكننا نجد أمثلة لها فيما ورد في كتاب أرسله (بعثه) شيخ الإسلام راغب أفندي إلى علماء

مكة وأهلها حول هذا الخصوص، وقد أورد نصه المؤرخ التركي المشهور جودت في تذاكره تذاكر جودت[٧].

«الباعث لتحرير هذا الكتاب هو أنه قد وصل إلى سمعنا وتحقق عندنا أن بعض المتجاسرين الطامعين من متاع الدنيا قد اختلفوا (اختلقوا) من عند أنفسهم أكاذيب غريبة واخترعوا من حيث جبلتهم أباطيل فظيعة من أن الدولة العلية العثمانية ارتكبت ـ والعياذ بالله تعالى ـ أمورًا منها المنع عن بيع العبيد والإماء ومنها المنع عن الأذان[٨] على المنارات. ومنها المنع عن احتجاب النساء وستر عوراتهن ومنها الأمر يكون الطلاق بأيدي النساء. ومنها الاستعانة بقوم ليسوا على ديننا، واتخاذ الأعداء بطانة وأولياء دون المؤمنين ما هذا إلا أفك مفتري فأشاعوها في تلك البلدة الطيبة لأجل حبهم في الدنيا الذي هو رأس كل خطية[٩] وجمع حطامها[١٠] وتخصيص الرئاسة لأنفسهم». يعني في هذا عبدالمطلب.

ومن المعروف أن الشريف عبدالمطلب لا يرتبط مع الإنجليز بعلاقة ودية بعكس الشريف محمد بن عون وأولاده إذ وصف القنصل الإنجليزي في مدينة جدة جيمس زغـرب (J. Zohrab) الشريف عبدا لمطلب حين تعيينه للمرة الثالثة شريفًا لمكة سنة ١٨٨٠م بأنه غادر وقاس مبغض للنصارى وفي قلبه تعصب وهابي[١١].

هذا بالإضافة إلى صراعه مع الولاة العثمانيين فإن الأخيرين قد استقطبوا إلى جانبهم مجموعة من السادة الحضارمة المقربين من الشريف محمد بن عون وقد عمد هؤلاء السادة بالتعاون مع الولاة وبتحريض من الشريف محمد بن عون وأولاده إلى خلق المتاعب للشريف عبدالمطلب، وكان على رأس هؤلاء السادة: السيد إسحاق بن عقيل الذي ما فتىء يكتب الشكاية بعد الأخرى إلى حكومة استانبول ضد الشريف عبدالمطلب[١٢].

بعد هذا العرض لموقف مراكز القوى في ولاية الحجاز من الشريف عبدالمطلب وموقفه منها نجد أنه لم يكن له بدّ من البحث عن حليف قوي يركن إليه، وقد وجد هذا الحليف ممثلاً في شخص أمير عسير عايض بن مرعي أقوى الشخصيات السياسية في الجزيرة العربية وأكثرها تأثيراً وأشدها معارضة للحكم العثماني.

تعود علاقة الشريف عبدالمطلب بأمراء عسير إلى عام **١٢٤٣هـ** العام الذي لجأ فيه إلى عسير على أثر فشل ثورته ضد محمد علي باشا حينما رفض الأخير الموافقة على تعيينه شريفًا لمكة، وكان قد خلع عليه لباس الشرافة حاكم الحجاز العسكري أحمد باشا قبل شهور قليلة من رفض محمد علي لهذا التعيين[١٣] وعين محمد علي الشريف محمد بن عون بدلاً عنه، فقامت بين الشريفين حروب طويلة انتصر فيها ابن عون لصالح محمد علي ولجأ عبدالمطلب مع أخيه علي بن غالب وأعوانهما إلى أمير عسير علي ب مجثل العدوّ اللدود لكلّ من ابن عون ومحمد علي[١٤] فقابلهم بالحفاوة والإكرام ومكثوا عنده سنتين توجهوا بعدها إلى بغداد ثم إلى استانبول[١٥]. ومن المؤكد أن الشريف عبدالمطلب أسس في أثناء إقامته في عاصمة عسير علاقات حسنة مع القادة العسيريين وعلى رأسهم الأمير عايض بن مرعي خليفة الأمير علي بن مجثل والمعاصر للشريف غالب في أثناء إمارته الثانية. بدليل تقارب وجهات نظرهما التي ظهرت جلية في أثناء إعلان الشريف لثورته في شهر صفر **١٢٧٢هـ** وتأييد أمير عسير لهذه الثورة.

سبق الإشارة إلى أن الشريف عبدالمطلب كان في صراع مستمر مع الولاة العثمانيين الذين يتّخذون من جدة مقرًّا. إلا أن الصراع ازداد حدّة في عهد الوالي أحمد عزت باشا الذي كان أول من كتب إلى الصدارة العظمى مشكّكًا في إخلاص الشريف عبدالمطلب محذرًا من تقاربه مع أمير عسير عايض بن مرعي الأمير الوحيد في الجزيرة الذي لا يعترف بسلطة الحكومة العثمانية.

لم تكن أحداث عام ١٢٧٢هـ السبب الوحيد للتدخل العسيري في الأوضاع الـداخلية لولاية الحجاز بل كانت هناك أسباب أخرى وهي ما كشفت عنها الوثائق العثمانية الممثلة في رسائل والي جدة أحمد عزت باشا إلى الصدارة العظمى مشيرة إلى أن اتفاقًا ضمنيًّا قد تم بين الشريف عبدالمطلب وأمير عسير عايض بن مرعي إذ كان الأول يعمل على استقلاله بولاية الحجاز، ولكن لا بد له من حليف قوي مثل الأمير عايض الذي تمكن من مد نفوذه واستيلائه على بعض المناطق التابعة لولاية الحجاز[١٦] إلا أن الشريف عبدالمطلب يرد على تهمة الوالي له بالتواطىء مع أمير عسير حينما كتب إلى الصدارة العظمى مبررًا موقف أمير عسير من المناطق التي أشار إليها الوالي في تقريره بأن حركة الأمير عايض لم تكن رغبة في التوسع على حساب أراضي الولاية بل كانت «لتربية بعض رعاياه وإصلاحهم وفي الواقع أنه كما ذكر وأعلمني فإنه لم يتجاوز حدوده وأنه قام لمواجهـة مخالفيه من القبائل ثم عاد إلى محله»[١٧] ولكن يبدو أنه من المحقق أن اتفاقًا بخصوص الحدود بين ولاية الحجاز وإمارة عسير قد تم بين الشريف عبدالمطلب والأمير عايض بن مرعي بدون علم والي جدة فقـد كتب الأخـير إلى أمير عسير محتجًّا على احتلال القوات العسيرية لبعض المناطق على ساحل البحر الأحمر مثل دوقة «والاحسبة» فجاء رد أمير عسير على لسان أميره على المناطق الساحلية الشمالية (لإمارة عسير الشيخ لاحق بن أحمد الزيداني) والذي بعث برسالة إلى محافظ القنفذة التابعة لولاية الحجاز يخبره بأن كتب الـوالي وصلت إلى الأمير عايض ويشير إلى أن اتفاقًا قد تمّ فعلاً بين الشريف عبدالمطلب وأمير عسير أصبح بموجبه أن من «حلي» إلى «الاحسبة» حكمه لعسير. ومن «الاحسبة» وشمالاً حكمه للدولة[١٨]. وقد شاع في ولاية الحجاز أن أمير عسير باستيلائه على «دوقة» والأحسبة القريبتين جدًّا من المدن الحجازية الرئيسية ما هي إلا خطوة أولى تمهيدًا للاستيلاء على الإيالة كلها[١٩]. كما بعث الأمير برسائل إلى كل من وإلى جدة الجديد محمد كامل باشا الذي خلف أحمد عزت باشا والي علماء مكة المكـرمـة انـطوت على عدم رضاه بما حل بالأراضي المقدسة من جنوح عن الشريعة الغراء[٢٠] إلا أن محمد كامل باشا لجأ إلى تجنيب الولاية مواجهة صدامية مع أمير عسير

والـدخول معه في حوار لغرض توضيح الحقائق، فبعث بأحد كبار قادته المقدم علي أفندي في مهمة خاصة إلى القنفذة للتحقيق في أحوال الأمير. . . وتطييب باله «على حد تعبير الباشا في تقريره إلى الصدر الأعظم[٢١] كما بعث وبصورة سرية بشخص يدعى عبوش بريدي وهو عسيري الأصل وصف الوالي مهمته بأنها لغرض «استراق السمع واختطاف النظر ومعرفة الحوادث[٢٢]. وقد بعث كل من المندوبين بتقارير إلى الوالي لاطـلاعـه فيهـا على نوايا الأمـير، وأن الأخبار التي وصلت إليه والتي وصفها الوالي «بالأخبار الكاذبة» التي كان يروج لها الشريف عبدالمطلب «بأنها كانت العامل المحرك لأمير عسير[٢٣]. ويشير إلى أن الأمير عايض قد اطلع على الحقيقة وأدرك وتيقن الأمور معلنًا صداقته. . . نحو السلطنة السنية»[٢٤]. كما بعث المقدم طلعت الموجود بالقنفذة بتقرير إلى والي جدة يطلعه على ما حصل عليه من أخبار تنم عن المشاعر الطيبة التي يكنها أمير عسير نحو والي جدة إذ يقول: «حصلت على بعض أمور العسيري، من مملوككم سليم قحطان الموجود هنا (يعني في القنفذة). وقد قال: بأن العسيري جمع حولـه كل مشائخ العربان الموجودين وقد طلبوا من عايض ابن مرعي الترخيص لهم بالحج في هذه السنة المباركة فأذن لهم ثم إن المشائخ طلبوا منه أن يكون لهم وكيل يختارونه منهم كما كان الأمر في السنوات السابقة. فقال بملء فمه مجيبًا وكيلي حضرة صاحب الدولة كامل باشا. . . اذهبوا آمنين إلى الحج وعودوا سالمين لن يصيبكم ضرر. وإذا أصابكم ضرر فأنا آخذه بوجهي». إلا أن هذا التقارب لم يغير موقف أمير عسير من المناطق التي أصبحت تحت إدارته بموجب الاتفاق الذي أبرم بينه وبين الشريف عبدالمطلب. كما لم يتغير موقفه من مساندة الشريف عبدالمطلب، وإن كانت مصادرنا لم تسعفنا بالحصول على شيء من المكاتبات التي كانت تدور بين الأمير عايض والشريف عبـدالمـطلب. إلا أن الوالي محمد كامل باشا يؤكد في تقرير مطول رفعه إلى الصدر الأعظم التحالف بين أمير عسير وشريف مكة إذ يقول:

«كان الشريف المشار إليه (يعني عبدالمطلب) منذ ولي مهام الوظيفة في الحجاز يُبيّت في نفسه أمرًا بأن تكون (له) السلطة المستقلة ساعيًا وراءها باحثًا عن مساعد يثير

القبـائل فلم يجد هنا غير الأمير عايض بن مرعي أمير عسير الذي استعان به ودفعه لترويج مقاصده ملوحًا له بوسائل الاتحاد (بين عسير والحجاز). وفي بادىء الأمر جعل غامد وزهران[٢٥] المنطقتين الجسيمتين من الأراضي الحجازية والمرفأ الممتاز (حلى) تحت تصرف ذلك الأمير على شروط معينة تتفق مع أمانيه الفاسدة في توطيد أساس الاتحاد المنشود، وفي الآونة الأخيرة لم يدع وسيلة من وسائل تطييب خاطر الأمير إلا ولجأ إليها لتوثيق الصلة بينهما متظاهرًا بالبغي والعصيان وادعاء السلطان. وكان يوفد للأمير رسله ورسائله استمدادًا[٢٦]».

أما موقف أمير عسير والأسباب التي أدت إلى تدخله وضم بعض أجزاء المناطق السـاحلية التهـامية إلى سلطتـه فقـد أوضحه أميره على تهامة الشيخ لاحق بن أحمد الزيداني في رسالة مشتركة وجهها إلى قائم مقام القنفذة وشيخ تجارها الشيخ عمر بامحرم بأن الموجب لذلك الإجراء من قبل العسيرين هو لإخماد الفتن التي كانت قد حدثت في تلك الأنحـاء دون أن تستنكر ذلك السلطات العثمانية، وينفي أن تكون استغلالاً للخلافـات النـاجمة بين الشريف والوالي أو لموقف عدائي من قبل أمير عسير ضد السلطات العثمانية إذ يقول:

«حالنا وحال شريف مكة والباشة واحد وركايبهم ومكاتيبهم عندنا»[٢٧].

استفحلت أحـداث الحجـاز بصـدور فرمـان سلطاني يقضي بعـزل الشريف عبدالمطلب من شرافة مكة وتنصيب الشريف محمد بن عون الذي يُقيم في استانبول بدلاً عنه، وتعيين الشريف عبدالله بن ناصر[٢٨] وكيلاً لشرافة مكة ريثما يحضر الشريف ابن عون إلى الحجاز لتولي مهام منصبه الجديد[٢٩]. قابل الشريف عبدالمطلب قرار العزل بالثورة منحازًا إلى الطائف لتأليب القبائل إلى جانبه لمحاربة الوالي محمد كامل باشا الذي اتهمه الشريف عبدالمطلب بأنه هو الذي اتخذ قرار عزله وليس السلطان؛ واتخذ كل من الطرفين الاحتياطات اللازمة لمواجهة الموقف. الشريف عبدالمطلب في

الطائف يعد جيشًا من القبائل لغزو مكة، وقد قام بعدة غزوات لم يكتب لها النجاح لشدة المقاومة العنيفة التي قادها القائمقام الجديد على رأس القوى النظامية وسرايا المشاة المجندة من قبائل بيشة وغيرها من القبائل المحيطة بمكة مثل قبائل عتيبة وهذيل وحرب[٣٠]. كما أصدر الوالي قرارًا بإبطال القرار السابق القاضي بمنع بيع الرقيق مدعمًا بفتوى شرعية أصدرها شيخ الإسلام محمد عارف أفندي ينكر فيها إقدام الدولة العلية على القيام بما يتعارض مع روح الشريعة السمحة. منوّهًا بأصحاب الأهواء والمطامع الذين روّجوا لهذه الدعاية التي لا تخدم إلا مصالحهم الخاصة. ويقصد بذلك الشريف عبدالمطلب ومؤيديه.

قوبل هذا القرار وقرار تعيين الشريف محمد بن عون باستحسان بالغ من قبل علماء ووجهاء مكة المكرمة. عبروا عن فرحتهم بتسطير عريضة شكر وامتنان موقعة من ثمانية وثلاثين عالمًا ووجيهًا بعثوا بها إلى السلطان عبدالمجيد[٣١]. كما بعثوا بخطاب مشترك لم نعثر على نصّه إلى أمير عسير عايض بن مرعي يطلعونه على أن الموجب لأحداث الحجاز قد زال.

ومن الجدير بالذكر أن علماء ووجهاء مكة المؤيدين للشريف عبدالمطلب قد بعثوا برسالة من قبل إلى أمير عسير عند ابتداء الفتنة يستنجدونه في جعل حد للممارسات غير الإسلامية التي حاول من أطلقوا عليهم أعداء الملّة الإسلامية تطبيقها في بلد الله الحرام. وقد أجابهم الأمير عايض بجواب[٣٢] يفهم من محتواه نص الخطاب الذي كان قد بعثوا به إليه والذي يؤسفنا عدم العثور على نصه ضمن محفوظات أرشيف رئاسة الوزارة في استانبول. هذا بالإضافة إلى أن كلًّا من والي جدة محمد كامل باشا وقائمقام إمارة مكة المكرمة الشريف عبدالله بن ناصر قد بعثا برسائل إلى الأمير عايض يطلعانه فيها على استقامة الأحكام الشرعية في الديار المقدسة وأن أسباب الفتنة قد زالت فكان جوابه لهما مثل جوابه لعلماء مكة من أنه قد أعد العدة للقدوم إلى تلك الديار الطاهرة لإزالة المظاهر الشركية إذ يقول:

وصل كتابكم المكرم وفهمت خطابكم المفخم المبشر باستقامة الأحكام الشرعية كما أمر الله في بلد الله المرعية وخمول الأحكام الكفرية من الطائفية النصرانية ومن الأهم من كافة البرية فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على ما هنالك وصادف وصول هذا الخبر وقد فرقنا شوكات المسلمين وحققنا لعساكر الموحدين بغرض الجهاد على كافة العباد لإزالة صدورهم وازداد لنيل الأجور سرورهم ولا وصل إلا وقد نشرت الأعلام وبرزت الخيام وتـزاحفت الجنود من كل فجّ وامتلأ من العساكر الإسلامية كل نهج وقصدنا تطهير بيت الله الحرام وإقامة شرائع الإسلام ونصرة المستضعفين من الأنام وقمع أعداء الله الطغاة الطغام الناقضين من عرى الحق الأحكام المغيرين شريعة المصطفى النابذين ملّة سيد السادات الحنفا وما كان عليه الأربعة الخلفاء فما أن وصلت البشرى صرفنا الهمة إلى جهة أخرى قاصدين بذلك وجهة الله وإراحة العباد والبلاد ممن حادّ الله، وإزاحة الباطل ـ إن شاء الله ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله المسئول أن يجمع شمل أهل لا إله إلا الله محمد رسول ولينصر الملة الإسلامية على جميع الملل الكفرية وأعوانهم من كافة البرية، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم[٣٣].

التوقيع

الله الملك الحق

وعايض عبده

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢هـ

كان أكثر ما تخشاه الإدارة العثمانية في الحجاز هو التدخل العسيري إلى جانب الشريف عبدالمطلب بالرغم من تأكيدات الأمير عايض للقائمين على السلطة فيها بأنه قد عدل عن توجيه قواته إلى الحجاز، وأنه قد وجهها إلى وجهة أخرى لم يذكرها صراحة في رسائله إلى كل من والي جدة ونائب شريف مكة وعلماء ووجهاء البلاد المقدسة.

ولكي يكون عدول أمير عسير عن توجيه قواته إلى الأراضي المقدسة مؤكدًا فقد سارع والي جدة ببعث مندوب إلى الأمير عايض لمعرفة الحقيقة من ناحية واطلاع الأمير على ما جد في الساحة الحجازية من تطورات من ناحية أخرى لا سيما إبلاغ الأمير عن قدوم الشريف محمد بن عون الذي كان قد أشاع الشريف عبدالمطلب أنه قد مات وأنه أي الشريف عبدالمطلب قد تلقى إرادة سلطانية بتثبيته شريفًا لمكة المكرمة[٣٤].

غادر مندوب والي إيالة الحجاز جدة إلى القنفذة ومنها إلى محائل قاعدة تهامة عسير حيث قابل الشيخ جاري العسبلي[٣٥] حاكم هذه المدينة من قبل أمير عسير والذي تربطه علاقة مصاهرة مع الشريف محمد بن عون والذي ما أن أكّد له المندوب حقيقة قدوم الشريف ابن عون وأنه حي يرزق حتى أفضى إليه بخطة الأمير عايض الرامية إلى السيطرة على القنفذة أولاً ومن ثم توجيه قوة منها نحو الحجاز خاصة إلى الطائف حيث يقيم الشريف عبدالمطلب.

إلا أنه أضاف قائلاً إنه لما لم يتحقق لهم وفاة حضرة ابن عون صرفوا النظر عن هذا الطرف ورأوا حينئذ أنه من الأنسب والأحسن لهم عودتهم جميعًا إلى طرف اليمن.

وصل المندوب الحجازي إلى «مناظر» إحدى ضواحي مدينة أبها ومقر الأمير عايض إلا أنه وصل إليها في الوقت الذي كان الأمير على وشك النزول من عقبة «ضلع» المطلة على تهامة عسير للحاق بجيشه المكون كما ذكر المندوب في تقريره من اثني عشر ألفًا من المشاة وخمسمائة من الفرسان ومدفعين[٣٦] بينما لبث هو مع خمسين من الفرسان الذين كانوا خلفه متهيأً للركوب. يقول المندوب:

تقدمت نحوه (أي الأمير عايض) في مقابلة وأعطيته ورقة سيدي، وأبلغته سلامه وحينئذ شافاني بالسؤال عن الحوادث في هذه الجهات فأجبته أن كل ما سمعه من الحوادث مكذوبة كلها وهي من أكاذيب الشريف عبدالمطلب... فقال:

في الواقع وكما سمعنا فإن حضرة كامل باشا عادل في أحكامه، ولذلك فإنني بالرغم من أنني كنت على تهيئة واعتزام لأقصد تلك الجهات (يقصد الحجاز) ولكن كما ترون الآن فقد صرفت النظر عن ذلك، وأنا متجه نحو «أبو عريش» في اليمن لأن الأشراف يحاربون بعضهم بعضًا منذ خمسة أشهر ولم يقرُّوا الصلح فيما بينهم في يوم ما»[٣٧] قال هذا وامتطى جواده واتجه نحو جيشه والتفت إليّ قائلاً: إن كتابي تقدموني في المسير، تعال ورافقني لأكتب الجواب «وهكذا رافقته في مرحلتين حتى أدركنا محمد بن مفرح[٣٨] معتمده[٣٩]. ويختتم المندوب تقريره بقوله: وهكذا استبانت لي نياته[٤٠].

ومن الجدير بالذكر أن والي جدة وقائمقام إمارة مكة كلفا المندوب نفسه حمل رسالتين مشابهتين إلى كل من الشيخ محمد بن مفرح والشيخ جاري بن ظافر العسبلي. من كبار القادة العسيريين. لم نعثر على نصّ جواب الأول ما عدا إشارة إليه ذيل بها الوالي التقرير الذي وصل إليه والذي أرسله هو بدوره إلى الصدارة العظمى إذ يقول: والجواب الذي تلقيته من معتمده ابن مفرح المومي إليه، أنه إذا انتهوا من «أبو عريش» فإنهم ينوون الاتجاه نحو اليمن[٤١].

أما الشيخ جاري بن ظافر العسبلي فقد بعث بجواب إلى قائمقام إمارة مكة الشريف عبدالله بن ناصر يطلب منه مزيدًا من التفاصيل بأحداث الحجاز وخاصة دور النصارى في هذه الأحداث وعن صحة خبر قدوم الشريف محمد بن عون ومصير الشريف عبدالمطلب ويلحّ عليه في الإسراع بالجواب إذ يقول: ومن غير مأمور عجلنا الجواب من وقته، وكذلك حقق لنا عن أحوال بيت الشريف[٤٢] سبق الإشارة إلى أن الشريف محمد بن عون متزوج بابنة الشيخ العسبلي وهي مقيمة في مكة المكرمة وهي ما عناه الشيخ جارى بقوله حقق لنا عن أحوال بيت الشريف.

ويذيل الوالي خلاصة تقرير مندوبه العائد من عسير بقوله: وهكذا تبادر لي أن «عايض» يتجنب حضرة الشريف ابن عون المشار إليه ويتباعد عنه بحذر. . . ويميل بالرضا نحو الشريف عبدالمطلب. . . وقد كان بينهما منذ القدم العديد من المعاهدات. والتي سيؤول أمرها اليوم إلى الجمود[٤٣].

لن أدخل في تفاصيل حملة الأمير عايض بن مرعي على كل من «أبي عريش» والحديدة مقرّ إيالة اليمن فقد يطول الحديث عنها، وإن كانت إيالة اليمن وأحداثها هي مركز اهتمام الأمير العسيري، ولم تكن أحداث الحجاز إلا حدثًا عارضًا يستغله الأمير عايض لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وإن كان لا يخامرنا أدنى شك في سلامة نوايا الأمير عايض الدينية وغيرته على الإسلام وأهله التي لا ينكرها إلا مكابر أو جاحد للحقيقة.

ولم يكن غزوه لمنطقة «أبي عريش» مَحْضُ صدفة نتيجة لهدوء الأحوال في منطقة الحجاز بل كان يتحين الوقت المناسب لوضع حدّ للفوضى المستعرّة في إقليم «أبو عريش» منذ خضوع إشرافه للإدارة العثمانية في إيالة اليمن، حيث تمكن من القبض على أشراف أبو عريش ومنهم القائمقام من قبل إيالة اليمن وإرسالهم مقيدين إلى عاصمة بلاده[٤٤].

وتمكن كذلك من استعادة ميناء جيزان الميناء الرئيسي لمنطقة «أبو عريش» وإحدى البوابات البحرية الرئيسية لمنطقة عسير كلها ومن ثم قاد جيشه نحو الحديدة مقر الإيالة بغية تخليص إيالة اليمن من الحكم العثماني[٤٥]. تصدرت له حاميتها التي لم تكن بقادرة على الصمود بالرغم من مساعدة الأسطول البريطاني الذي بعث به حاكم عدن الإنجليزي لمساعدة حكومة الحديدة[٤٦] العثمانية حيث كان الإنجليز يدركون خطورة أمير عسير ومحاربته للوجود البريطاني منذ الوهلة الأولى لاحتلال عدن بل كان

السبب الرئيسي في عدول أمير عسير عن مواصلة هجومه على مدينة الحديدة هو انتشار مرض «الكوليرا» في صفوف جيشه الأمر الذي اضطره للانسحاب بعد أن وقع هو نفسه في المرض إذ ما أن وصل إلى عاصمة بلاده حتى وافاه الأجل ولعله في أواخر رجب ١٢٧٢هـ.

في الوقت الذي كان كل من والي الحجاز والشريف عبدالمطلب قد بعثا بمندوبين يحملان رسائل عاجلة إلى أمير عسير الأول يطلب من أمير عسير حل المسألة اليمنية بالطرق السلمية وحل مشكلة الحدود الحجازية العسيرية بالطرق السلمية أيضًا(٤٧) بينما مندوب الشريف عبدالمطلب ويدعى الشريف «علقم» الذي لم تكشف لنا مصادرنا عن طبيعة مهمته ما عدا إشارة إلى أنه وهو في طريقه إلى العاصمة العسيرية توقف بعض الوقت للتشاور مع الشيخ عبدالعزيز الغامدي شيخ قبائل غامد. ولا يعرف عما إذا كان قد واصل مهمته بعد أن بلغه خبر وفاة الأمير عايض(٤٨). أما مندوب والي جدة الشيخ محمد بن علي المظايض الذي بلغه خبر وفاة الأمير عايض وهو لايزال بالقنفذة فقد كتب إلى الـوالي من القنفـذة يقول: «وصلنا إلى بندر قنفذة بالسلامة وبوصولنا إلى البندر المذكور قد استفهمنا وبلغنا وفاة الشيخ عايض بن مرعي إلى رحمة الله والآن حاصل على عسير مشقة عظيمة وصاروا قسمين الشيخ جاري وقسم من عسير طالبين ولد مجثل وإلا محمد بن مفرح والقسم الثاني طالبين ولد عايض هذا الذي بلغنا عنهم حببنا نبديه لسعادتكم لتكونوا(٤٩) على معلوم . . . ونحن يوم تاريخه متوجهين إلى بلاد عسير نستخبر من الرأس ونوصل الجوابات الذي معنا ونبشركم أن الدولة منصورة وكل من بغى عليها الله يأخذه»(٥٠).

أما رواية شنبر بن محمد قائمقام «الليث» عن موضوع الخلاف على خلافة الأمير عايض بن مرعي فتختلف مع رواية الشيخ المظايفي بل جاءت لتنفي وجودًا للخلاف حيث كتب تقريرًا إلى نجل الشريف محمد بن عون الشريف علي باشا يقول: وغير خافي سعادتكم بلغنا وفاة الأمير عايض وولوا قبل أن يدفن ولده وبايعوه»(٥١).

وصل الشيخ المظايفي مندوب إيالة الحجاز إلى العاصمة العسيرية في النصف الأول من شهر رمضان عام ١٢٧٢هـ وسلم الرسائل التي كان يحملها إلى الأمير محمد بن عايض أمير عسير الجديد وكما سبقت الإشارة إلى أننا لم نعثر على الرسائل التي كانت توجه إلى أمراء عسير إلا أنه من الممكن فهم محتوى الرسالة التي كان يحملها الشيخ المظايفي من رد الأمير محمد عليها إذ بعث برسالة إلى والي جدة رداً على رسالته ولأهميتها أوردها بنصها الكامل.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عايض إلى جناب المكرم الأعز الأحشم محمد كامل باشا سلمه الله كيف شاء وبما شاء. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

فقد وصل الكتاب المستطاب المحتوي على ذلك الخطاب المبشر بوصول الشريف محمد بن عون إلى مكة المشرفة فسرنا ذلك وحمدنا الله على ما هنالك وقد أسندتم الكتاب إلى الوالد ـ يرحمه الله ـ وصادف وصوله قد انتقل إلى رحمة الله وقمنا بعد بوظيفته واستمددنا من الله بمعونته ولا يخفاكم أنا نحب صداقتكم وائتلاف شمل أهل الإسلام وحين وصل كتابكم عرفنا مرامكم فنكتب ـ إن شاء الله ـ إلى «لاحق» لا يتعدّ الحدود التي كانت تحت والدنا وإن أردتم كمال الصحبة فتكتبون بذلك كتاباً وكذلك الشريف محمد بن عون ونكون من المتعاونين على البر والتقوى كما ذلك مما نعتقده يرضي سلطان الإسلام أمده الله بالنصر والإنعام لأن بذلك تنقطع ألسنة المفسدين وتتحسم مادة المخالفين ونظنكم تحبون سداد الفتن عن الأمة المحمدية ونحن ولله الحمد لا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا وما توفيقي إلا بالله ونريد نبذل النفس

والنفيس فيما يعز هذا الدين ونصرف القوة والمنعة فيما يرضي رب العالمين ونحن منتظرون الجواب لعله يوافقنا قبل خروجنا للتصليح إن أردتم الصحبة والصلاح والله يختار للإسلام والمسلمين ما علم فيه الخير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
١٥ رمضان سنة ١٢٧٢هـ

الله الملك الحق

ومحمد عبده

وبموت الأمير عايض بن مرعي وقدوم الشريف محمد بن عون إلى الحجاز لتولي شرافة مكة اضطر الشريف عبدالمطلب بعد أن خاض عدة معارك مع الشريف ابن عون على الاستسلام والرحيل إلى استانبول حيث عاش مكرمًا ومقربًا من السلطان.

أما علاقة إمارة عسير السلبية بالإدارة العثمانية في ولاية الحجاز فلم تنتهي بنهاية مشكلة الشريف عبدالمطلب بل دخلت في دور جديد وتطورات على قدر كبير من الأهمية وذات أثر بالغ في تشكيل التاريخ الحديث للمنطقة.

الهوامش

١ - كان قد ولاه أحمد باشا حاكم الحجاز العسكري من قبل محمد علي باشا شرافة مكة في سنة ١٢٤٣هـ إلا أن محمد علي لم يقر هذا التعيين وعين من قبله الشريف محمد بن عون الذي كان يقيم آنذاك في القاهرة، وكان يحظى بثقة والي مصر وكان له - أي للشريف ابن عون - دور لا ينكر في تثبيت حكم محمد علي العسكري على بعض أجزاء الجزيرة العربية وكان قد عين أميراً على عسير في أثناء حكم محمد علي العسكري المؤقت لهذا الإقليم الذي لم يدم طويلاً.

٢ - من فيصل بن تركي إلى عبدالعزيز اكاه باشا والي جدة وثيقة إرادة داخلية ١٤٧٩٠ ذي القعدة ١٢٦٧هـ. لمزيد من التفاصيل انظر «تذاكر جودت باشا» ١ - ١٢ ص ١٢٩ - ١٤٠.

٣ - من الشريف الحسين بن علي حيدر إلى الشريف محمد بن عون وثيقة إرادة داخلية ١١٢٩٩ في ٢٠ صفر الخير سنة ١٢٦٧هـ.

٤ - من الهادي لدين الله إمام صنعاء إلى مقر الصدارة وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٥٩٤ تاريخ ٢١ المحرم سنة ١٢٧٥هـ.

٥ - لمزيد من التفاصيل عن مقاومة قبائل عسير لحكم محمد علي - انظر محمد عبدالله آل زلفة «تأثير دعوة ابن عبدالوهاب على مقاومة قبائل عسير للحكم العثماني المصري ١٨١١ - ١٨٤٠م» رسالة «ماجستير» «جامعة كانساس» الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٠م.

٦ - وثيقة ١٢٣٩ داخلية مجلس مخصوص تاريخ ٥ صفر ١٢٨١هـ وكذلك انظر أسعد جابر بن عثمان راغب «يمن» مخطوطة رقم ٤٢٥٠ ورقة ٨٧ مكان الحفظ مكتبة جامعة استانبول.

٧ - جودت باشا تذكر ١ - ١٢، مطبوعات الجمعية التاريخية التركية، ص١٣٣، أنقرة.

٨ - يذكر مارستون في كتابه:

Britains Imperial Role ine the Red sea area 1800-1878

أن رصاصة طائشة في أثناء المواجهة بين الثوار والعسكر العثماني أصابت أحد المؤذنين وهو بأعلى المنارة أردته قتيلاً مما أجج هيجان الثوار.

٩ - في الأصل خطية.

١٠ - في الأصل خطامها.

١١ - د. صالح العمر

Saleh Al-Amr, the Hijaz Under Ottman Rule 1869-1814, Riyadh University Press, 1978, p.119.

١٢ ـ وثيقة داخلية ١٨٩٧٤ لفة ٢ ـ ٣ تاريخ ٢٥ رجب سنة ١٢٧٠هـ ـ أرشيف رئاسة الوزارة باستانبول.

١٣ ـ من محمد علي إلى أحمد يكن حاكم الحجاز وثيقة رقم ٢٩١ دفتر ٢ (عابدين) تاريخ ٢٧ صفر ١٢٤٣هـ دار الوثائق القومية القاهرة.

١٤ ـ من محمد علي إلى حبيب أفندي وثيقة رقم وحدة الحفظ دفتر ٣٥ تركي رقمها في وحدة الحفظ (٢٤٣) ص٨٤ تاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٤٣هـ. ٢٦ مايو سنة ١٨٢٨م. انظر من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم دار المتنبي للنشر والتوزيع الدوحة ص٢٩٩.

١٥ ـ أحمد زين دحلان، «أمراء البلد الحرام» الدار المتحدة للنشر بيروت، ص٣٤٨.

١٦ ـ أحمد عزت باشا إلى الصدر الأعظم وثيقة داخلية ١٨٩٧٧ في ٧ جمادى الأخرة ١٢٧٠هـ.

١٧ ـ الشريف عبدالمطلب إلى الصدر الأعظم وثيقة إرادة داخلية ١٨١٤٣، ١١ صفر سنة ١٢٧٠هـ.

١٨ ـ محافظ القنفذة إلى والي جدة وثيقة داخلية لفة ٦. ١٨٩٧٤ في ٩ ربيع الآخر سنة ١٢٧٠هـ.

١٩ ـ محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ بدون تاريخ.

٢٠ ـ محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم وثيقة داخلية ٢١٦٤٧ تاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٧١هـ.

٢١ ـ وثيقة داخلية ٢١٦٤٧ في ٢٧ شوال سنة ١٢٧١هـ.

٢٢ ـ الوثيقة نفسها.

٢٣ ـ الوثيقة نفسها.

٢٤ ـ الوثيقة نفسها.

٢٥ ـ غامد وزهران جغرافيًّا وتاريخيًّا جزء لا يتجزأ من إقليم عسير وبقيت كذلك طوال القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين إلا أن ولاة الحجاز من الأتراك وأشراف مكة كانوا يحرصون على وضع هذه المنطقة منطقة عازلة بين الحجاز وعسير.

٢٦ ـ محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ اليوم والشهر غير واضحين السنة ١٢٧٢هـ.

٢٧ ـ من لاحق بن أحمد الزيداني إلى قائمقام القنفذة وشيخ تجارها وثيقة باللغة العربية داخلية ٢٣٠٦٠ تاريخ شهر رمضان ١٢٧٢هـ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزارة استانبول.

٢٨ ـ عبدالله بن ناصر ولد ابن عم الشريف محمد بن عون وزوج ابنته ووكيله على أولاده في الحجاز طوال فترة إقامته الجبرية في استانبول.

٢٩ ـ محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم وثيقة مجلس مخصوص ٢٦٥ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢هـ.

٣٠ ـ من عبدالله بن ناصر إلى محمد كامل باشا وثيقة عربية إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢هـ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزارة استانبول.

٣١ ـ عريضة عربية من علماء ووجهاء مكة إلى السلطان عبدالمجيد وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ٧ ربيع الأخر سنة ١٢٧٢هـ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزارة استانبول.

٣٢ ـ من عايض بن مرعي إلى علماء بلد الله الحرام وثيقة عربية إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ٢٩ ربيع الأخر ١٢٧٢هـ مكان الحفظ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء استانبول.

٣٣ ـ من عايض بن مرعي إلى الشريف عبدالله بن ناصر وثيقة عربية إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢هـ.

٣٤ ـ والي جدة إلى الصدارة العظمى وثيقة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢هـ.

٣٥ ـ شيخ قبائل بني شهر القبيلة المعروفة والتي تعد من أكبر قبائل عسير وأكثرهم تنظيمًا يربط أسرة آل العسبلي علاقات مصاهرة مع كل من أمراء عسير وأشراف مكة.

٣٦ ـ يقدر والي إيالة اليمن السيد محمود باشا الكردي جيش عسير الذي حاصر مدينة الحديدة بثلاثين ألفًا، وثيقة داخلية رقم ٢٣٣٦٧ تاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٧٢هـ من الوالي إلى الصدر الأعظم الأصل محفوظ بأرشيف رئاسة الوزارة استانبول.

٣٧ ـ تقرير المندوب الحجازي وثيقة رقم ٢٦٥ مجلس مخصوص بتاريخ ربيع الآخر ١٢٧٢هـ.

٣٨ ـ محمد بن مفرح من كبار رجال قبيلة بني مغيد والساعد الأيمن للأمير عايض بن مرعي خاصة فيما يتعلق بالشئون اليمنية وقام بعدة مهمات إلى الحجاز ويمثل فيها كل من الأمير عايض بن مرعي وولده الأمير محمد، بعد سقوط إمارة عسير وقتل أميرها الأمير محمد بن عايض على أيدي القائد العثماني المشهور رديف باشا سنة ١٢٨٨هـ أخذ محمد بن مفرح أسيرًا إلى استانبول مع عدد كبير من أمراء ووجهاء وأعيان عسير حيث نفي إلى مدينة (يانيه) في البلقان وبقي بها ورفاقه أسرى لمدة ست سنوات ونصف.

٣٩ ـ الوثيقة نفسها.

٤٠ ـ الوثيقة نفسها.

٤١ ـ الوثيقة نفسها.

٤٢ ـ من جاري بن ظافر إلى الشريف عبدالله بن ناصر وثيقة باللغة العربية إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ ربيع الأول سنة ١٢٧٢هـ.

٤٣ ـ خلاصة تقرير مندوب والي الحجاز إلى أمير عسير وثيقة رقم ٢٦٥ : بدون تاريخ.

٤٤ - والي إيالة اليمن إلى الصدر الأعظم وثيقة داخلية ٢٢٧٢٣ تاريخ ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢هـ.

٤٥ - حسن بن أحمد اليمني (عاكش) الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض ص٣٤، دمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤٦ - والي اليمن إلى والي جدة وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥ تاريخ غرة جمادى الأخرة ١٢٧٢هـ.

٤٧ - والي إيالة اليمن إلى الصدر الأعظم وثيقة ارادة داخلية ٢٢٧٢٣ تاريخ غرة جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ.

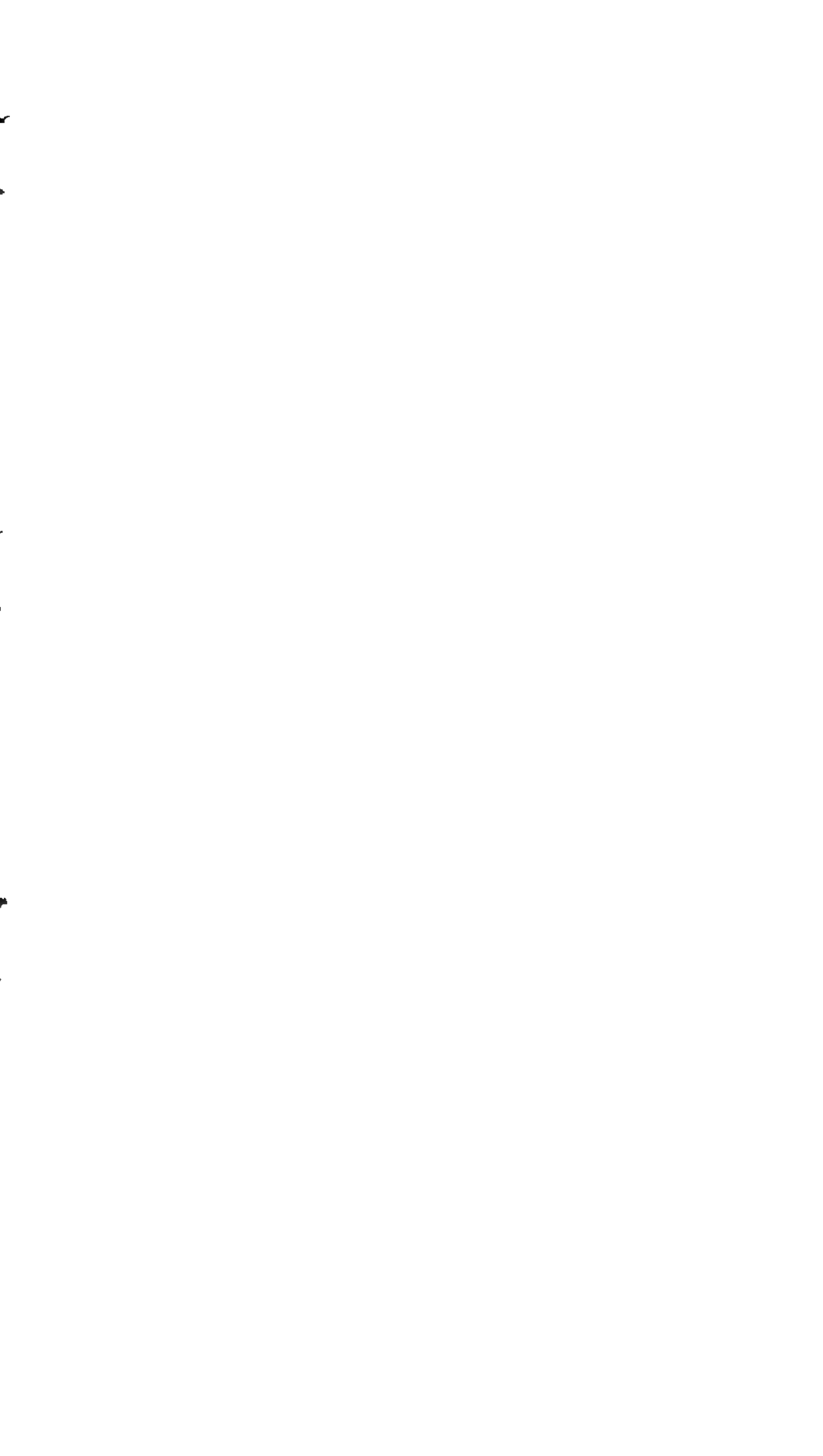
٤٨ - الشيخ محمد بن علي المظابفي إلى والي جدة وثيقة داخلية ٢٣٠٦٠ لفة ١٥ تاريخ ٢ رمضان ١٢٧٢هـ.

٤٩ - في أصل الوثيقة العربية الجوابات.

٥٠ - محمد بن علي المظابفي إلى محمد كامل باشا وثيقة عربية تاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٧٢هـ.

٥١ - شنبر بن محمد إلى الشريف علي بن محمد بن عون وثيقة عربية داخلية رقم ٢٣٠٦٠ لفة ٣ تاريخ اليوم والشهر غير واردين سنة ١٢٧٢هـ.

أهمية منطقة عسير في تكوين المملكة العربية السعودية (*)



أهمية منطقة عسير في تكوين المملكة العربية السعودية (*)

من المعلوم لدينا جميعًا وحقيقة نلمسها نحن أبناء هذه البلاد بشكل خاصّ أن الجزيرة العربية أقل البلدان العربية والإسلامية حظًّا فيما يتعلّق بثروتنا الوثائقية، وقد تعود إلى عوامل كثيرة أهمها عدم الاستقرار والأمن في ربوع هذه البلاد قبل توحيدها بزعامة باني دعائم الأمن فيها الملك عبدالعزيز ـ طيب الله مثواه ـ. ثم انشغال هذه الدولة في أول عهدها بحروب التوحيد والقضاء على الفوضى، وترسيخ مفاهيم الاستقرار والأمن، فلم يكن لدى هذه الدولة دواوين منظمة قبل عام ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م (العام الذي ضُمَّت فيه الحجاز نهائيًّا إلى هذا الكيان الكبير).

ومع أن هذا العام له أهميته القصوى في التاريخ السياسي للمملكة العربية السعودية، فإنه كان أيضًا بداية جديدة في تاريخ الإدارة في بلادنا، ولكن الملاحظ أن الاهتمام بوثائق الدواوين لم تكن تُعطى العناية اللازمة، فإن سجلات ووثائق السنوات الأولى لتأسيس هذه الدولة أصبح معدومًا أو شبه معدوم. إن لم أكن واهمًا، ـ وأرجو أن أكون ـ. وكان من أهم الدواوين في الدولة ديوان جلالة الملك حيث كان ملحقا به شعب متخصصة وذلك قبل نشوء الوزارات ما عدا وزارة المالية والتي تعدّ ثاني أقدم وزارة في البلاد بعد وزارة الخارجية، ومع ذلك فإن السلطات كلها كانت بيد الملك عبدالعزيز الذي كان يُحيط به عدد كبير من رجال دولته ومستشاريه إلا أنَّ كل المكاتبات وفي جميع الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والتنظيمية كانت تصدر من ديوان جلالته. وفي الغالب الأعم ما كان يمليه جلالته على كتبته وبلغة خليط بين

(*) بحث قدم للمؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ١٩٨٥م.

العامية والفُصحى، وكل المراسلات الصادرة من الديوان مختومة بخاتم جلالته الشخصي، والذي يضعه في نهاية آخر كلمة من الرسالة ومن الملاحظ أن ختم جلالته لم يتغير في شكله طوال فترة حياته؛ وليس عليه عبارة من العبارات التي نلحظ وجودها على أختام من سبقوه من ملوك وأمراء آل سعود.

ومع أن الملك عبدالعزيز اهتم بإدخال الوسائل الحديثة في الاتصالات كالبرقية والهاتف واعترافه شخصيًّا بأهميتها وضرورتها لتسيير أمور الدولة بيد أن المكاتبات سواء بخطّ اليد أو بالآلة الكاتبة ظلت تشكل الجزء المهم من اتصالات جلالته مع رجال دولته في أرجاء بلاده المترامية الأطراف. وقَدْر من هذه المراسلات هي مادة موضوع هذا البحث. الذي يشرّفني جدًّا أن أُشارك به في هذا اللقاء العظيم عن حياة رجل عظيم صنع التاريخ فخلّده التاريخ. وهذه المراسلات ما كان لهذا الباحث أن يحصل عليها بالرغم مما عاناه من مشاق وما قطعه من آلاف الأميال متنقلاً من مكان إلى مكان ومن بلد إلى آخر طمعًا في الظفر بأية وثيقة أو مخطوطة تَمتُّ بأية صلة إلى تاريخ بلادنا ـ أعود فأقول ما كان ليتسنى لي الحصول عليها لولا ما تكرم به أخوةٌ وأهل كرماء من منطقة عسير حين أفسحوا لي فرصة الاطلاع على وثائقهم الخاصة، وما يعود منها بشكل خاص إلى فترة الملك عبدالعزيز. أما ما قبلها فلقد ذهب معظمها طعمًا للنيران والنهب والإهمال إبّان فترات الحروب التي شهدتها المنطقة كما سيأتي الحديث عنها.

وهذه المراسلات تنقسم في طبيعتها إلى ثلاثة أقسام رئيسة: القسم الأول منها ما يتعلق بالقضايا السياسية؛ أما القسمان الثاني والثالث فيغطيان الجانب الاقتصادي والعسكري، يضاف إلى هذه الأمور الثلاثة الجوانب الإدارية والتنظيمية حيث لا تخلو معظم هذه الرسائل من معالجة أكثر من موضوع واحد. والرسائل جميعها موجهة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى عدد من زعماء منطقة عسير؛ ويمكن حصرهم في الشخصيات التالية مرتبين حسب أقدم تاريخ لهذه الرسائل، ويأتي في المقدمة الشيخ

محمد بن دليم أو أبو لعثه شيخ شمل قبائل قحطان ووادعه والشيخ ناصر الفويه شيخ بني واهب الفرع الأكبر لقبيلة شهران والشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط شيخ شمل شهران والشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة من شيوخ قبيلة شهران ورئيس مالية أبها وتوابعها فيها بعد والشيخ جابر بن حسين آل سالم أبو ساق من كبار شيوخ يام. بالإضافة إلى بعض الرسائل الموجهة من جلالته إلى بعض أمرائه وقضاته في منطقة عسير، وسيرد في ثنايا هذه الدراسة ترجمة مختصرة لكل من هؤلاء الشيوخ والدور الكبير الذي قام به كل منهم في تاريخ منطقة عسير وبالتالي تاريخ فترة تكوين المملكة العربية السعودية.

يضاف إلى رسائل جلالة الملك عدد من مراسلات كل من الأمير سعود بن عبدالعزيز والأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى الزعماء المذكورين أعلاه وغيرهم والمتعلق بتاريخ فترة الملك عبدالعزيز.

ومن الجدير بالذكر أن جميع هذه الرسائل لم يسبق أن نشر منها شيء قط. وسنأتي على ذكر بعض الرسائل المتعلقة بتاريخ منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز والتي سبق نشرها، وأخص بالذكر تلك التي نشرها حسن حسن سليمان مؤلف كتاب «الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره والكتاب الأخضر الذي قامت وزارة الخارجية السعودية بنشره في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م وهو عن الخلافات السعودية اليمنية حول قضايا الحدود بين الدولتين، والذي اشتمل أيضًا على قدر كبير من الرسائل والبرقيات المتبادلة بين عاهلي البلدين.

مدخل تعريفي بمنطقة عسير:

أولاً: أرى من الفائدة أن أعرف باختصار ما هي منطقة عسير فهي جغرافيا كما يعرفها المصطلح المحلي العسيري «عسير من ظهران إلى زهران ومن الشعف إلى

السعف» فالمكانين الأولين لا أعتقد أن أحدًا يجهلهما. أمَّا الشعف فيعني به قمم الجبال والسعف يقصد النخل في المناطق المنخفضة الحارة سواء ما كان يقع منها في المناطق المنخفضة باتجاه الشرق حيث بيشة والوديان وفي الغرب تهامة عسير الممتدة من الموسم جنوبًا إلى وادي دوقة والليث شمالاً على ساحل البحر الأحمر. وبذا نجد أن عسير تمتد على مساحة واسعة من الأرض تشتمل على ثلاثة أو أربعة أنواع متمايزة من التركيبات الجغرافية تبرز فيها ثلاثة أو أربعة أنواع من المناخ. وبالتالي أثرت على تعدد أنواع المحاصيل ضمنت للإقليم تكاملاً اقتصاديًّا قل أن تجد له مثيلاً في أي مكان آخر، ليس في الجزيرة العربية فحسب بل وحتى في خارجها. فالسهول الشرقية حيث تمتد إلى بيشة - وما حولها من الوديان بما تمتاز به من زراعة النخيل وكثرة إنتاج التمور وجودة نوعيته لتوافر المناخ الحار المعتدل ثم سنام جبال السراوات المتميز ببرودته ومدرجاته الزراعية التي يزرع بها أجود أنواع القمح والبلسن «العدس» وغيرها من المنتوجات التي يساعد مثل مناخ هذا الجزء من الإقليم على زراعتها.

ثم الأراضي المنسابة نحو الانخفاض تدريجيا في الجهات الشرقية من قمم المرتفعات حيث تجود فيها زراعة الذرة الجبلية والقمح والخضراوات وتربية الماشية. ثم السفوح الغربية للجبال حيث كانت تزرع فيها أشجار القهوة، وكانت هذه المناطق من سفوح جبال عسير الغربية تُدر غلة كبيرة من القهوة، وفي هذه السفوح تربى قطعان كبيرة من الماشية وخاصة الماعز وفيها ينتج أجود أنواع العسل.

ثم نأتي إلى النوع الأخير من التقسيمات الجغرافية لمنطقة عسير حيث تمتد تهامة، والمعروفة بتهامة عسير والذي سبق الحديث عن تحديدها وتجود في سهولها الواسعة زراعة الذرة التهامية، وهي عدة أنواع[1] وزراعة القطن في وادي حلي والذي كان يصدر منه كميات إلى عدن ومصوع[2]، بالإضافة إلى المنتوجات الزراعية الأخرى تربى قطعان كبيرة من الماشية في سهول تهامة عسير.

أما سياسيا فقد امتد نفوذ أمراء عسير الأقوياء حتى شمل المخا والحديدة على الساحل اليمني[3] وجزر دهلك في البحر الأحمر[4] ودفع سكان وادي الدواسر في فترة ضعف الدولة السعودية في نجد الزكاة لأمراء عسير[5]. وقد حافظ العثمانيون منذ احتلالهم إقليم عسير في عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م على وحدة أراضي الإقليم سياسيًّا وإداريًّا، حيث كان في بداية الأمر لواء يسمى لواء عسير المستقل، ثم أصبح فيما بعد متصرفية[6]، وكان لدى الحكومة العثمانية مشروع تحويل عسير إلى ولاية يضم إليها نجران الذي لم يخضع سياسيًّا للحكومة العثمانية[7] ولا لغيرها.

عسير قبيل الحكم السعودي

قبل ضم عسير إلى نفوذ الملك عبدالعزيز في أواخر عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م لم يمض على خروج القوات العثمانية من أبها أكثر من سنة، فأصبح الوضع في عسير بمفهومه الكبير بعد الانسحاب العثماني في وضع مؤلم من جراء الصراع بين القوى المحلية آل عايض في أبها أصحاب الحق الشرعي في تولي حكم الإقليم بعد الانسحاب العثماني منه. والسيد الإدريسي في صبيا الذي أقام مجده على تأليب العسيريين ضد العثمانيين بالإضافة إلى محاولته ترسيخ مفاهيم صوفية بالية بغرض دعم شرعية نظامه الذي لم يعد له قيمة خاصة بعد انسحاب العثمانيين. هذا بالإضافة إلى قوتين مجاورتين تتحركان بشكل نشيط هما شريف مكة في الشمال وإمام اليمن في الجنوب كل منهما يود بسط نفوذه على أملاك الإدريسي في السواحل العسيرية واليمنية. (والذي حصل عليها بمهارته في حبك المؤامرات)، وتورطه المكشوف مع القوى الأجنبية إيطاليا أولاً، ثم بريطانيا تآمر مع الأولى ضد الدولة العثمانية في الوقت الذي كانت جحافلها تغزو ليبيا ـ الذي يدعي الإدريسي أنه ذا صلة بسادتها ـ وقدم للثانية أجل الخدمات في الحرب العالمية الأولى ضد العثمانيين في الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية متحديًّا بذلك مشاعر الشعب العربي المسلم في عسير واليمن[8].

اشتد الصراع بين آل عايض والإدريسي بيد أنه صحبه انقسام في قيادة الجبهة العسيرية سببها مؤامرات الإدريسي إذ دب الخلاف في صفوف قبيلة عسير نفسها بين جناح محافظ تقليدي يغلب عليه طابع السذاجة القبلية يتزعمه الأمير حسن بن علي بن عايض وهذا الجناح لا يرى غضاضة من الاتفاق مع الإدريسي وإعلان التبعية(٩) له، وجناح آخر يتزعمه محمد بن عبدالرحمن بن عايض وهو متأثر بحركة التنوير التي تأثرت بها الصفوة العسكرية العثمانية وكان هو نفسه أحد رجالها(١٠). يرى أنه إذا كان ولا بد من التعاون مع أحد فليكن مع شريف مكة تعاون لا تبعية(١١).

وكانت الغلبة للجناح الثاني ولكن أنصار الإدريسي سارعوا إلى إحضار ما يسمى بالمندوب الدائم الإدريسي في أبها، ولكنه سرعان ما أجبر على الخروج منها فأعلن الإدريسي الحرب واحتدم الصراع المسلح بين شقي عسير سراتها وتهامتها وكان الإدريسي البادي بالحرب معتمدًا وكعادته على جيش معظمه من مرتزقة الصومال وأرتيريا(١٢). ووصل بهم إلى باحة ربيعة فألحقت به وبأنصاره هزائم ماحقة زادت من ارتفاع معنويات القيادة العسيرية فدخلت في تصفية حسابات مع كل فئة أو قبيلة ناصرت الإدريسي.

وكان من ضمنها بعض من قبيلة رفيدة قحطان بزعامة علي بن مريع ابن غوي شيخ الحاف ووقشه وعلي بن يحيى من أعيان آل الخلف بني بشر قحطان؛ حيث سير ابن عايض حملات عسكرية ضدهم الأمر الذي أثار حمية قبيلة قحطان كلها بزعامة محمد بن دليم، وكان له سابق تعاطف مع الإدريسي. فألقى آل عايض القبض على شيوخ قبيلة رفيدة وغيرها من قحطان وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية في أبها(١٣).

وبينها الأحداث تتطور بسرعة مُذهلة وبوطأة قاسية على قلوب السكان كانت بيارق التوحيد وجيوش الإخوان بزعامة الأمير عبدالعزيز بن مساعد تقترب من بيشة وتتحرك في اتجاه «القاعة» من بلاد ناهس شهران حيث اتخذت منها مركز تجمع لقواتها

ومكانًا لبداية اتصالاتها بالزعماء والشيوخ، وانضم إليها تطوعًا (عن إيمان بجهالة) أو طمعًا في المغانم القبائل البدوية من قحطان وشهران[١٤].

أما شيوخ قحطان وشهران وغيرهم من الحضر فقد بعث إليهم الأميرابن مساعد برسائل من سلطان نجد مصحوبة برسائل من الأول يدعوهم فيها للطاعة فأجابوه.

وكان يرافق ابن مساعد الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد مرشدًا وواعضًا دينيًا[١٥].

عبدالعزيز ومنطقة عسير:

لا نعرف تاريخًا محددًا لبداية اهتمام الملك عبدالعزيز بمنطقة عسير أو بداية اتصالاته بزعمائها أو العكس ولا نجد فيها لدينا من الوثائق ما يعود بتاريخه إلى ما قبل عام **١٣٣٨هـ**[١٦]. وأجمعت المصادر التي تناولت تاريخ فترة الملك عبدالعزيز وتكوين الدولة السعودية الحديثة وما يتعلق منها بتاريخ عسير بشكل خاص بأن عام **١٣٣٨هـ** وهو العام الذي زحفت فيه جيوش الملك عبدالعزيز على عسير بأنه العام الذي بدأت فيه العلاقات السعودية العسيرية.

وهذا لا يعني أن العسيريين كانوا فيها قبل ذلك بمنأى عن متابعة أخبار ما كان يحدث في نجد منذ عودة الملك عبدالعزيز إليها من منفاه في الكويت واستعادة الرياض عاصمة أجداده وإدخال معظم أقاليم نجد في طاعته، وإخضاعه القصيم بتاريخ **١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م**، وهو أول احتكاك مباشر مع العثمانيين أنصار آل الرشيد والموالين لهم من أهل القصيم، وكذلك غزية شريف مكة لنجد عام **١٣٢٨هـ** ذات النتائج المحدودة. حدث كل هذا في وقت كانت الثورة في عسير تشتعل ضد الحكم العثماني في بلادهم فمن المرجع أن بداية تطلعات بعض القبائل الجنوبية إلى الملك عبدالعزيز تعود إلى فترة سنواته الأولى من بداية الكفاح من أجل إعادة الوحدة الوطنية الشاملة ـ التي

لم تتحقق في تاريخ الجزيرة العربية إلا مرتين فقط، المرة الأولى في ظل الدولة الإسلامية في عصرها الذهبي. والمرة الثانية في عهد الدولة السعودية الأولى ـ وعقدت عليه الآمال في تخليص الجزيرة العربية من محنتها وأهوال الحروب الأهلية التي أملاها واقع التشرذم السياسي التي كانت تشهده جزيرة العرب بشكل عام.

فلقد أشار الشريف حسين بن علي شريف مكة في أحد تقاريره إلى الباب العالي مبررًا قيامه بغزوته المشهورة على نجد دونها ـ فيما يبدو ـ سابق علم من الحكومة العثمانية بأنه لم يقم بذلك إلا لمنع أي تقارب بين ابن سعود والإدريسي الذي أصبح لديه من الأمور المؤكدة[17].

ثم تلي ذلك استجابة الشريف السريعة في العام التالي لطلب حكومة الباب العالي إن لم يكن هو صاحب مشروع حملته لضرب الثورة في عسير لا حبًا في العثمانيين بل رغبة في توطيد نفوذه هناك، ولا خوفًا من امتداد النفوذ الإدريسي الذي لم يكن إلا فقاعة سرعان ما تتلاشى، ولكن خوفًا من التهديد الحقيقي الكامن في النفوذ السعودي المرتكز على خلفية تاريخية قوية وصحوة إسلامية سلفية لا تقبل خرافات الإدريسي وخزعبلاته[18]. ومبالغة الشريف الحسين في أهمية مكانة «نسل سلالة الشجرة الزكية» في مجتمع عربي نقي لا يؤمن إلا بالمحسوس، والقول الذي يصدقه العمل في بساطة تتناسب مع طبيعة تكوينه.

على أثر هزيمة السيد الإدريسي عسكريًا وسياسيًا في عسير وشعوره بالعزلة والأخطار المحدقة به من جيرانه، أمام اليمن في الجنوب والشريف الحسين في الشمال ونفوذ إمارة عسير يحيط به من كل جانب بل كان العسيريون يعدون العدة لتصفية وجود الإدريسي نهائيًا من سواحل بلادهم. لولا ما حصل من تطور على حدود بلادهم الشرقية. أمام كل هذه الظروف أشخص الإدريسي رسله[19] إلى الملك عبدالعزيز

يستعديه ضد أمراء عسير واصفا كبيرهم الحسن بن علي بالظلم والجور[٢٠] كما عمد إلى محاصرة عسير اقتصاديًا إذ منع جميع تجارة عسير من المرور عبر موانيء المخلاف السليماني[٢١] فجنى على نفسه أكثر مما ألحق بخصومه من الضرر إذ أفسح المجال أمام الشريف الحسين الذي استثمر خطأ الإدريسي الفادح وذلك بفتح ميناء القنفذة للتجارة العسيرية فازداد بذلك تقربًا إليهم.

وفيما يبدو أن دوافع الإدريسي للاستنجاد بالملك عبدالعزيز كانت للأسباب التالية:

أولاً: أن الملك عبدالعزيز سيكون له عون ضد الشريف الحسين ولا سيما بعد انتصار القوات النجدية انتصارًا باهرًا في معركة تربة حيث أصبحت تشكل القوة العسكرية الضاربة في الجزيرة.

ثانيًا: أن الملك عبدالعزيز لا يكون خطرًا على الإدريسي لبعده عن منطقة نفوذه.

ثالثًا: أن مد النفوذ السعودي على عسير إبعادًا للخطر العسيري ذاته من ناحية وقد يؤدي إلى احتكاك مباشر بين السعوديين وإمام اليمن لمخاوف الإمام من السعوديين من ناحية أخرى؛ وبالتالي ينشغل الأخير عن مطالبته في ادعاء حق السيادة على ممتلكات الإدريسي لاسيما ما اقتطعته له بريطانيا من الموانيء اليمنية كميدي والحديدة مكافأة له على الوقوف إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى ونكاية بالإمام يحيى الذي وقف إلى جانب العثمانيين.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن تحرك الملك عبدالعزيز لضم عسير كان مجرد استجابة لدعوة الإدريسي أو تحريضه. بل كان لضرورات استراتيجية بالإضافة إلى استجابة لطلب الكثير من زعماء القبائل الجنوبية، وبخاصة رؤساء قحطان وشهران وغامد. أما

من الناحية الاستراتيجية فعسير السراة بموقعها الاستراتيجي النادر كانت تمر بمرحلة حرجة ويخشى من انحيازها إلى أي من القوى المحلية المتصارعة. وللمسارعة في ضمها من قبل الملك عبدالعزيز أهمية قصوى في تقرير مصير الصراع السعودي الهاشمي، فقد أثبتت حوادث التاريخ في القرنين الماضيين أن عسير تكون أهمية خاصة لكل من تطلع إلى فرض سلطته على الحجاز، فلا الملك عبدالعزيز ولا الشريف الحسين يجهلان الدور الكبير الذي قامت به عسير في تقرير مصير الحجاز إبّان بداية الصراع السعودي الهاشمي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي.

وما حدث في أوائل هذا القرن الميلادي يُتعبر تكرارًا تامًا لما حدث في أوائل القرن التاسع عشر، فإن الدور الذي يقوم به الشريف الحسين الآن كان قد قام به قبله الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢ ـ ١٢٢٨هـ) أثناء محاولاته المتكررة في صد المد السلفي من الانتشار في المناطق المجاورة للحجاز كما حاول مرارًا منع وقوع عسير تحت النفوذ السعودي ومحاولاته في ضمها لشرافته. فإذا به يخسر سلطاته على المدن الحجازية نفسها بمجرد دخول عسير تحت النفوذ السعودي في أواخر عهد الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه الأمير سعود الكبير[٢٢]. وكان الملك عبدالعزيز يدرك جيدًا وهو يعد بحق من كبار القادة معرفة باستراتيجية الحروب بالإضافة إلى تعمقه في قراءة التاريخ وتاريخ بلاده بشكل خاص، إذ أن الدرعية في عهدها الأول لم تتعرض لخطر أشد من خطر غزو قبائل يام النجرانية[٢٣] لها عام ١١٧٨هـ، حيث كادت تسقط في أيديهم لولا عناية الله وما اختاره من خير لهذه الأمة، وقبول قادة الدرعية الدخول معها في صلح. عادت هذه القبائل القوية إلى منازلها وهي منتشية بحماس النصر فعن لها أن تهاجم قبائل عسير فألحقت بها الأخيرة هزيمة ماحِقة[٢٤]، وكأنها تنتصر للدرعية وذلك قبل انتشار الدعوة السلفية في بلاد عسير بسنوات. فكان لانضمام عسير فيما بعد أهمية خاصة لا لكونها أصبحت قاعدة أخرى لانطلاق مبادىء الدعوة السلفية فحسب بل أصبحت قاعدة صلبة للدفاع عن الدرعية فحطمت قوة يام وحطمت قوة أشراف وأبو

عريش» وأضعفت مقاومة الشريف غالب وأجبرته على الخضوع لسلطة الدرعية[٢٥]. وحجمت قوة إمام اليمن في صنعاء ودافعت عن الدرعية قبل سقوطها على أيدي المصريين. وخلفتها حينما سقطت في الدفاع عن مبادىء الدعوة السلفية، وبقيت مبادؤها في النفوس راسخة فلم يكن استجابتها لعبدالعزيز بأمر غريب، ولم يكن حرص عبدالعزيز على ضمها وكسبها إلى جانبه بأمر غريب أيضًا.

مهما تكن الأسباب ففي شهر شعبان ١٣٣٨هـ جهز الملك عبدالعزيز جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي[٢٦] وأخذ الجيش طريقه إلى بيشة[٢٧] عن طريق رنيه ثم واصل زحفه إلى القاعة[٢٨] وهي أرض منبسطة في شرق بلاد شهران حيث عسكر بجيشه ومن انضم إليه من بدو قبائل قحطان وشهران وكان الأمير ابن مساعد يحمل معه رسائل إلى كبار مشائخ قحطان وشهران وعسير وغامد وزهران وغيرهم من القبائل يدعوهم فيها إلى جمع الشمل واتحاد الكلمة وتطبيق الشريعة.

الدور المهم الذي قامت به منطقة عسير في تكوين المملكة:

كانت عسير اللبنة الأولى خارج منطقة نجد في بناء الكيان الكبير للوحدة السياسية الشاملة التي أصبحت تكون فيما بعد المملكة العربية السعودية؛ وكانت حجر الزاوية في إكمال بناء هذا الكيان، أهّلها لهذه المكانة موقعها الاستراتيجي وإمكاناتها البشرية والاقتصادية، فعسير في المفاهيم الاقتصادية لفترة ما قبل البترول أغنى بكثير من منطقتي نجد والحجاز فلديها القدرة على سد حاجة سكانها فيما يعوزهم من متطلبات حياتهم الأساسية، فحوالي ٨٥٪ من السكان يعملون في الزراعة[٢٩]، بالإضافة إلى تربية الماشية موزعين على ٣٥٦٧ قرية، كما أظهر التعداد العام للمملكة عام ١٣٩٤هـ[٣٠]. والتجارة الداخلية نشيطة، إذ كان يوجد في منطقة عسير بشكلها الإداري الحالي أي باستثناء منطقة الباحة ومنطقة جيزان ومنطقة نجران ٧٦[٣١] سوقًا

أسبوعيًا ولها علاقات تجارية مع الحجاز واليمن ومنطقة المخلاف السليماني، وكذلك مع منطقة نجد وكانت الحجاز تعتمد على ما يرد إليها من منتوجات عسير الزراعية منذ القدم[٣٢].

وقد كانت أولى الصعوبات التي واجهت الملك عبدالعزيز في أول عهده قلة الموارد الاقتصادية إذ لم يكن لدولته مورد ثابت يواجه به متطلبات الإنفاق على جيشه وشراء سلاحه وتوزيع الشرهات والأعطيات على كبار شيوخ القبائل، وإطعام وضيافة زوار الرياض من رؤساء البادية، لأن موارده لم تكن تتجاوز ٦٠,٠٠٠ جنيه استرليني مساعدة سنوية من بريطانيا، وما يُجبيه من زكوات وضرائب وغيرها لا يزيد على ٦٠.٠٠٠ جنيه[٣٣]. أخرى حقيقة أن نجد فقيرة في مواردها، ولكن همة الملك عبدالعزيز وصبر رجاله وتحملهم شَظَفَ العيش والاكتفاء بالقليل من الطعام وغالبًا ما كان التمر والماء فقط غذاءهم الوحيد لأيام بل قد يمتد إلى شهور، وقد وصف الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي قبل نصف قرن من تاريخ استعادة الملك عبدالعزيز للرياض أحوال بلاده في رسالة بعث بها إلى والي الحجاز محمد وجيهي باشا وذلك في سنة ١٢٨٣هـ حينها ألحَّ الوالي بتحريض من شريف مكة حينئذ عبدالله بن محمد بن عون على الأمير أن يبعث بالضريبة السنوية المفروضة على نجد من قبل الدولة العثمانية واعتذار الأمير عبدالله بسبب الظروف القاسية التي يعيشها أهل نجد حيث قال «لايخفاك، حال أهالي تلك البلاد العربية والأقطار النجدية، وما هم فيه من الجدب وغلى الأسعار وضعف من سكنها من البوادي وأهل الديار مع ما هم فيه من ضيق العيش والجهد والشدة والجوع ويختم رسالته بقوله «وأهل نجد رجال بلا مال»[٣٤].

لا نعرف على وجه الدقة طبيعة النظام المالي الذي كان يطبقه الملك عبدالعزيز في نجد قبل عام ١٣٤٤هـ، لكن من المؤكد أنه مستمد من الشريعة الإسلامية مقتصر على الزكاة الشرعية المستحقة على الزراعة والمواشي، وبطبيعة الحال فإن هذين

المصـدرين من مصادر الاقتصاد المحلي تأثرا بالحروب وعدم الاستقرار الذي شهدته نجد طوال الثلث الأول من هذا القرن، أضف إلى ذلك أن استقرار الإخوان في الهجر الخـاصـة بهم وتحولهم من رعي الماشية كمصدر من مصادر الدخل وتفرغهم للعبادة والقيام بالغارات والاعتماد على مغانم الحروب والتي لا أخالها كبيرة؛ واعتمادهم على أعطيات عظمة السلطان الذي كان في كثير من الأحيان يستلف لينفق على كبارهم، كل هذا أثر بلا شك على مصادر الدخل وقلة الموارد ومضاعفة الاعتماد على الدولة[٣٥].

على كل حال لا نستطيع الخوض في الوضع الاقتصادي للدولة السعودية الحديثة في أول عهدها أي قبل فتح الحجاز، ونحن لا نملك الدليل على ذلك لعدم توافر سجلات للدولة في ذلك الحين أو دراسة متخصصة من قبل المهتمين بتاريخ هذه الفترة، والذي يهمنا هنا هو إلقاء الضوء وبقدر ما تسمح به مصادرنا الوثائقية من مراسلات الملك عبـدالعـزيز كمصدر مهم ووحيد على أهمية الدور الذي قام به إقليم عسير في دعم الخـزينـة العـامـة للدولـة، وتموين جيش الملك عبدالعزيز أثناء فتح الحجاز وتموين الحملات العسكرية لضرب ثورة الإدريسي والحرب السعودية اليمنية، وكذلك أثناء القضاء على ثورة الإخوان بالإضافة إلى الصرف على الإقليم نفسه طوال فترة ما قبل البترول يضاف إلى ذلك كله أن عسير شهدت قدوم هجرات بشرية وخاصة من منطقة نجد في وقت أصبحت مناطق هجراتهم الطبيعية صعبة في ظل الحدود الدولية الحديثة.

وتجـدر الإشارة إلى أن تعليمات الملك عبدالعزيز الموجهة للأمير عبدالعزيز بن مساعد حين فتح عسير في المرة الأولى عام ١٣٣٨هـ الخاصة بتوزيع الزكاة الضريبة الشرعية الوحيدة في أول عهد الدولة قد تضمنت إعطاء زكاة الحاضرة لأمراء البلدان. أما زكاة البادية فهي تخص جلالته، ولكن يبدو أنه فات عظمة السلطان أن يدرك أن منطقة عسير تختلف عن غيرها فنسبة الحاضرة أعلى بكثير من نسبة البادية والحاضرة جميعهم يعملون في الزراعة، ولذلك إذا حرمت حكومة الإقليم من مورد الزكاة فهذا يعني حرمانها من المورد الرئيسي للدخل. لذا نجد أن جلالة الملك يقرر فيما بعد لزعماء

القبائل المستقرة قدرًا من الحبوب في كل فصل من الزكاة وعددًا من زكاة الماشية سنويًا وقدرًا محدودًا من النقود شهريًا[٣٦]. أما زكاة المزارع فتجبى كلها لخزينة الدولة.

ومنطقة عسير بكثافتها السكانية الكبيرة وتعدد أنواع المحاصيل الزراعية بتمايز أنواع المناخ لا يعوزها إلا التنظيم والإدارة حسبما يتفق مع النظام الجديد.

ولعل من أهم المتطلبات في هذه الفترة الحرجة هو إيجاد الشخصية القادرة على وضع النظم والقيام بأعباء الإدارة في وقت كان الرجال المؤهلون لمثل هذا الدور يعدون على أصابع اليد الواحدة.

لذا رأى عبدالعزيز بنظرته الثاقبة في معرفة الرجال أن الشخص المؤهل للقيام بهذه المسئولية هو الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة، ولم يكن عبدالوهاب مؤهلاً تأهيلاً بالمفهوم الحديث بل كان تأهيلاً فطريًا صقلته الخبرة ـ مثله كمثل نظيره الشيخ عبدالله السليمان الحمدان ـ مع العلم أنه لم يتم لقاء بين الملك عبدالعزيز وعبدالوهاب إلا من خلال المراسلات إلا أن ما قام به الشيخ عبدالوهاب من دور مشرف في استجابة صادقة لما يدعو إليه الملك عبدالعزيز في سبيل الوحدة الوطنية الشاملة برز ذلك واضحًا في وقوف الشيخ عبدالوهاب إلى جانب الحامية السعودية التي أجبرت على مغادرة أبها في عهد أميرها العقيلي عام ١٣٤٠هـ.

ثم ما ألحق به من أضرار إذ أحرقت بيوته وصودرت أمواله وشردت عائلته وذهابه بنفسه إلى رنيه لمقابلة الأمير فيصل ودوره في تنظيم قبائل شهران في الوقوف بصدق إلى جانب حملة الأمير فيصل التي أعادت السلطة السعودية على بلاد عسير. وعبدالوهاب الذي يعود بأصوله إلى قبيلة الرشدة القحطانية وهي القبيلة نفسها التي ينتمي إليها آل مشيط؛ وآل مشيط وآل أبو ملحة كما يقال أبناء عم. وكانت هذه القبيلة تقطن الحمرة

من بلاد قحطان قبل هجرتها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي إلى موطنهم الحالي بلاد آل رشيد، واستولوا عليها بالقوة وهي البلاد التي تحدها بلاد رفيدة من الجنوب وبلاد آل الغمر من الشمال، ووادي عتود وما ينساب إليه من الشعاب من الغرب، والشرف من الشرق. وكانوا في أول عهدهم بادية ثم استوطنوا حيث استقر سالم بن حسين الرشيدي الجد الأول لأسرة آل مشيط في قرية نعمان وما زالت أطلال قصورهم باقية بها، أما ابن عمه مفلح بن علي وهو الجد الأول لآل أبو ملحة فقد استقر في الصمدة شرق خميس مشيط حاليًا وما زالت مزارعهم وبيوتهم القديمة ماثلة بها. أما والد عبدالوهاب وهو الشيخ محمد بن علي فكان قاضيًا وقد اطلعت على حكمين من أحكامه[٣٧]. ولا نعرف تاريخ وفاته، ولكنه يبدو أنه توفي وابنه لا يزال صغيراً.

ووالدته عطرة بنت عبدالوهاب المتحمي «أبو نقطة» الأسرة المشهورة في تاريخ عسير والأنصار الأوائل لزعماء الدولة السعودية الأولى. وعهدهم يُعتبر بداية لتاريخ عسير الحديث. اشتغل عبدالوهاب في أول شبابه بالتجارة وسافر بحكم مهنته إلى كثير من بلدان عسير تهامتها وسراتها، بل وإلى الحجاز، ولربما اليمن؛ فاكتسب خبرة عظيمة في معرفة القبائل والأماكن وصراع القوى أهّلته في مستقبل عمره لأن يكون بحق من أبرز رجال الملك عبدالعزيز في السياسة والإدارة والحرب[٣٨]. شهد تقلبات الأوضاع السياسية في المنطقة، فكان بحدسه وبعد نظره يرى خلاص هموم بلاده على يد الملك عبدالعزيز الذي أصبحت أخبار انتصاراته على أعدائه تتناقلها الركبان وحديث مجالس القوم المهتمين بالتطورات السياسية.

ورأينا فيما سبق ذكره مقابلته للأمير فيصل أثناء قدومه لإخضاع الثورة في عسير وكانت أول إشارة إلى عبدالوهاب في رسالتين من الأمير فيصل إلى كل من الشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط[٣٩]؛ وأخرى إلى الشيخ هيف بن ناصر الفويه[٤٠] وأول

ما عثرنا عليه من الرسائل التي تلقاها الشيخ عبدالوهاب من جلالة الملك عبدالعزيز كانت رسالة بتاريخ ١٥ صفر ١٣٤١هـ ردًا على رسالة من عبدالوهاب إلى جلالة الملك يبشره فيها بانتصار جيش الأمير فيصل على الثوار العسيريين(٤١). ثم رسالة أخرى من الملك بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٤١هـ ردًا على رسالة تهنئة كان قد بعث بها عبدالوهاب بمناسبة هذا الانتصار(٤٢). لم يكن في محتوى هاتين الرسالتين الملكيتين ما يشير إلى المكانة التي أصبح يحتلها الشيخ عبدالوهاب. إلا أن الرسالة الملكية المؤرخة في ١٠ شوال ١٣٤١هـ إلى الشيخ عبدالوهاب والتي لم يكن بها ما يشير إلى أنها تعتبر ردًا على رسالة من الأخير، وكانت بمناسبة وفاة الأمير سعد بن عفيصان وتعيين الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم بدلا عنه يظهر فيها ولأول مرة المكانة التي يحتلها الشيخ عبدالوهاب لدى جلالة الملك حيث قال: « . . . بلغنا خبر وفات سعد بن عفيصان. . . وعمدنا خادمنا عبدالعزيز آل إبراهيم أميرًا لكم مكانه ووصيناه بما يلزم في جميع الأمور خصوصًا من طرفكم أنتم وأنتم إن شاء الله لا تدخرون مناصحته في جميع الأحوال العائدة مصلحتها للإسلام والمسلمين. . . وهذي إشارة لكم والا نجزم أنكم طارفتنا بها لطرف (بهذا الطرف) وأنكم أحرص منا في جميع الأحوال ولا بعدك حسوفة بارك الله فيك»(٤٣).

كما بعث له مع الأمير المذكور بكسوة وهي «بشت ودقلة وغترة»(٤٤).

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبدالوهاب حين وفاة ابن عفيصان كان قد جمع كبار القادة العسيريين وأعيان البلاد لاختيار أمير بدلا عنه لاسيما والبلاد تمر بمرحلة صعبة جدًا فتم اختيار ابن جيفان أميرًا بالنيابة.

ورفع عبدالوهاب بالأمر إلى جلالة الملك فأتى ردّ جلالته بتاريخ ٦ ذي القعدة مؤيدًا ومباركًا وشاكرًا عبدالوهاب على حسن تصرفه حيث قال: « . . . ذكرت عن

اجتماعكم مع كبار طوارفنا واجتماع رأيكم على تنويب محمد بن جيفان مكانه إلى وصول أمـير منا رايكم إن شاء الله مبارك وأنت تدري أنكم طوارفنا وحضربتنا في كل حال ومخصوصا انت مقامك عندنا ولا بد إن شاء الله ان عبدالعزيز بن ابراهيم وصلكم . . . وهو إن شاء الله فيه بركة كما أنني أوصيته من طرفك مخصوص وأخبرته بمقامك عندي وهو يدري عن أفعالك الطيبة وما زلت مذكورًا بكل خير»[٤٥].

عبدالوهاب مديرا لمالية عسير:

وفي أوائل عام ١٣٤٢هـ طلب جلالة الملك من الشيخ عبدالوهاب تولي شئون بيت مال منطقة عسير وألح عليه في عدم الاعتذار عن القيام بعمل سيكون له بالغ الأهمية للمنطقة حيث قال جلالته: «تدري أن بيت مال اليمن (يعني الجنوب) محتاج إلى صلاح تعود منه الفائدة إن شاء الله وأنت تدري بعظم ثقتنا بالله ثم بك من النصح والاجتهاد فيما يعود بالصلاح لهذه الولاية ولا من أحد (غير واضح) يكون إن شاء الله توكل على الله وتول جميع بيت مال اليمن جميع داخله يصير (غير واضحة) كذلك ولا بد إن شاء الله توافق انت وعبدالعزيز بن إبراهيم ولا تعذر عن هالامر [هذا الأمر] الأمور انا عطيك [أعطيك] وجهي إن شاء الله ما يلحقك نقص ولا يروح لك شي»[٤٦].

لم يكن الشيخ عبدالوهاب مدير ماليات أو «الرئيس العام لجميع ماليات منطقة عسير وتوابعها»[٤٧] مسئولاً عن القضايا المالية فحسب بل كان قائدًا حربيًا؛ فقد اشترك في عدة معـارك أولهـا الاستيلاء على القنفـذة ميناء عسير الأول من جيش الشريف الحسين[٤٨]. ثم قيادة جيوش القبائل العسيرية في الحرب الفاصلة ضد الإدريسي عام ١٣٥١هـ[٤٩]. وكان له دور قيادي في مجال السياسة إذ كان من المفاوضين السعوديين، وهم الشيخ محمد بن دليم أبو لعثه، والشيخ حسين بن صيهان آل سالم وعمر بن عسكر والشيخ محمد بن سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط مع السيد الحسن الإدريسي والذي على إثرها تم توقيع اتفاقية مكة المشهورة ودخول الإمارة الإدريسية تحت الحماية السعودية. ثم سافر إلى صنعاء مرتين في مهام سياسية لحل الخلافات السعودية اليمنية على الحدود،

واشترك في المحادثات التي تم بموجبها اتفاقية العرو وذلك في مدينة أبو عريش بتاريخ ٥ شعبان ١٣٥٠هـ ١٥/١٢/١٩٣١م، ثم شارك في مؤتمر أبها عام ١٣٥٢هـ. والدور العظيم الذي قام به في الحرب السعودية اليمنية والتي انتهت باتفاقية الطائف عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

وعلى أثرها تشكل وفد من المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ عبدالوهاب، ووفد من المملكة اليمنية حينذاك برئاسة محمد بن حسن الوادعي لحل مسائل الحدود حلًّا جذريًا اجتمع الوفدان في مدينة ظهران الجنوب في الفترة ما بين ٢٥ شعبان و٢١ شوال ١٣٥٤هـ، وقد أمضى حياته إلى حين وفاته جنديًا مخلصًا وفيًا لدينه ووطنه ولمؤسس هذه البلاد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز، وقد توفاه الله بالسكتة القلبية عن عمر يناهز ٧٤ سنة بعد أدائه صلاة فجر يوم الخميس الموافق ١١ من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٤هـ، أي بعد وفاة الملك عبدالعزيز بعام واحد فقط. وقد نعته المديرية العامة للصحافة والنشر حينذاك (وزارة الإعلام فيما بعد) ببيان قالت فيه: «توفي في أبها حضرة صاحب السعادة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة الرئيس العام لجميع ماليات منطقة عسير وتوابعها بعد عمر طويل قضاه ـ يرحمه الله ـ في خدمة مليكه ووطنه. كان ـ يرحمه الله ـ تعالى من كبار الشخصيات البارزة في هذه البلاد الذين ساهموا بنشاط وافر من التضحية والوطنية والجد والاجتهاد في استتباب الوضع الحالي فأدى بذلك أجل الخدمات لهذا الوطن العزيز كما اتصف أيضًا بالأمانة والنزاهة والاستقامة والشهامة العربية وروح التضحية والشجاعة والإقدام فساهم في كثير من المعارك الحربية في إبان تأسيس هذه المملكة الفتية وخاض غمار الحرب شجاعًا مقدامًا وقائدًا حربيًا باسلًا فالتفت إليه من أجل ذلك كله مؤسس هذه المملكة العظيم فقرّبه وكافأه على إخلاصه ووفائه وشجاعته بما هو جدير به، وحفظ له كل ذلك حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم أيضًا فأنزله المنزلة الجدير بها من الإكرام والاحترام والثقة الغالية»(٥٠).

وأرى أن في أعناقنا نحن أبناء هذا الجيل دَيْنٌ لأولئك الرجال الذين شدّ بهم القائد المؤسس أزره وقوى بهم عضده في بناء هذا الكيان العظيم الذي نكتنف بظلاله ونقطف من ثماره. وأبسط ما نقدمه لهم أن نذكرهم في مناسبة مؤتمر قائدهم العظيم فالإشادة بذكرهم وفاء لعبدالعزيز نفسه. وإنني بهذه المناسبة أدعو حكومة هذه البلاد الرشيدة ومؤسساتنا العلمية أن تعمل على إعداد دليل وطني بحياة رجال عبدالعزيز عرفانًا منا لهم بالجميل وحفظًا لتاريخ فترة من أعزّ الفترات التاريخية بل وأهمها في تاريخ هذه الأمة.

تشكيل الادارة المالية في عسير:

باشر عبدالوهاب مهام وظيفته كأمين بيت مال منطقة عسير ووظف لمعاونته في أداء هذه المهام كوادر وطنية مدربة حقًا في حقول الإدارة والشئون المالية والمحاسبة وجباية الضرائب اكتسبوا تدريبًا عاليًا بمفاهيم ذلك الوقت إبان فترة الحكم العثماني مثل علي بن حسن بن خنفور وكان ممثلاً لعسير في مجلس المبعوثان العثماني(٥١). قبل ذلك كان يشغل رئيس محاسبة متصرفية عسير(٥٢). ومصطفى بن عزيز الذي كان والده جابي ضرائب الإقليم وأمين صندوق في العهد العثماني(٥٣). وسعيد الغماز(٥٤). وعبدالله بن حسين الحازمي وعبدالله بن إلياس وحسين قدح وعبدالله بن مسفر(٥٥). وما زال الثلاثة الأخيرين أحياء وأعمارهم تناهز التسعين عامًا كما عمل مع الشيخ عبدالوهاب أحمد أبو هليل، وقد عُين أمينًا لمالية القنفذة بعد فتح مكة مباشرة، وقبل سقوط جدة(٥٦).
وقد عين أمناء لبيت المال في كل من نجران والبرك وظهران الجنوب ورجال ألمع وجميعها تتبع مالية أبها وتحت إشراف الشيخ عبدالوهاب المباشر بالإضافة إلى مراقبي أسواق في كل من النماص بني شهر وأسواق تهامة وبلاد شهران وبلاد قحطان. وقد اتبعت الإدارة الجديدة النظم المالية المعمول بها في العهد العثماني، وبقيت سائدة حتى بدأ عهد التنظيمات إذا جاز لنا أن نستخدم هذا المصطلح بعد توحيد المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ. وقيام مجلس الشورى والوكلاء المخولان بوضع الأنظمة وإن ظل لجلالة الملك الحق في تقرير ما يراه هو صالح للحكومة والشعب.

واردات مالية عسير:

أما قنوات الدخل فكانت إلى جانب الزكاة الشرعية الضرائب التي كانت تستوفي تقريبًا على كل شيء يُورّد إلى الأسواق. وكان لكل سوق ملتزم يدفع هذا الملتزم للمالية مبلغًا يتفق الطرفان عليه، وهو بدوره يجبي ما يرد إلى السوق ويفترض في الملتزم الصدق والعقل والأمانة؛ وفيما يبدو لي أن الالتزام يقتصر على أشياء محددة ومعينة مثل الحطب فيؤخذ من كل حزمة تحملها امرأة أو حمل على ظهر دابة عود واحد والعلف كالبرسيم وغيره فيؤخذ من كل حمل حزيمة أو ما يسمونه في عسير «غثة»، وهو ملء قبضة اليد الواحدة، وصفحة(٥٧) من القهوة على كل دكان من دكاكين بيع القهوة، وما غير ذلك.

أما ما يباع من حيوانات فيؤخذ على كل رأس يباع ضريبة معينة حددها نظام الضرائب الصادر عام ١٣٥١هـ(٥٨). على رأس الغنم قرش ونصف أميري، ورأس الجمل اثنين وعشرين قرشًا أميريًا، والبغال أحد عشر قرشًا أميريًّا، وعلى الحمار خمسة قروش ونصف أميري(٥٩). وتحصل ضريبة بيع الحيوانات مباشرة من قبل جابي المالية، وهو ما يسمى بمراقب السوق وبواسطة الدلالين، ويدخل ضمن هذا باعة السمن والعسل إذ كان لهاتين السلعتين دلالين خاصين.

هذا بالإضافة إلى الضرائب الجمركية على جميع البضائع المستوردة عن طريق الموانيء البحرية الرئيسية على السواحل العسيرية مثل القنفذة والبرك والشقيق والقحمة والمنافذ البرية، وأهمها ظهران على الحدود اليمنية السعودية ثم جيزان فيما بعد عام ١٣٥١هـ بعد القضاء على الأدارسة. وكانت الضرائب الجمركية فيما يبدو مساوية لتلك التي كانت تستوفى في العهد العثماني، وقد قدرها فيلبي في كتابه النجود العربية بأنها ٨٪. وترتفع إلى ١٢٪ على المواد الكمالية مثل الحرير وغيره و٢٠ إلى ٢٥٪ على التبغ والسجائر(٦٠).

وكان يستوفى على البضائع ضرائب إضافية كلما نقلت من مكان إلى آخر؛ وتسمى «بفسح الكوشان» أو «تخريجية» وقد أصدر جلالة الملك أمره بتاريخ ١٨ ربيع

الأول ١٣٤٧هـ بعدم استحصال هذه الضريبة على البضائع المنقولة من مكان إلى آخر داخل بلاده أكثر من مرة فبالضاعة التي تنقل من القنفذة ومعها ورقة «كوشان خالص» لا يستوفى عليها الرسوم مرة أخرى عند ورودها إلى «المخواه»[٦١].

كما أمر جلالة الملك بإلغاء الرسوم التي كانت تُفرض على البضائع الواردة إلى عسير من البلاد التي كانت تحت النفوذ الإدريسي سواء كانت ترد منها أو عن طريقها ما عدا المهرب منها[٦٢]. وكان هدف جلالته التخفيف على الرعايا من دفع الرسوم مرتين على بضاعة واحدة[٦٣]. كما أمر بتوحيد التعرفة الجمركية في موانىء البحر الأحمر التابعة لعسير بما فيها تلك التي تحت إدارة الإدريسي[٦٤].

لم يكن الشيخ عبدالوهاب راضيًا عن قرار الملك القاضي بمنع استيفاء رسوم على البضائع الواردة عن طريق بلاد الإدريسي لما في ذلك من أضرار على مالية عسير، ولكي يُثني جلالته عن هذا القرار كتب إلى الأمير فيصل النائب العام في الحجاز لعله يقنع جلالـة الملك في العدول عن هذا القرار الذي فيه ضرر واضح على خزينة الدولة. فأجابه سمو الأمير بقوله: «قد علم كلما بينتوه من جهة الرسوم بينكم وبين سواحل الأدارسة والأضرار التي تتوقعون حصولها من حذف الرسوم التي تستوفى على واردات تلك الجهات ورأيكم تدارك ذلك نخبركم أن وكالة المالية العامة قد رأت نفس هذه المرئيات وحاذرت أيضًا من المضار التي حاذرتم منها أنتم. وقد كتبت لصاحب الجلالة مولاي الملك ـ أيده الله ـ في هذا الصدد وأوضحت لأنظار جلالته الأمر تفصيلاً وها أنا في انتظار ورود الجواب من جلالته»[٦٥].

لم يرد في أمـر جلالة الملك القاضي بتوحيد التعرفة الجمركية في موانىء البحر الأحمر التابعة لعسير ما يُشير إلى مقدار التعرفة نفسها، ولكن نلحظ أنه في رسالة أخرى حدّد الرسوم الجمركية على الرقيق وهي عشرون ريالاً على الرأس الواحد يضاف إليها

عشر ريالات كرنتينه للواردين عن طريق البحر الأحمر، وعشرون ريالاً للقادمين عن طريق البر(٦٦).

بالإضافة إلى ما سبق من الضر ائب كانت توجد ضريبة الجهاد وهي ما عرفها جلالة الملك في رسالة إلى الشيخ عبدالوهاب بقوله: «هي ما يؤخذ من الناس الذي ما هم حروث مغزا ولا ينفعون بالمغازي»(٦٧). أما الزركلي في كتابه شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز فقد سماها «إعانة الجهاد». وعرفها بقوله: «إعانة الجهاد يؤديها أهل الحواضر كسكان الأحساء والقطيف والقصيم ومدن الحجاز وعسير وجبل شمر ممن كان عليهم أن يشاركوا في خوض الحروب إلى جانب القبائل والبادية، ولكنهم أعفوا من الدعوة إليها وكانت لها شعبة خاصة في الديوان»(٦٨).

والنكالات وهي ضرب من ضروب الغرامات على كل من يرتكب جريمة كالقتل والتعديات فلا تكتفي الدولة بإقامة الحد على مرتكبيها بل تلحق بالشخص أو بعاقلته غرامات رادعة وكان أمراء المقاطعات يُجبون هذه الغرامات، فأمر الملك بأدائها للمالية بعد استيفائها(٦٩). وكان بعض الأمراء قد أنهكوا كواهل الناس باسم النكالات وما يطلبه خدام الإمارة من مبالغ إضافية باسم جبايتها، فحدد جلالة الملك «شرهه» (أي تعابه) «الخدام» بـ٢٪ فقط ونبه على أمير أبها حينذاك عبدالعزيز بن عبدالله العسكر «بالاستقامة وعدم التعدي على الرعية بدون حق»(٧٠).

ومن الجدير بالذكر أن النكلات قد ألغيت بأمر ملكي كريم عممته النيابة في الحجاز على حكام المقاطعات بتاريخ ١٣٥٩/٧/١٥هـ(٧١) ويذكر فيلبي في كتابه النجود العربية أن النكال في القتل مبلغ إضافي أحيانًا يعادل دية المقتول(٧٢).

نظام وطريقة جباية زكاة المحصولات الزراعية:

سبق أن أشرت إلى أن أهم مصدر من مصادر الدخل في منطقة عسير هي الزكاة وخاصة زكاة المحصولات الزراعية فكما أشرنا إلى الطريقة التي تُجبى بها الضرائب التي

استعرضناها سابقًا أجد لزامًا التلميح إلى الطريقة التي تُجبى بها زكاة المزارع ولو بشكل مختصر إذ أن كل موضوع من الموضوعات التي تطرقت لها يحتاج إلى بحوث مستفيضة. وأرجو أن نتمكن من ذلك في المستقبل، فمن المعروف أن المحاصيل الزراعية متعددة وتختلف باختلاف المناطق وحسب اختلاف المناخ، ولكن المحصولات الزراعية الرئيسية هي القمح والذرة والشعير والقهوة والعدس، ويسمى في عسير «البلسن»(٧٣). وتنقسم المزارع إلى قسمين قسم يزرع على السقي ويسمى «مسقوى». وقسم يعتمد على المطر فقط ويسمى (عثرى). وكما هو معروف فزكاة القسم الأول نصف العشر. والقسم الثاني العشر كاملاً. وتؤتي المزارع ثمارها مرتين في السنة في سراة عسير وثلاث مرات في تهامتها. وتتأثر الزراعة تأثيرًا كبيرًا إذا انقطع المطر عن الهطول في مواسمه، ولعل من الطريف والمهم في آن واحد أن مراسلات الملك عبدالعزيز حوت معلومات قيمة عن سنوات الرخاء وكثرة الأمطار وعن سنوات الشدة حين ينقطع فيها المطر وتغلي الأسعار. ففي كل موسم وقبل أن يحين وقت حصاد الثمار واكتمال نضجها وعدم احتمال إصابتها بآفة يتم بعث فرق من مقدري الزكاة إلى كل قبيلة أو منطقة معينة بفرقة، وتسمى «عاملة الخرص». يوافق عليها من قبل الأمير الحاكم الإداري ورئاسة المالية، ويرأس كل فرقة والتي تتكون من خارصين وكاتب(٧٤). شخص يسمى أمير العاملة وينضم إليهم مرافق من قبل أمير شمل القبيلة وتزودهم المالية بتعليمات إيضاحية شاملة تكون لهم نبراسًا يمشون بموجبها في أداء مهمتهم(٧٥). كما يزودون بخطابات من الحاكم الإداري ورئاسة المالية إلى نواب البلاد والقرى توضح مهمة «الخراص». ويحثونهم على التعاون معهم(٧٦) تنطلق هذه الفرق إلى الجهات التي خصصت لها وتجوب القرى والأرياف وتقف على كل مزرعة وتقدر خرص كل حقل وتدونها في دفاتر ترفعها للمالية. وتعطي لكل نائب قرية كشفًا بالزكاة المستحقة على سكان قريته. وتسمى «النثرة» وإقرار من النواب بأن العاملة لم تظلمهم، وإذا كان لهم أي تظلم فليكن قبل حصاد الغلة. انظر التفاصيل في لائحة التعليمات. وبعد حصاد الغلة ودياستها وتصفيتها تفرز الزكاة المستحقة، ويقوم المزارعون بنقلها وتسليمها إلى مقر المالية في عاصمة الإقليم.

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد في منطقة عسير نظام تعارف عليه الناس منذ القدم وهو ما يسمى «بنظام العشيرة»، وهو تحصيل عشر محصول كل مزارع وإيداعه في بيت خاص في القرية التابع لها المزارع وتشرف عليه هيئة منتخبة من أهل القرية، وهذا طبعًا غير الزكاة التي تُجبى إلى بيت مال حكومة الإقليم، ويتصرف بها الحاكم كيف يشاء في طرقها المشروعة أما نظام العشيرة فهو نظام إلزامي أملته ظروف اجتماعية[٧٧]. ويصرف في وجوه مختلفة لما يهم مجتمع القرية الصغير فمن ريعه يجهز غازي القرية، ويصرف على الفقير المعدم وابن السبيل ويرفد المبتلي وباختصار فإنه عبارة عن صندوق ضمان اجتماعي وقد تناولت دراسة هذا النظام في سياق بحث عن المجتمعات القروية في بلاد رفيدة تنظيماتها السياسية والاقتصادية. منشور في مجلة الدراسات العربية العدد ٦ عام ١٩٨٢م التي تصدر في جامعة كمبردج.

لذا فلن أطيل الحديث عن هذا النظام الذي فيما أظن أن منطقة عسير قد انفردت به، ومن أراد الاستزادة فليرجع للبحث المنوه عنه.

العلاقة بين خزينة مالية عسير والخزينة المركزية

من الصعب الجزم بالقول بأن الأسلوب اللامركزي في النظام المالي في الأربعينات وحتى أواخر الخمسينات الهجرية من القرن الماضي، كان هو المتبع، ونحن لا نملك الأدلة الكافية والقاطعة، ولكن في ضوء ما لدينا من الدلائل ما يشير إلى أن شيئًا من اللامركزية كان متبعًا في مالية عسير فكانت المالية تُجبي الضرائب وتَستوفي الزكاة، وتحصل على واردات الجمارك، وبالتالي تقوم بالإنفاق من إيرادها على احتياجاتها المحلية مثل رواتب الجند والموظفين والشرهات والبروات والمقررات، وهذه الثلاثة الأخيرة من حق الملك وحده يأمر بها لمن يشاء ويعمد رئيس المالية بصرفها، وما فاض عن ذلك يحتفظ به في خزينة الولاية للإنفاق في وقت الضرورة وتقوم الخزينة المركزية في الرياض والتي على رأسها جلالة الملك نفسه بتعميد رئيس المالية في أبها بصرف ما يبعث

إليه من حوالات. وإصدار أوامر الحوالات حق خاص لجلالة الملك لا يشاركه فيه إلا وكالة المالية العامة في الحجاز، وقد حذر رئيس مالية أبها من القيام بتسديد أية حوالة لا تصدر منه أو من وكيل ماليته العام في الحجاز. حيث قال في رسالة بعث بها إلى الشيخ عبدالوهاب: «نبلغكم وننذركم من قبل الحوايل التي ترد عليكم من بعض عيالنا أو غيرهم احذروا تسدون منها شيء قطعيًا لا كثير ولا قليل وإذا تجروا على شيء من ذلك خلافًا لما أمرناكم به فلا نقبله ولا نجيزه، ويكون ذلك من مالكم الخاص بل إنكم تتعرضون لعدم رضانا. وأما ما تحول عليكم به وكالة ماليتنا العامة في الحجاز فهذا أقبلوه واعتمدوا سداده احرصوا على اعتماد وتنفيذ ما ذكرناه لكم»(٧٨). استثنيت هذه القـاعدة أثناء الحرب الإدريسية عام ١٣٥١هـ، حينما خول الملك عبدالعزيز القائد العام للجيوش السعودية في هذه الحرب الأمير عبدالعزيز بن مساعد صلاحيات مالية بالإضافة إلى صلاحياته العسكرية والإدارية، فأصبح بموجب هذا التخويل للأمير عبدالعزيز بن مساعد أن يعمد رئيس المالية بصرف ما يراه الأمير.

كما نلاحظ أن الملك قد أبلغ عبدالوهاب بأنه لن يبعث أية حوالة على مالية أبها بسبب ظروف الحرب حيث قال جلالة الملك في رسالته: «عرفناكم أنكم ما تسدون حوايل أبدًا بل تبقون جميع الذي عندكم للوازم إن شاء الله ومن قبل عبدالعزيز بن مساعد وأصلكم إن شاء الله تمتثلون أمره على كل حال ما دام هو عندكم في زهاب وغيره وتبينون له حاصلاتكم وموجوداتكم كلها المقصود لاتمانعون في شيء يأمر به عليكم من كل الأمور لأنه محل نفسي واحرص في جميع الأحوال دقيقها وجليلها»(٧٩) وتقوم مالية أبها بإعداد حساب ختامي ولعله في نهاية كل عام، وتقدمه إلى وكالة المالية العامة في مكة توضح فيه وارداتها ومصروفاتها وموجوداتها(٨٠).

وكان جلالة الملك عبدالعزيز يحرص على أن يطلع على بيانات حسابات مالية أبهـا، ويبـدو أن المالية حينما كانت في أول عهدها تأخرت في بعث حساباتها فكتب

جلالته إلى الشيخ عبدالوهاب يقول: «من طرف حسابكم هذا مثل بيض الصعو يذكر ولا يشاف كل دفعه تذكرون أنكم تبي ترسلونه مع رجال لكم ولا رأينا ذلك»[٨١].

كانت مالية أبها مركزية يتبع لها عدة ماليات هي: مالية القنفذة، ومالية ظهران الجنوب، ومالية نجران، ومالية جيزان وتوابعها، ومالية البرك. وقد حاولت الإدارة في الحجاز ضم مالية القنفذة إليها إلا أن جلالة الملك لم يقر هذه المحاولة[٨٢]. وكان جلالة الملك يبعث بعض الحوالات إلى مالية القنفذة لتسديدها في الوقت الذي كانت مالية أبها تطالب مالية القنفذة بقبول صرف الحوالات التي ترد إليها منها أيضًا وحسمًا لهذا الإشكال اقترح جلالة الملك على الشيخ عبدالوهاب بالآتي: «من قبل القنفذة فالقنفذة ماليتها راجع أمر النظر لكم عليها مثل ما عرفناكم، ولكن انكان تحبون أن داخلها جميعه يصير راجع لكم وان أبو هليل[٨٣]. يعتمد أمركم وحتى إذا حولتو عليه في شي يسده وكل شهر يقدم لكم صورة حساب داخله وخارجه وانكم تعهدون انتم لنا بجميع الحوايل الذي ترد عليه وعليكم منا تسدونها لأجل لا يكون باكر إذا وردة تحاويلنا على أبو هليل ولوازمنا وإذا كم آخذين الذي عنده ثم تعطل تحاويلنا ولا يوجد ما يسدها فيه فإنكان مثل ما ذكرنا لكم تبون مالية القنفذة تصير تابعة لكم وحدر امركم فإنتم تصير تحاويلنا الذي على القنفذة والذي عليكم تعهدون بسدادها وحنا نعرف أبو هليل إن أمره راجع منه إليكم وأنه يعتمد أمركم بها تدبرونه أو تحولون به عليه وكل شهر يقدم لكم حسابه وإذا ورد عليه منا تحاويل يسدها ويعرفكم بها حتى تجرونها علينا بخارجة المقصود شوفو نعزكم وعرفونا يكون معلوم»[٨٤]. أما مقدار الحوالات التي حولها جلالة الملك على مالية أبها فقد كانت تتفاوت من عام إلى آخر وإن كان ما لدينا من المعلومات لا تعطي الصورة الكاملة وإنما تمثل عينات لما كانت عليه الحالة، ففي ضوء ما تمدنا به وثائقنا نجد أن عام ١٣٤٧هـ شهد أعلى نسبة من الحوالات التي تلقتها مالية أبها بأمر جلالة الملك. إذ بلغ مجموع هذه الحوالات حوالي سبعين ألف ريال[٨٥]، وهو العام الذي شهد ثورة الإخوان. ولم نعثر على حوالة واحدة صادرة من لدن وكالة المالية بمكة.

كان جلالة الملك كل ما ذهب إلى الحجاز كتب إلى عبدالوهاب أبو ملحة رئيس المالية بإرسال ما يحتاج إليه من مواد غذائية مثل العسل والسمن والقهوة والغنم[٨٦]. ولم أقصد من مناقشة مثل هذه القضايا التي ينقصها المادة التاريخية إلا محاولة فتح باب البحث في قضايا مهمة لجوانب ما زالت غامضة من تاريخنا جديرة بالدراسة من قبل الباحثين المتخصصين مع إيماني بأن الباحث المتخصص لايمكن أن يقوم بالمهمة وحده ما لم تتظافر جهود جهات الاختصاص في البحث عن وثائق فترة الملك عبدالعزيز وخاصة سجلات وملفات وزارة المالية وفروعها في جميع أنحاء المملكة والعمل على جمعها وصيانتها وفهرستها وتقديمها للباحثين بل وإشراك الباحثين في عملية البحث والفهرسة.

معاشات موظفي الدولة في منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز:

لا نعرف بالضبط مقدار معاشات الموظفين العاملين في الإقليم في السنوات ما قبل عام ١٣٥٠هـ وما قبل توحيد معاشات موظفي الدولة بشكل عام فيما بعد ذلك. وفي الواقع إن هذا الموضوع لا يقع ضمن اختصاص هذه الدراسة إلا ما تيسر من معلومات في هذا الخصوص حوتها رسائل الملك عبدالعزيز أو ما تيسر الاطلاع عليه من أوامر صادرة من لدن جلالته.

يبدو أن جلالة الملك كان يقطع أمراء الإقليم زكاة بعض المناطق وخاصة مناطق البادية منها التي احتفظ جلالته لنفسه الحق في جباية زكواتهم[٨٧]. إذ نلحظ أنه اقطع أميره على الإقليم عام ١٣٤٢هـ عبدالعزيز بن إبراهيم زكاة بعض قبائل بني واهب[٨٨]. ويجب أن نضع في الحسبان بأنه إلى جانب الرواتب كان هناك ما يسمى «بالشرهة» و«البروة» و«القاعدة» فالأول شهري والثلاث الأخيرة حولية أو نصف حولية أو في المناسبات فلربما أن ما أقطعه لابن إبراهيم كان من النوع الثاني أي «البروة» كما أمر للشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بمبلغ ألف ريال «قاعدة» كل ستة أشهر من دخل جمرك

القنفذة[٨٩]. كما أمر برفع مقررات الحسن بن عبده الهلالي من ٧٠٠ ريال فرانسي إلى ١٥٠٠ ريال شهريًا تصرف له من مالية أبها[٩٠]. وفيما يبدو أن مرتبات الموظفين وغيرهم من العاملين في حكومة الإقليم كانت المالية في أبها هي التي تحدد رواتبهم ومصاريفهم وحينها اطلع جلالة الملك على كشوف حسابات مالية أبها استغرب جسامة ما يصرف على العاملين وقصور ضيافة الحكومة فكتب إلى الشيخ عبدالوهاب رسالة أكثر ما تكون رسالة عتاب قال فيها: «بعد ذلك مرسولكم الحسابات وصلت واطلعنا عليها ووجدناها كلها مصاريف مالها سنع وتعجبنا منها كيف هاالاشياء (هذه الأشياء) تجري وتصرفون هالمصاريف (هذه المصاريف) بغير قياس لاكن الذي فات ما نقدر نرده وإنما صيرة مصاريفكم مهيب معينة (ما هي معينة) شي ما يمكن فأنتم وبن عسكر اجلسوا وعينوا المصاريف اللازمة للقصر والضيف والخدام من كل شي يصير شي معين كل هلال شهر يأخذونه إن زاد لهم وإن قصر عنهم ولاكن افطنوا للوسط لاباكر إذا روحتو إلى الورقة وإذا هي خارجة عن العادة لأن جميع مراكزنا معين لها مصاريفها والقياس عندنا وإذا تعديتوا القياس الذي معين لغيركم ما طعناكم فإنتم شوفو السنع الذي يصير ما به قاصر والزود ما أمر الله به يكون معلوم».

لا نعرف بالتأكيد ما قرره الأمير ابن عسكر وعبدالوهاب رئيس المالية من رواتب شهرية للموظفين والمستخدمين بيد أن لدينا رسالة أخرى من الملك موجهة هذه المرة إلى الموظفين والعاملين في أبها وهم ما يسميهم الملك «بالخدام» ردًا على ما رفعوه لجلالته من شكوى بسبب نقص مصاريفهم المعينة لهم وأنها لا تكفي لمواجهة متطلباتهم المعيشية حيث قال جلالة الملك في رسالته: «... ورد علينا خطوط من بعضكم يشتكون من قل المصرف المعين لهم وحنا (نحن) الذي معينين هالمصرف (هذا) لأهل البيوت المتزوجين منكم ولا لأحد في ذلك مدخل لا أميركم ولا وكيل بيت المال ولا يقدرون على زيادته أو نقصانه لاهم ولا غيرهم موجب الأمر صادر منا بقابلحاضر حنا عرفناهم يزيدونكم في ذلك وعينا لهم مقدار الزود وأمرناهم يجرون بموجبه وهذا فيه كفاية لكم وزيادة ولا لكم غير ما ذكرناه لهم يكون معلوم»[٩١].

وورد في ملحق رسالة من جلالة الملك إلى الشيخ عبدالوهاب الموافقة على تعيين عبدالله بن الياس موظفًا في المالية وهو يعد من كبار موظفي عصره وقد حدد الملك راتبه بعشرين ريالاً[92]. وفي عام ١٣٥٨هـ انتخب السيد علي بن حسن عضوًا دائما لبلدية أبها براتب ثلاثين ريالاً شهريًا[*].

وفي ضوء ما لدينا من الوثائق نجد أن جلالة الملك أصدر أمره بتاريخ ٢٢ ربيع الأخر ١٣٥٣هـ بتحديد رواتب موظفي إمارة بيشة لربها كما حددتها ميزانية الدولة عام ١٣٥٣هـ حيث جاءت على النحو التالي ٣٠٠ ريال راتب الأمير و٥٠٠ ريال مخصصات الضيافة والأرزاق و١٠٠ ريال للعلف و٣٠ ريالاً للمطوع (ولعله يعني القاضي) و٥٠ ريال للكاتب و٦٠٠ ريال للأخوياء وعددهم ثلاثين نفرًا لكل منهم ٢٠ ريالاً[93]. وقد عمد جلالته مالية بيشة بصرف هذا المبلغ شهريًا للإمارة[94]. بالإضافة إلى المرتبات النقدية كانت تصرف مخصصات عينية يومية مثل الرز والتمر والبر فكان يصرف لأمير نجران ٢٠ صاع رز يوميًا لوجبتي الغداء والعشاء للأمير وأخوياه والضيف الحضري، ١٠ وزنات تمر لغداء الخدام وهجورهم[95]. وفي حالة تعذر صرف معاشات الموظفين نقدًا يعطى لهم بدلاً عنها إمَّا عنزًا أو تيسًا أو كمية من حب أو حزمة من حطب أو غير ذلك.

الجيش النظامي في عسير، بدايته ومرتباته:

لم يكن في منطقة عسير جيش نظامي قبل حرب الإدريسي في عام ١٣٥١هـ. والحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٣هـ. وكنتيجة لتطور الأحداث في الجزء الجنوبي من المملكة في منتصف الأربعينات وأوائل الخمسينات الهجرية نلحظ ازدياد اهتمام جلالة الملك بهذا الجـزء المهم من بلاده زاد من اهتـمامـه به ثورة الحسن الإدريسي عام ١٣٥٠هـ. وتحرشات الإمام يحيى إمام اليمن وطمعه في ضم أملاك الأدارسة إلى مملكته وتهديده بغزو نجران ومماطلته في قبول حل الخلافات بالطرق السلمية ومراوغاته بين

التهديد بالحرب حينا والجنوح للسلم أحيانا الأمر الذي اضطر الملك عبدالعزيز إلى أخذ الحيطة لمواجهة أي احتمال قد يجر إلى حرب مع الإمام إذا ما فشلت كل الوسائل السلمية فأبرق جلالته بصورة سرية جدًّا إلى الشيخ عبدالوهاب بتاريخ **١٠ صفر ١٣٥٢هـ** يخبره عن عزمه على ربط منطقة جيزان بأبها واحتياطًا للتحرشات القائمة من إمام اليمن فإنه يرغب في أن يصير في أبها جيش مدرب وثابت مع جميع عتاده الحربي ويكون في حدود الألف ويساعده عند اللزوم الجيش الموجود في جيزان ومحاربي قبائل عسير «المعروفة بشجاعتها ونصحها»[٩٦]. وبذلك يستغني عن تسيير جيوش من نجد لما في ذلك من كلفة على حكومة العاصمة وحكومة الإقليم. وإذا احتاجوا إلى زيادة فينضم إليهم غزو قبائل بيشة والوديان وعساكر الحجاز[٩٧].

وبما أن مصادرنا تم العثور على معظمها بمجرد الصدفة لعدم وجود المعلومات الوثائقية الأرشيفية المنظمة وإن وجدت فعلى نطاق ضيق جدًّا[٩٨]. لذا فإن ما سيرد في هذه الدراسة ما هو إلا إراد نماذج لما كانت عليها أوضاع الجند ومرتباتهم ورتبهم وعدد حضورهم في مناطق تمركزهم وفي فترات زمنية متقطعة وبالقدر الذي تمدنا به مصادرنا ففي رسالة تم العثور عليها بالصدفة بعث بها أحد جنود الجيش النظامي الذي كان مرابطًا مع مفرزته في نجران في سنة **١٣٥٣هـ** إلى صديق له في قلعة الطائف أي بعد اتفاقية الطائف بين المملكة العربية السعودية واليمن مباشرة يخبره فيها بأن معاش الجندي النظامي هو تسعة عشر ريالاً ويفصح هذا الجندي في رسالته عن تذمره هو ورفاقه من ضآلة الراتب، ويطالبون مساواتهم بمنسوبي القطاعات الحكومية الأخرى الذي ذكر أن رواتبهم سبعة وعشرين ريالاً في الشهر ويذكر الجندي أيضًا أن العسكر رفضوا تسلم رواتبهم لأربعة أشهر على التوالي لريثما يتم مساواتهم بغيرهم وأنهم رفعوا شكوى بذلك إلى جلالة الملك[٩٩]. وقد أشار الجندي في رسالته بأن قائدهم ويدعى حيدر قد ترك الخدمة وحل محله قائد جديد ويدعى علي الحمود وأشار أيضًا إلى أن قائد العسكر في أبها ويدعى محمد شوقي قد غادر أبها وهو أي القائد مدين للجندي بمبلغ تسعة وثلاثين ريالاً عربيًا. ويطلب من صديقه استيفاء هذا المبلغ منه[١٠٠].

وفي عام ١٣٥٦هـ صدرت ميزانية نجران من قبل وزارة المالية وتشمل إيضاحات وافية عن المفرزة المرابطة هناك من حيث عددها ومرتباتها فهي تتكون من قائد المفرزة وراتبه ٨٢٥ قرشًا وملازم ثاني رشاش وراتبه ٦٦٠ قرشًا وكاتب للمفرزة وراتبه ٥٥٠ قرشًا و٨٤ ضابط صف وجندي منهم ٤ برتبة نائب وراتب الواحد منهم ٣٣٠ قرشًا وثمانية عرفاء وراتب واحدهم ٢٨٨ قرشا والباقين جنود راتب الواحد منهم ٢٤٧ قرشًا[١٠١].

وفي عام ١٣٦٣هـ كتب ـ قائد قطعات الرشاش بقيادة منطقة أبها وقائد المنطقة في الوقت نفسه ـ عبدالعزيز فيضي وكيل القائد والذي كان يحضر دورة ضباط متقدمة في العاصمة بإشراف بعثتين عسكريتين واحدة إنجليزية والأخرى أمريكية ـ برسالة[١٠٢] إلى مدير محاسبة المنطقة يخبره فيها بأن الوزارة اعتمدت رواتب العسكريين الضباط في ميزانية ١٣٦٣هـ وقد رفعت للمقام السامي للتصديق عليها وهي على النحو التالي:

٩٠ ريالاً وكيل ضابط

١٢٠ ريالاً ملازم ثاني

١٦٠ ريالاً ملازم أول

٢٠٠ ريال رئيس

٢٥٠ ريالاً وكيل قائد

٣٠٠ ريال قائد

٤٠٠ ريال قائد عام

٥٠٠ ريال زعيم

أما ما يخص رواتب الجنود فلم ترد إشارة في هذه الرسالة إلى مقدار رواتبهم في ميزانية هذا العام أي عام ١٣٦٣هـ إلا أن راتب الجندي في عام ١٣٦١هـ كان ١٥ ريالاً و٨٠ قرش إعاشة[١٠٣].

ومن الملاحظ أن الجندي في حالة السفر يعطى مجيدي واحد في كل يوم مقابل أكله أما الضباط فينطبق عليهم ما جاء في نظام المصاريف السفرية المصدق عليه من قبل جلالة الملك برقم ٢ بتاريخ ٢٤ محرم ١٣٤٦هـ بعد إقراره من مجلس الشورى برقم ٧٠٥٥ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ(١٠٤). وعدد القوة المتواجدة في أبها عام ١٣٦٠هـ تتكون من خمس سرايا موزعة على الأسلحة التالية: ٧٩ السرية الأولى مشاة، ٥٣ السرية الثانية مشاة، ٥٥ السرية الأولى رشاش، ٥٢ السرية الثانية رشاش، ٦٠ سرية المدفعية(١٠٥) فكانت قلعة شمسان مقر قيادة الجيش في أبها وكان يوجد في الشعبين حاضرة رجال ألمع طاقم مدفع يتكون من عريف وأربعة جنود(*).

كان من أهم المهمات الحربية التي قام بها الجيش النظامي في أبها خلال هذه الفترة هو مشاركته بقوة مكونة من مائتين وثلاثين جنديًا وخمسة من الضباط الأغلبية من جنود المشاة والرشاشات في حرب القهر عام ١٣٦١هـ(١٠٦) إلى جانب غزو قبائل منطقة عسير بقيادة الأمير تركي بن أحمد السديري وقدرت المصادر الوثائقية التي بين أيدينا غزو القبائل التي أتت على ذكرها على النحو التالي: ٢٠٠ من قبيلة شهران بقيادة أميرها سعيد بن مشيط، ٢٥٠ من قبيلة رجال ألمع بقيادة حسن بن أحمد بن عبدالمتعالي وأحمد بن عبدالله الحياني، ١٤٠ من بني شهر بقيادة شاكر العسبلي، ٩٠ من بني مغيد بقيادة أميرها ابن مفرح، ٦٢ من قبيلة بني مالك بقيادة أميرها علي بن أحمد بن معدي، ٦١ من قبيلة علكم بقيادة أميرها عايض بن حامد، ٥٩ من قبيلة ربيعة ورفيدة بقيادة أميرها عبدالوهاب المتحمي، ٧٥ من قبيلة بللسمر بقيادة شيخهم جرمان، ٧٥ من قبيلة بللحمر بقيادة نوابهم(١٠٧). أما غزو قبيلة قحطان فقد ورد إشارة إلى مشاركتهم في هذه الغزية دونها ذكر لعدد المشاركين. وكان يرافق الأمير قوة من رجاله الخاصين (الأخوياء) وعددهم ٦١ رجلاً(١٠٨) والقاضي عبدالله بن يوسف الوابل(١٠٩) ويرافقه ٤ من أخوياه صرفت لهم أربعة بنادق من مستودعات قيادة المنطقة بينها شوكات القبائل قد أحضرت بنادقها معها وصرف لكل بندقية ١٥ فشكة من مستودع ذخيرة الجيش بأبها وبأمر من الأمير.

ومن الجدير بالذكر أن مالية أبها قبل تشكيل الجيش النظامي في المنطقة كانت تقوم بشراء الأسلحة والذخيرة وتوزعها على المحاربين أثناء المهمات ثم سلمت ما تملكه من أسلحة وذخيرة إلى قيادة المنطقة فيما بعد[١١٠].

أما علاقة الحاكم الإداري بقائد الجند النظامي فقد حدده مشروع نظام وضع لهذا الغرض مقدمًا من وكالة الدفاع بتاريخ ١٣٥٣/٩/٦هـ وقد اطلعت على صورة من مسودته وهو يتكون من ٩ مواد نقتطف منه ما يخدم غرض هذه الدراسة يقول معد مشروع النظام: «إنه بناء على إطلاعي لبعض الأحوال والمعاملات التي تصدر من الأمراء في الملحقات وتفعلها مع كل من رؤساء الجنود في سائر المملكة ونظرًا لتجاوز الأمراء حدّ وظائفهم في التداخل في شئون إدارة العسكرية رأيت أنه من الوجوب عرض ما لدي لمعاليكم من المواد التي أرى أنها كافلة للمصلحة وبموجبها يقف كل من الأمراء ورؤساء الجنود في سائر المملكة على حد وظيفته». ويهمنا في هذا المكان المواد الثانية والرابعة والسابعة. . . وهي كما يلي:

١ ـ إذا بدأ لزوم ضروري يوجب إلى بعث أحد من الجنود بقدر اللزوم في مهمة رسمية أي في مصلحة الحكومة فيجب على الأمير يأمر كتابيًا على رئيس الجند في جهته بذلك ويوضح في تحريره الأسباب الموجبة لذلك الطلب وجهته وعلى رئيس الجند إنفاذ هذا الأمر.

٢ ـ لا يجوز لقائد الجند في أي جهة كانت قبول أمر ما لم يكن كتابيًا.

٣ ـ الأسلحة والذخائر والمهمات الحربية وكلها في مسئولية وعهدة قواد الجنود في الملحقات لا يجوز للأمراء وضع اليد عليها أو التعرض على شيء ما من كلها ذكر إلا إذا اقتضى الحال[١١١].

من هذا العرض اتضح لنا الدور الكبير الذي قامت به منطقة عسير في بناء الدولة السعودية الحديثة بدأ باستجابتها غير المكلفة في الانضمام تحت لواء الوحدة

الوطنية ودورها الفعّال في النواحي الاقتصادية والعسكرية في إخضاع الحجاز والمشاركة اقتصاديًا في ضرب حركة تمرد الإخوان ومشاركتها اقتصاديًا وعسكريًا وسياسيًا في ضرب ثورة الأدارسة والقضاء عليهم ثم التضحيات الكبيرة التي بذلتها في سبيل إيجاد حدود آمنة وسلام دائم مع جارتنا وشقيقتنا بلاد اليمن.

الهــوامش

١ ـ لمزيد من التفاصيل عن الزراعة والمحاصيل الزراعية في تهامة انظر:

Wilfred Thesiger, A Journey through the Tibama the Asir and the Hijaz Mountains, Geographical Journal, (July - Sept., 1947) p. 191.

٢ ـ Sir Kinahan Corn Wallis, Asir before World War I, p.20.

٣ ـ حوليات يمانية لمؤلف مجهـول تحقيق عبـدالله الحبشي منشـورات وزارة الإعـلام والثقافـة ـ الجمهورية العربية اليمنية بدون ذكر تاريخ الطبع ص٥٥ وما بعدها.

٤ ـ محمد بن أحمد العقيلي المخلاف السليماني القاهرة، جـ٢، ص١٢٩.

٥ ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي، المجلد الأول، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٥٣٦.

٦ ـ كان لعسير ستة أعضاء في البرلمان العثماني (المبعوثان) موزعين على النحو التالي: ممثل عن أبها عاصمة المتصرفية وواحد عن صبيا وواحد عن خميس مشيط وواحد عن النماص وواحد عن بلاد غامد وواحد عن القنفذة ويلاحظ أنها أعلى نسبة من أي مكان آخر في الجزيرة العربية. انظر Sir Cornwallis, Asir, pp. 66, 49, 67, 70.

أيضًا انظر مذكرات سليمان شفيق كمال باشا مجلة العرب تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض الأعداد من ربيع الأول ١٣٩١هـ إلى ربيع الآخر ١٣٩٣هـ ،انظر كذلك العقيلي، جـ٢، ص٧٤ الذي ذكر بالإضافة إلى ممثل صبيا ممثلين عن أبو عريش وجيزان.

٧ ـ تقرير مفصل عن ولاية اليمن بدون تاريخ أعده شخصية عثمانية فيما يبدو مهمة وعلى معرفة بأحوال القطر ولم يظهر اسمه في أي مكان من التقرير المكون من سبعة عشر صفحة محفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء استانبول.

٨ ـ رسالة من متصرف وقومندان لواء عسير محي الدين باشا إلى الشيخ محمد بن حشاش آل الشواط قبيلة بني قيس بتاريخ ٢٨ المحرم ١٣٣٣هـ يبلغه في هذه الرسالة إعلان الدولة العثمانية الحرب على دول الحلفاء ووقوف أهـل اليمن إلى جانب جنـود الدولة في حربهم ضد الإنجليز في السواحل اليمنية ويطلعه على إنحياز الإدريسي إلى جانب النصارى متحديًا مشاعر وعواطف المسلمين ـ أصل هذه الرسالة أو المنشور لدى كاتب هذا البحث.

٩ ـ النعمي، ص٢٤٣.

١٠ ـ كان برتبة مقدم «بكباش» وقائد قوات الضبطية في لواء عسير.

١١ ـ محمـود شاكر «عسير» المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٦هـ، ص٢٥٤. أيضًا عبدالله بن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٢٥.

١٢ ـ انظر رسالة الأمير حسن بن علي بن عايض إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد بتاريخ ١١ شوال ١٣٣٨هـ نشرها حسن حسن سليمان في كتابه الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره بدون ذكر لمكان وتاريخ الطبع، ص٧٥.

١٣ ـ حديث مع الشيخ حسين بن صمان آل سالم شيخ ذعي وبني قيس أحد رفيده وكان واحدًا من الذين فُرضت عليهم الإقامة الجبرية في أبها.

١٤ ـ حدثني السيد علي بن رخيمان من قبيلة آل قريش بادية عبيدة بوادي طريب وهو ممن اشترك في حرب حجلاء بأنه وجماعته اشتركوا في الحرب ليس لهم هدف غير الحصول على المغانم بيد أنه أثنى على بسالة الأمير عبدالعزيز بن مساعد وحكمة الشيخ عبدالله بن راشد في كبح جماح البادية من التعدي على المسلمين بدون حق.

١٥ ـ كان الشيخ عبدالله بن راشد قد بعث به الملك عبدالعزيز على رأس وفد من علماء نجد وذلك في شهر صفر ١٣٣٨هـ إلى منطقة عسير يعلمون الناس أمور دينهم ويحثون زعماءهم على الدخول في طاعة السلطان عبدالعزيز وكانت هذه البعثة أول بعثة استطلاعية للأمور في عسير ويبدو أنهم وصلوا إلى أبها وأميرها آنذاك لا يزال تحت تأثير نشوة انتصاره على الإدريسي.

١٦ ـ أقدم رسالة لدينا موجهة من الملك عبدالعزيز إلى زعيم جنوبي هي الرسالة التي وجهها عظمته إلى هيف بن ناصر الفويه شيخ بني واهب وكانت بتاريخ ١٠ صفر ١٣٣٨هـ يخبره فيها بأنه واصل إليهم طارفه من قبله «يعلمون الناس دينهم وأمر المشروع». انظر نص الرسالة في الملحق وأصل الرسالة محفوظ لدى حفدة الشيخ الفويه. ثم رسالة أخرى إلى الشيخ نفسه بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ. ردًا على رسالة تلقاها منه يستفسر فيها عن أمور الزكاة وقد أخبر الملك أنه خرج مهاجرًا يدعو إلى المعروف وينهي عن المنكر بيد أنه خالفه بعض قومه فأجابه الملك بأنه بعث إليه بالشيخ عبدالله بن راشد ومعه رفقاء آخرون يبينون لهم ما أشكل عليهم من أمور دينهم وينصح الملك الشيخ الفويه من الشقاق والمناحسات مع الآخرين.

ومما علمته بعد تقديم مسودة هذا البحث إلى مؤتمر الملك عبدالعزيز وطبعته ضمن بحوث المؤتمر بأن كانت هناك علاقات مبكرة بين الملك عبدالعزيز وسكان المنطقة الجنوبية وذلك من خلال مخطوطة أطلعني عليها الأستاذ معيض بن علي البخيتان تحمل عنوان «ثلاثة الأصول وأدلتها ويليها شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وتفسير الفاتحة والتحيات والقواعد الأربع». كُتب عليها بأنها كتبت في عام ١٣٣٣هـ.

وذكر بأنها من مخطوطات آل بخيتان من سكان تثليث حيث كان جده وعدد من جماعته من أوائل الذين هاجروا إلى الرياض لطلب العلم على مشايخها بعد عودة الملك عبدالعزيز من الكويت، وإن هذه المخطوطة هي المنهج الذي كانوا يدرسونه أثناء وجودهم في الرياض وبعد عودتهم. وقد أكد لي فيها بعد أحد أفراد أسرة آل بخيتان المدعو راشد بن علي بن بخيتان وهو

شيخ يناهز المائة من عمره وشارك في حروب الإخوان، فقد كان مع الطلائع السعودية في حرب نجران عام ١٣٣٨هـ وكذلك شارك في معركة حجلا سنة ١٣٣٨هـ مع الأمير عبدالعزيز بن مساعد كما شارك في حرب ضم بلاد غامد وحرب الرغامة وشارك في حرب قمع الثورة العسيرية على يد الأمير فيصل بن عبدالعزيز في عام ١٣٤١هـ. أكد لي هذا الشيخ بأن ابن بخيتان والذي رافقه وجماعته أهل تثليث عادوا إلى بلادهم بعد سنة من تلقي العلم في الرياض وأنهم قاموا بإنشاء أول هجرة للإخوان في تثليث وتسمى هجرة «المصبّح» وبعث معهم الملك عبدالعزيز بمرشد (مطوع) يدعى ابن رشيد من سكان وادي الدواسر. حديث مسجل مع الشيخ المذكور أعلاه بتاريخ ١٦/١٠/١٤١٠هـ في مدينة الرياض.

١٧ ـ الشريف الحسين بن علي إلى الصدر الأعظم بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٢٨هـ باب عالي أوراق أوطه سي (B.E.O) وثيقة رقم ٢٧٥٦٦٩ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزراء استانبول.

١٨ ـ كان الإدريسي يعتمد في دعوته على المبالغات والتهويلات الدينية التي تشبه الخرافات في كثير من الأحيان محاولة منه في استمالة قلوب العامة ولأن كانت وسائله هذه في الدعوة قد لاقت قبولاً في بعض بلاد تهامة فربما كان ذلك لوجود المناخ المشبع ببعض المظاهر الصوفية والتصديق بالغيبيات فإن الأمر كان يختلف تمامًا لدى أهل الجبال.

١٩ ـ انفرد عبدالله بن مسفر في كتابه السراج المنير، ص١٢٨ بالقول: إن حامل رسالة الإدريسي إلى السلطان عبدالعزيز هو الشيخ محمد بن دليم شيخ قبائل قحطان.

٢٠ ـ شاكر، ص٢٦٠.

٢١ ـ المصدر نفسه، ص٢٥٧.

٢٢ ـ قضى الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢ ـ ١٢٢٨هـ) طوال سنوات حكمه في محاربة الدولة السعودية الأولى وكان من ألدّ أعدائها وبقي كذلك إلى أن نفي مبعدًا عن الحجاز، نفاه محمد علي باشا الذي استنجد به الشريف ضد السعوديين ـ ومعه أولاده إلى جزيرة «سالونيك» وهي غير بعيدة عن جزيرة قبرص التي أبعد إليها الشريف الحسين بن علي فيها بعد. انظر تفاصيل حروب الشريف غالب بن مساعد مع الدولة السعودية الأولى في تاريخ زيني دحلان مؤرخ الهاشميين الرسمي المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص٢٢٧ وما بعدها وقد أعادت الدار المتحدة للنشر في بيروت طباعته بعنوان أمراء البلد الحرام دون ذكر لسنة الطبع.

٢٣ ـ ابن بشر عنوان المجد، طبع دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م جـ١، ص٩٣ـ٩٥. كررت قبائل نجران غزوها لنجد في سنة ١١٨٩هـ، انظر ابن بشر، جـ١، ص١٢٥.

٢٤ ـ في عام ١١٨٩هـ هاجمت قبائل يام بقيادة ظافر بن نصيب بلاد عسير بعد عودتها من نجد

فهزمتها عسير هزيمة ماحقة انظر محمود شاكر عسير ص١٥١ نقلاً عن جعفر الحفظي، وقد انفرد شاكر بالنقل عنه ولم يشر إلى مكان حفظ تاريخ جعفر الحفظي.

٢٥ - فتح الحجاز عام ١٢٢٠هـ بقيادة عبدالوهاب أبو نقطة أمير عسير انظر ابن بشر، جـ١، ص٢٨٥ - ٦.

٢٦ - للوقوف على سيرة هذا القائد العظيم انظر حسن حسن سليمان الذي ألف كتابًا في سيرة هذا الأمير أسماه (الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره)، تاريخ ومكان الطبع غير مثبت.

٢٧ - كانت بيشة أول المناطق الجنوبية انضمامًا لنفوذ الملك عبدالعزيز وذلك في عام ١٣٣٦هـ.

٢٨ - أصبحت القاعة الآن ميدانًا كبيرًا للرماية تابعًا للقوات المسلحة.

٢٩ - اعتمدت في هذه النسبة على دراسة أعدتها المديرية العامة للشئون البلدية والقروية بالمنطقة الجنوبية بتاريخ شهر شعبان ١٣٩٩هـ.

٣٠ - قدر الدكتور محمد بشير حقي مدير الشئون الصحية بمنطقة عسير (سابقًا) في معجمه الجغرافي عن منطقة عسير مطبوع على الآلة الكاتبة بأن عدد قرى المنطقة أي ما يتبع منطقة أبها إداريًا هي ٥٠٠٩ قرية منها ٢٩٤١ في السراة و٢٠٦٨ في تهامة.

٣١ - المصدر نفسه.

٣٢ - يقول ابن جبير في رحلته المشهورة ما نصه ومن لطيف صنع الله - عز وجل - لهم فيه اعتناء كريم منه - سبحانه - بحرمه الأمين إن قبائل من اليمن تعرف «السرو» وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة كأنها مصافة لسراه الرجال على ما أخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن أبي الصيف فاشتق النـاس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها ويجلبـون السمن من العـدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر فيرغدون معايش أهل البلد والمجاورين فيه يتقوتون ويدخرون وترخص الأسعار وتعم المرافق فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش. رحلة ابن جبير تحقيق وليام رايل، طبع بريل بليدين، ١٨٥٢م، ص١٣٢.

أما ابن المجاور في كتابه صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر تحقيق أوسكر لوفغرين «طبع ليديد ١٩٥١م، ص٢٧ فيقول عند حديثه عن السرو: «فإذا دخلوا مكة (أي أهل السرو) ملأوها خبزًا من الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك. ولذلك يقول أهل مكة حاج الغراق أبونا نكسب منه الذهب والسرو أمنا نكسب منهم القوت».

٣٣ - David Howarth, the Desert-King A Life of Ibn Saud, London, 1964, p.102.

٣٤ ـ انظر كذلك .Ameen Rihani, Maker of Modern Arabia, 1928, p.222

٣٥ ـ عبدالله بن فيصل السعود إلى محمد وجيهي باشا بتاريخ ١٢٨٣هـ بدون تاريخ اليوم أو الشهر وثيقة إرادة داخلية رقم ١٣٨١هـ لفه ٤ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزراء استانبول.

٣٥ ـ تشير المصادر إلى أن الأخوان امتهنوا الزراعة بعد استقرارهم في الهجر ولكن لم تمدنا بتفاصيل عن نوع الزرعة ومقدار المحاصيل وهل كانت فعلاً تكفي احتياجات سكان هذه المستوطنات الجديدة.

٣٦ ـ أمر جلالة الملك عبدالعزيز لكل من ابن مشيط وابن دليم بمائة فرق كل فصل زراعي ومائة طرف من الأغنام كل سنة ومائة ريال كل شهر، صورة خطاب الملك عبدالعزيز إلى عبدالله بن إبراهيم العسكر بتاريخ

٣٧ـ الحكم الأول وهو حكم في المواريث ووثيقة الحكم لا تحمل تاريخ وأصل وثيقة هذا الحكم لدى عبدالله بن علي بن لجهر قرية آل لجهر بلاد رفيدة أما الثاني فهو اتفاق لحل خلاف في مسألة مياه بين جماعة آل لجهر وشركائهم وتم الاتفاق بين الأطراف المعينة بناء على حكم سابق للقضية نفسها قام به الشيخ محمد أبو ملحة والاتفاق الأخير بتاريخ ١٥ شعبان ١٣٦١هـ.

٣٨ ـ جريدة أم القرى، عدد ٥٦٠ في ١٣/١١/١٣٧٤هـ.

٣٩ ـ رسالة من فيصل بن عبدالعزيز إلى سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط في ١٣ المحرم ١٣٤١هـ.

٤٠ ـ رسالة من فيصل بن عبدالعزيز إلى هيف بن ناصر وكبار بني واهب بتاريخ المحرم ١٣٤١هـ.

٤١ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتارخ ١٥ صفر ١٣٤١هـ.

٤٢ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٤١هـ.

٤٣ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة بتاريخ ١٠ شوال ١٣٤١هـ.

٤٤ ـ الرسالة نفسها.

٤٥ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة بتاريخ ٦ ذي القعدة ١٣٤١هـ.

٤٦ ـ رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة بدون تاريخ ولكن يبدو أنها تعود إلى أوائل عام ١٣٤٢هـ فترة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم.

٤٧ ـ بيان المديرية العامة للصحافة والنشر بمناسبة وفاته.

٤٨ ـ عبدالله بن مسفر السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٣٨، أخطأ ابن مسفر في قوله إن عبدالوهاب حرر القنفذة في عام ١٣٤٤هـ والصحيح أنه استولى عليها في أوائل عام ١٣٤٣هـ. انظر رسالة الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ.

٤٩ - العقيلي، جـ٢، ص٣٢٦، الطبعة الأولى، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة.

٥٠ - جريدة أم القرى، عدد رقم ٥٦٠ في ١٣/١١/١٣٧٤هـ.

٥١ - Sir Kinahan Cornwallis Asir before World War I. p.88.

٥٢ - Ibid.

٥٣ - Ibid, p.67.

٥٤ - أديب وله بعض الأعمال التاريخية مثل جدول بأمراء وحكام عسير وبيان إحصائي بأهم المعارك التي وقعت في الإقليم وعدد الجيوش المشتركة فيها وأعداد الضحايا وقد تفضل ابن أخيه سعيد الغماز وأمدني بصورة من هاذين البيانين.

٥٥ - مؤلف تاريخ أمراء عسير أو السراج المنير في سيرة أمراء عسير، توفي في ٢٩ رمضان ١٤٠٥هـ.

٥٦ - من بادية الشام ومن قبيلة عنزة قدمت أسرته إلى عسير في منتصف القرن التاسع عشر ويذكر فيلبي نقلاً عن أحمد أبو هليل نفسه أن قدوم أسرة أبو هليل إلى أبها كان في عهد الإمام فيصل بن تركي، فيلبي، النجود العربية، ص١٤٣.

٥٧ - وحدة الكيل في عسير السراه هو «المد» ونصف «المد» والربعه وهي ربع «المد» والثمنة وهي ثمن المد و«الصفحه» وهي أقل وحدة في وحدة الكيل والصفحة نصف «الحفن». وفي العهد العثماني كان بائع القهوة يدفع قرشين ضريبة في كل يوم سوق Sir Cornwalli. Asir, p.24

٥٨ - إسماعيل البشري، ص٢٠٧.

٥٩ - في أواخر العهد العثماني كانت الضريبة على الحيوانات قرش عثماني على كل جمل أو حمار أو ثور وكان حسين بن علي بن مشيط في عام ١٢٩٠هـ وما قبلها يستوفي ضريبة ١٠ قروش على كل جمل وخمسة قروش على كل حمار يباع في خميس مشيط، وثيقة رقم ٤٧٠٩٧ إرادة داخلية في ١٤ المحرم ١٢٩٠هـ محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء استانبول.

٦٠ - يذكر فيلبي في النجود العربية، ص٦٧٥ أن التعرفة الجمركية في ميناء القحمة ارتفعت ارتفاعًا كبيراً حينما طبقت الحكومة التعرفة الجمركية التي تستوفي في جدة إذ بلغت على المواد الغذائية ٢٠٠٪ و٢٦٠٪ فيذكر أن كيس السكر الذي قيمته ٨ ريالات تؤخذ عليه ٢١ ريالاً ضريبة جمركية وكيس الرز الذي قيمته ٨ ريالات يؤخذ عليه ١٥ ريالاً ضريبة جمركية. أما ضريبة الحجاج الأجانب القادمين بالبحر أو عن طريق المداخل البرية فيؤخذ عليه جنيه واحد رسوم.

٦١ - المخواه: سوق تجاري لقبائل غامد وزهران في العرصينه. بشأن أمر منع استحصال الضريبة على نقل البضائع داخل البلاد السعودية انظر رسالة

٦٢ - رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٤٧هـ.

٦٣ - الرسالة نفسها.

٦٤ ـ الرسالة نفسها.

٦٥ ـ ملحق رسالة من سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٤٨هـ.

٦٦ ـ رسالة من جلالة الملك إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٣٤٧هـ.

٦٧ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة ملحق رسالة بدون تاريخ.

٦٨ ـ خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ٢، ص٨٢٧، دار العلم، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦٩ ـ صورة من رسالة الملك عبدالعزيز إلى عبدالعزيز بن عبدالله العسكر بتاريخ ١٣٤٩/٦/١٦هـ.

٧٠ ـ الرسالة نفسها.

٧١ ـ من تركي محمد الماضي أمير نجران إلى الشيخ جابر أبو ساق بتاريخ ١٣٥٩/٨/١٦هـ أصل الرسالة محفوظ لدى الشيخ شرفي أبو ساق في نجران.

٧٢ ـ Philby, Arabian Higlands, N. York, 1979, p. 580.

٧٣ـ وهي لفظة عربية فصيحة، انظر المنجد، ط٢٦، ص٤٨.

٧٤ ـ قد يزيد عدد أفراد العاملة في بعض الأحيان.

٧٥ ـ انظر تعليمات «عوامل خرص حبوب شتاء عام ١٣٥٩هـ» في الملحق.

٧٦ ـ من أمير عسير وملحقاتها ورئيس مالية أبها وتوابعها إلى نواب قبائل بني شهر الحجاز بتاريخ ١٣٥٩/٨/٣هـ الأصل محفوظ لدى الكاتب.

٧٧ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة أو وكيله في أبها بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٥١هـ.

٧٨ ـ بالإضافة إلى الزكاة والعشيرة يخرج المزارع صدقة للفقراء مرة عند الحصاد وتسمى «الرمعة» ومرة أخرى عند التصفية بعد الدياسة وتسمى «الخوافة».

٧٩ ـ رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ١٣٤٩/٦/٢٥هـ.

٨٠ ـ للأسف لم أتمكن من الاطلاع على أي من هذه الحسابات الختامية لعدم معرفة مكان وجودها ومن المؤكد أن الاطلاع عليها سيعطينا فكرة عامة مهمة عن دخل المنطقة وخرجها ومدخراتها.

٨١ ـ ملحق رسالة يحمل رقم ٧٨٠ وبدون تاريخ.

٨٢ ـ ملحق رسالة من جلالة الملك إلى عبدالوهاب أبو ملحة بدون تاريخ تحمل عدد ٨٩٣ ومن المعروف أن القنفذة تابعة لإمارة مكة في الوقت الحاضر وقد أصبحت ميناء عسير الأول منذ احتلال العثمانيين لإقليم عسير في عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وكانت قبل ذلك منطقة خلاف مستمر بين إمارة عسير وشرافة مكة العثمانية.

٨٣- مدير مالية القنفذة.

٨٤ - ملحق رسالة بدون تاريخ.

٨٥ - انظر جدول (   ) موضحًا تفاصيل هذه الحوالات. وانظر في الملحق نماذج من أوامر الحوالات مختومة بختم جلالة الملك.

٨٦ - رسائل الملك في هذا الخصوص رسالة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٤٥هـ في هذه الرسالة يحث عبدالوهاب على إرسال الأرزاق إلى الحجاز ويلزم على وصولها قبل نهاية شوال من العام نفسه ورسالة بتاريخ ١٣٤٩/٥/٩هـ رسالة أخرى بتاريخ ١٣٤٩/٦/٢٦هـ وأيضًا بتاريخ ١٥ ربيع الاخر ١٣٥٠هـ وبعث رفق ما بعثه من أرزاق جداول حسابات مالية أبها.

٨٧ - انظر تعليمات جلالة الملك إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد والشيخ عبدالله بن راشد حول هذا الموضوع في كتاب الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، تأليف حسن حسن سليمان، ص٨٦، لم يذكر مكان وتاريخ الطبع.

٨٨ - رسالة من عبدالعزيز بن إبراهيم إلى هيف بن ناصر الفويه بتاريخ ١٢ صفر ١٣٤٢هـ.

٨٩ - ملحق رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بدون تاريخ.

٩٠ - رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ١٣٥٠/٦/٧هـ.

٩١ - ملحق رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة بدون تاريخ.

٩٢ - رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى كافة الخدام في أبها بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣٤٣هـ.

٩٣- رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة ملحق بدون تاريخ

(*) من وكيل أمير عسير وملحقاتها إلى الشيخ علي بن حسن بتاريخ ١٣٥٨/٤/١٦هـ إبلاغه بموافقة مقام النيابة العامة في الحجاز على تعيينه في هذه الوظيفة. ومن الجدير بالذكر أن المقام السامي وافق على إنشاء بلدية أبها في ١٣٥٧/٨/٤هـ.

٩٤ - من الملك عبدالعزيز إلى سليمان بن جبرين أمير بيشة بتاريخ ٢٢ ربيع الأخر سنة ١٣٥٣هـ. وثيقة محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز رقم ٣٨١.

٩٥ - الوثيقة نفسها.

٩٦ - موازنة إمارة نجران المبلغة من قبل وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها بتاريخ ١٣٥٧/١/٢٣هـ وثيقة محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز برقم ٨٤٢ للمزيد من التفاصيل انظر أصل هذه الميزانية فيها يتعلق بالضيافة وعلوفة الخيل وغير ذلك. ومن المعلوم أن أول محاولة لوضع ميزانية ثابتة للدولة كانت عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م. ولكنها لم تقرر ضمن فصول وبنود وأبواب ثابتة إلا في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م وقد بلغت نفقات أول ميزانية ١٤ مليون ريال وهي مساوية لمقدار الواردات انظر الزركلي، جـ١، ط٢، ص٧٥٩.

٩٧ - برقية من جلالة الملك عبدالعزيز إلى عبدالوهاب أبو ملحة بتاريخ ١٠ صفر ١٣٥٢هـ.

٩٨ - المصدر نفسه.

٩٩ - مثل مكتبة معهد الإدارة العامة بالرياض ودارة الملك عبدالعزيز.

١٠٠ - رسالة من محمد بن عبدالرحمن ابن القاضي إلى عبدالله بن علي في ١٣٥٤/١/١هـ أصل الرسالة موجود لدى كاتب هذا البحث.

١٠١ - رسالة من عبدالعزيز فيضي إلى عبدالله أفندي بتاريخ ١٣٦٣/٧/١٤هـ.

١٠٢ - سند استلام راتب جندي من قبل والده من محاسبة قيادة منطقة أبها بتاريخ ١٣٦١/١/٢٢هـ. وكذلك سند استلام زوجة جندي متوفي راتب زوجها بتاريخ ١٣٦٠/٩/٢١هـ.

١٠٣ - انظر نص النظام المكون من ست مواد ويشمل نظام سفر الموظفين وضباط الجيش في الداخل والخارج والسفر برًا أو بحرًا.

١٠٤ - بيان بعدد القوة ومرتباتهم لشهر جمادى الآخر سنة ١٣٦٠هـ.

١٠٥ - وتسمى حرب الريث «أحيانًا» فالقهر جبل منيع والريث القبيلة التي تسكن في قممه وفي سفوحه وقد تمردت هذه القبيلة في عام ١٣٥٤هـ، ثم في عام ١٣٦١هـ ثم في عام ١٣٧٥هـ: انظر بعض من أخبار تمرد هذه القبيلة في كتاب تاريخ عسير للنعمي وكذلك العقيلي.

(*) كشف بأسماء ومقدار راتب الطاقم.

١٠٦ - الرسالة نفسها.

١٠٧ - إسماعيل محمد البشري. إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٤٠٣/١٩٨٣م، ملحق الرسالة، ص٣٢٧.

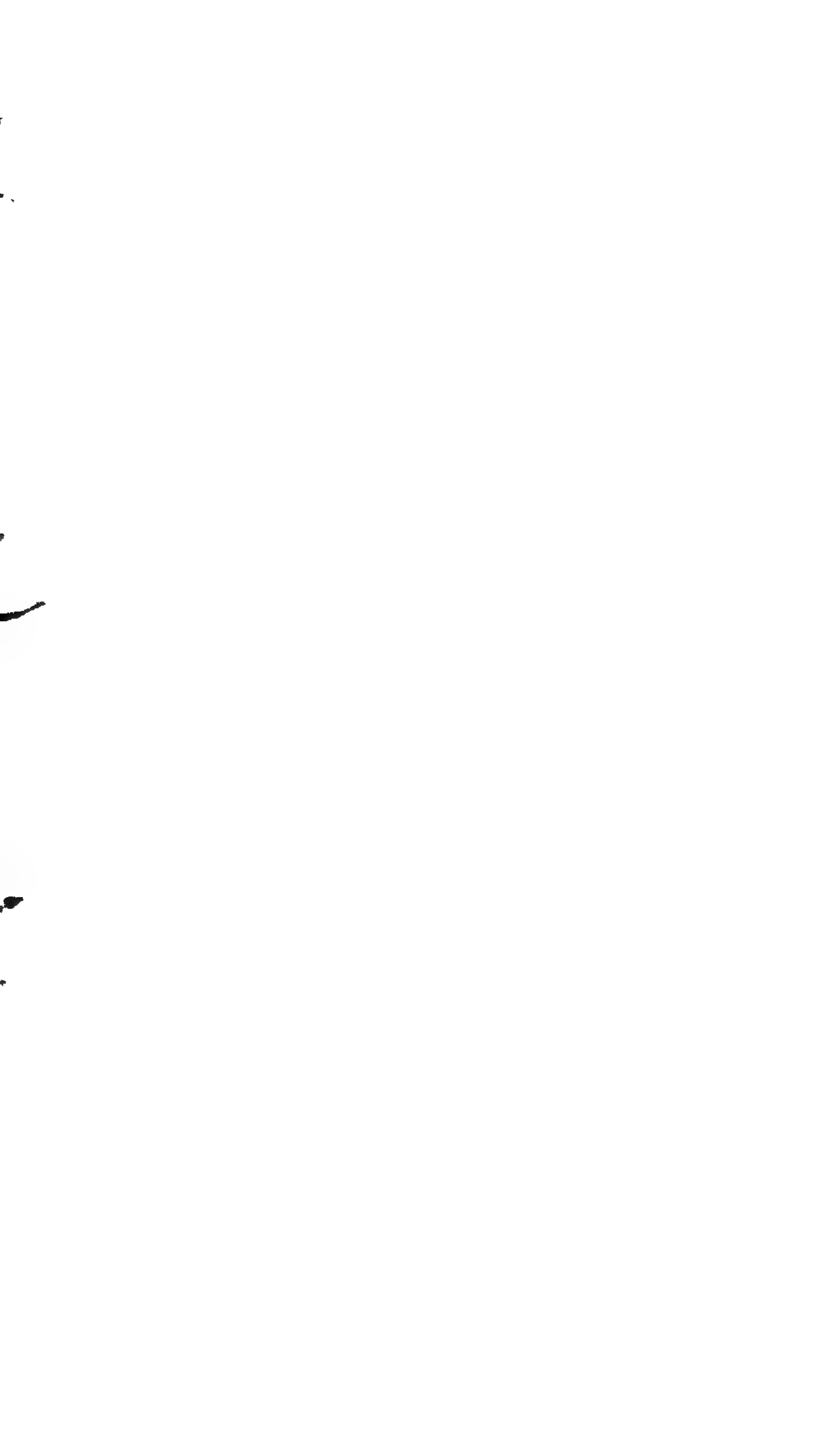
(*) ملاحظة ١١ قرشًا = ١ ريال عربي سعودي الذي بدأ التعامل به في هذه الأثناء ويذكر فيلبي في كتابه النجود العربية، ص٢٩١، أنه أصبح التعامل بهذا الريال

١٠٨ - اعتمدت في هذه الإحصائيات على الكشوف التي قدمها مشائخ القبائل بعدد محاربيهم وعدد أسلحتهم وأنواعها. وكذلك الأوامر الصادرة من أمير المنطقة على قائد المنطقة بصرف الفشك أو الرصاص المقرر لكل منهم. انظر في الملحق نموذج من الكشوف والأوامر.

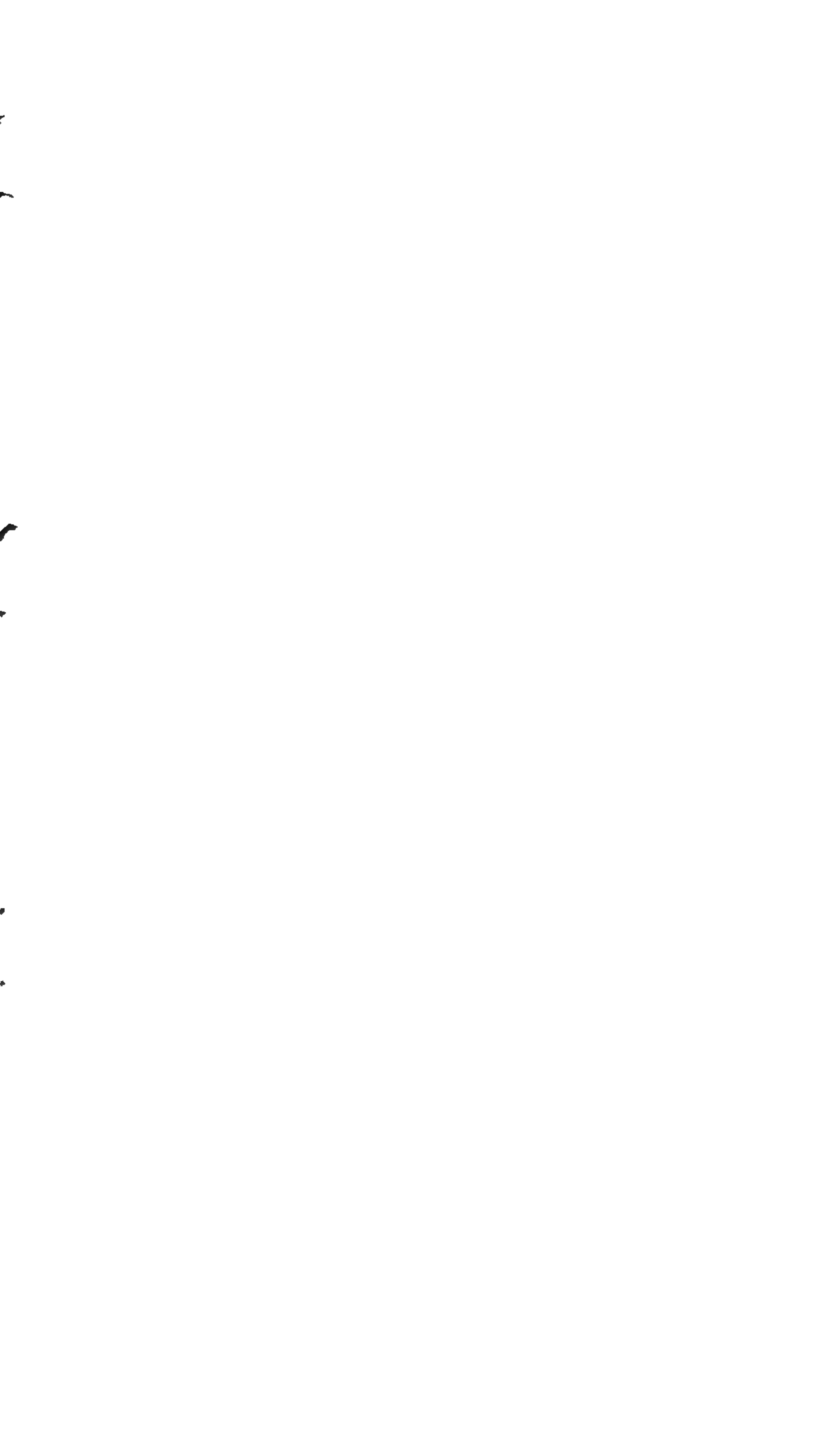
١٠٩ - بيان بأسماء رجال الأمير المشاركين في الحملة: من أمير منطقة عسير وملحقاته إلى قائد المنطقة بتاريخ ١٣٦١/٥/٥هـ.

١١٠ - ورد أمر باعتماد صرف أربع بنادق لمرافقي قاضي أبها دون ذكر للاسم إلا أن الشيخ هاشم النعمي في كتابه تاريخ عسير، ص٢٦٢، ذكر أنه الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل.

١١١ - صورة من مسودة هذا النظام لدى الباحث.



مخطوطات آل الحفظي
بين الضياع والحفظ



مخطوطات آل الحفظي بين الضياع والحفظ

أصبح الحديث عن تراث منطقة عسير مرتبطًا باسم عائلة آل الحفظي لما لهذه الأسرة من باع طويل في إغناء التراث الفكري لهذا الإقليم وخاصة في القرون الأربعة الماضية الممتدة ما بين فترة قدوم جدهم الأعلى ابن عجيل في السنة الواحدة بعد الألف من الهجرة قادمًا من بيت الفقيه في تهامة اليمن، والتي كانت تحمل اسمه «بيت الفقيه ابن عجيل».

نبذة عن تاريخ الأسرة:

يذكر عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الحفظي في مخطوطة قصيرة ألفها في نسب أسرته[1] قال فيها: «ينتهي نسب الأسرة إلى الجد موسى ابن جعشم لأنه أصل وجود [ها] بهذه الجهة [أي رُجال ألمع]. أخرجه الترك من أرض اليمن عام الألف، فكان أول داع إلى الإسلام في بلاد عسير واستوطن رُجال وبنى بها المسجد المشهور سنة واحدة بعد الألف، ولم يكن في تلك الجهات مسجد قبله»[2]. ويقول: اقتصرت هنا على انتهاء النسب إليه وإلا فهو ينتسب إلى الإمام الكبير حافظ السنن وقدوة اليمن وبركة الزمن أبي العباس أحمد بن موسى بن عجيل*[3].

(*) نشرت في مجلة عالم الكتب، المجلد السابع، العدد الثالث، محرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر ١٩٨٦م.

وينقسم رجال الأسرة العجيلية الذين عرفوا في منطقة رجال ألمع بالفقهاء إلى ثلاثة فروع هي: آل بكري، وآل عبدالقادر، وآل مطير. وكلهم يجتمعون في الجد الأول موسى بن جعثم بن عجيل[4]. فآل بكري والذين أصبحوا يعرفون بآل الحفظي وهو الفرع الذي يعنينا في هذه العُجالة هم أولاد أحمد الحفظي بن عبدالقادر بن الشيخ بكري، ويسمى أحمد الحفظي الأول، وهو أول من تلقّب بالحفظي لقوته الخارقة على حفظ العلوم[5].

فطغى اللقب الجديد على الاسم القديم، فأصبح الجميع يحملون لقب الحفظي حتى أولئك الذين ينتمون إلى الفرعين الآخرين.

مشاهير أسرة آل الحفظي وإنتاجهم الفكري:

برز كثير من أسرة آل الحفظي في ميدان العلوم الشرعية والفقهية والأدبية وقد لا نستطيع في وقت قصير كهذا أن نأتي على ذكرهم جميعاً، بالإضافة إلى شح المعلومات المتوفرة لدينا عنهم في الوقت الحاضر ونرجو أن نتمكن من ذلك مستقبلا.

ويأتي في مقدمة المشهورين من آل الحفظي «أحمد الحفظي الأول ابن عبدالقادر (١١٤٥ - ١٢٣٣هـ) وابنه محمد المشهور بإبن موسى[6]. من ١١٧٨ - ١٢٢٧هـ». وكان هذان العلمان البارزان مزامنين للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأول من عاضد دعوته الإصلاحية في بلاد عسير وما جاورها من البلاد اليمنية.

يقول العلاّمة الشيخ عبدالرحمن البهلكي: «كان الشيخ محمد بن أحمد ووالده الشيخ العلامة الكبير أحمد بن عبدالقادر ممن خالطت قلوبهم بشاشة الدعوة النجدية، وناصروا دعاتها بأشعار الحماسة والأقوال في الرسائل إلى أهل الرياسة»[7]. أما ابنه محمد فكانت له يد طولى في مناصرة الدعوة، وكان قد رافق جيوش الأمير عبدالوهاب بن

عامر أبو نقطة أثناء غزوها للمخلاف السليماني لضرب أعداء الدعوة السلفية هناك مع أنه كانت تربطه علاقات أخوية مع علماء المخلاف حيث يقول عبدالرحمن البهلكي: «ومما بلغ عن الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالقادر أنه قال: «أعظم حامل لي على مصاحبة الأمير عبدالوهاب إلى اليمن إنما هو محبة السعي في سلامة أهل العلم من أهل اليمن لئلا يتبادر فيهم سوء من الأمير تقليدًا لما بين يديه من رسائل النجديين، وتعميم الشرك على كل مَنْ لم يدخل معهم في الدعوة. وكان الأمر كما قال، فإن سلامة أهل العلم واستقامة أحوالهم إنما كان السبب الأعظم فيها بعد الله ـ سبحانه ـ للشيخ محمد[٨]». إلا أن الشيخ محمد الحفظي يذكر عن مرافقته للأمير عبدالوهاب في غزوه للمخلاف وذلك في التكملة من تاريخه المسمى «نفح العود والظل الممدود».. ما نصه «ولما أناخ [أي الأمير عبدالوهاب أبو نقطة] ركايب المسلمين في عقر المشركين دعاهم إلى الدخول في دين رب العالمين. ويدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يعصموا دماءهم وأموالهم بكلمة الإسلام، ونحن نشترط على نفوسنا ألا نغدر ولا [ ].. ويزعمون أنهم على الهدى بلا دليل ولا برهان ويعتقدون لجهلهم استحلال دمائنا وأموالنا، وأنا نحن الخوارج ـ والعياذ بالله الحنان المنان ـ بئس ما زعموا وما خيل لهم الشيطان من المعتقدات الفاسدة والأهواء المضللة»[٩].

ولا يسعفني الوقت والمناسبة في الاستطراد بسرد تواريخ مشاهير آل الحفظي في مناسبة أردت فيها التعريف بطرف من أخبار ما وصل إلينا ذكره مما كانت تضمه مكتباتهم الخاصة من نوادر المخطوطات والوثائق التاريخية، حيث كانوا بمثابة الوزراء وكتاب الدواوين لأمراء عسير والدعاة والمرشدين، على مدى ما يقرب من القرن ونصف القرن.

فمما لا شك فيه أن مكتباتهم تضم أندر وثائق تاريخ عسير السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث كان منهم ـ كما أسلفت ـ الوزراء والكتاب والقضاة والمعلمون ومن

الأمور المتعارف عليها في منطقة عسير أن وثائق أهل البلدة تحفظ جميعها لدى فقيه البلدة أو إمامها، ولكن من المؤكد أنه في مكتبات آل الحفظي كانت تحفظ وثائق ومراسلات أمراء عسير لما لهم من مكانة مرموقة، وأنها كانت تعد بمثابة الأرشيف الوطني في الوقت الحاضر مما لو أُفرج عنها لأعدنا النظر في كثير من فصول تاريخ عسير، ولربما تاريخ المنطقة بأسرها.

ولو لم يبادر المرحوم محمد الهلالي بن إبراهيم الحفظي بجمع منتقى من قصائد أسلافه آل الحفظي، وقد وافاه القدر قبل أن يرى عمله النور، فقام بتنسيقه وإخراجه وطبعه بعد وفاته شقيقه عبدالرحمن تحت عنوان «نفحات شعر من عسير». وذلك في عام **١٣٩٣هـ**، ثم اتبعه بعد عشر سنوات بمختارات أخرى من شعر آل الحفظي قام نادي أبها الأدبي بنشرها تحت عنوان «شعاع الراحلين».

لولا هذان العملان لما كنا عرفنا عن آل الحفظي، اللهم إلا أنهم كانوا أسرة علم في وقت من الأوقات، ولا نعرف عن إنتاجهم شيئًا. وذكر لي أحد أقرباء جامع الديوان الأول بأنه ـ يرحمه الله ـ أهمل إهمالاً تامًا كل شعر أو أدب أو مؤلف لأي من أدباء عسير خلاف آل الحفظي مع أنهم كانوا كُثر؛ وقد وعد بأنه سيعمل على جمع شعر أدباء عسير من غير آل الحفظي والذي لا يوجد في أي مكان آخر غير مكتباتهم الخاصة، واطلعني على قصيدة تعد من عيون الشعر ـ إذا ما قيست بشعر تلك الفترة ـ لأحد أقرباء الأمير عايض بن مرعي، لم يأت أحد من راصدي الحياة الفكرية في المنطقة على ذكرها.

مما ورد فيها قوله يرد على شاعر من المخلاف السليماني يدعى ابن حريب هجا الأمير عايض:

ما ضر نبح الكلب يومًا للسما	أو قرن عنز للجبال مقلل
ملك سما للمجد طفلاً فارتقى	فوق الثُّرَيَّا والسّماك الأعزل

مكتبة إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي[*]

لعل من أشهر وأقدم المكتبات الخاصة في منطقة عسير هي مكتبة آل الحفظي، حيث تدل البيانات أو القوائم التي بين أيدينا على ضخامة العدد الكبير من الكتب المخطوطة التي كانت تضمها، وهي (أي هذه القوائم) لا تمثل إلا ما آل إلى شخص واحد منهم فقط. وفي فترة مبكرة من القرن الثالث عشر الهجري، (التاسع عشر الميلادي)، وهو الشيخ إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي وهو حسب ما توفر لهذا الكاتب أول من قام بعمل بيان بحصته من الكتب التي ورثها عن والده. وفيما يبدو أن الشيخ إبراهيم وولده عبدالخالق ثم حفيده أحمد والذي يلقب بأحمد الحفظي الثاني وهذا الأخير يعد واحدًا من أشهر علماء آل الحفظي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وأوائل القرن الرابع عشر. كانوا أكثر أفراد الأسرة الحفظية اعتناء بالكتب بل وبإثراء المكتبة الحفظية بتأليفاتهم، أعود فأكرر القول: إن الهدف من هذه المقدمة السريعة لم يكن لتتبع تاريخ أسرة آل الحفظي وتراثهم الفكري وإن كنت أعتقد صادقًا بأنها حَرية بدراسة مستقلة ـ وإنما الهدف هو الإشارة فقط إلى ما كانت تضمه مكتبة هذا الفرع من أسرة آل الحفظي من الكتب المخطوطة وخلال فترة محددة كما هو واضح في القوائم التي سيطلع عليها القارىء**. هذا بالإضافة إلى إثارة سؤال طالما أشغل بال الباحثين والدارسين والمهتمين بتاريخ منطقة عسير وهو أين يوجد تراث آل الحفظي؟ وما الذي حل به؟ ومَنْ المسئول عن ضياعه إن كانت حقيقة ما تردده بعض الألسن من أنه قد ضاع؛ والأكثر احتمالاً أنه لا يزال مخزونًا في أقبية رطبة أو غرف مهجورة لا يأخذ نصيبه وافرًا منه إلا الأرضة والجرذان والفئران والرطوبة والتآكل، لا أعرف لمن نوجه النداء لإنقاذه وإخراجه للباحثين والدارسين!.

كنت ولم أكن الوحيد من الباحثين المبكرين في تاريخ منطقة عسير الذين اتصلوا ببعض من أفراد أسرة آل الحفظي ـ والتي أصبحت الآن تشكل عشيرة ـ وبالأخص بأولئك الذين يفترض أنهم أكثر وعيًا لأهمية هذا التراث الضخم، ولكن لم تثمر الجهود

المضنية والرحلات المتتالية بين السراة وتهامة وبالتحديد مدينة رُجال ألمع موطن أسرة آل الحفظي وقرية «عثالف» على ضفة وادي حلي بالقرب من الشعبين والتي اتخذ منها إبراهيم الزمزمي ـ صاحب المكتبة ـ وابنه عبدالخالق ومن جاء بعدهما من ذريتهما موطنًا .

وكان إبراهيم أول من أسس بهذا المكان مدرسة لطلبة العلم سُميت بالمدرسة الحفظية، وربما الحفظية الثانية أما الأولى فتقع في بلدة رُجال ـ وقد زرتها وما زالت قائمة لا تخلو من تهدم في بعض أجزائها، وكانت تضم مدرسة تمهيدية ـ وهي ما تشبه الابتدائية في الوقت الحاضر ـ في الطابق الأرضي، ومدرسة متوسطة في الدور الثاني، وإلى جوارها بين المدرسة والقصر الذي لا يزال قائمًا مدرسة متقدمة يتخرج منها القضاة والفقهاء والوعاظ(١١)، الذين كان يشرف عليهم أكبر علماء آل الحفظي وأكثرهم تفقهًا في العلوم الشرعية(١٢).

ويقع المسجد في برحة إلى الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة وتفصل بينهما آثار بركة كبيرة أصبحت الآن خربة مطمورة، أخبرني أحد شيوخ آل الحفظي أثناء أول زيارة قمت بها إلى «عثالف» أن بعض الروايات تشير إلى أن معظم الكتب ولظروف معينة ـ لم يحب الإفصاح عنها ـ قد طُمرت في هذه البركة ورُدِم عليها بالتراب. والحديث عن المدرسة الحفظية ذو شجون. فقد كان أمراء عسير يبعثون بطلاب العلم من كل أنحاء الإقليم إلى هذه المدرسة ربما لسهولة اتصال الطلاب الوافدين من السُّراة إليها لأن المدرسة في رُجال. كانت تفصل بينهم وبينها عقبات صعبة(١٣).

وكان يُنفق على الطلاب الوافدين من بيت المال ويعد من أكثر أمراء عسير اهتماما بالتعليم ورعاية للعلماء الأمير عايض بن مرعي ـ يرحمه الله ـ، ففي عهده ـ الذي يعد غرة في تاريخ عسير ـ شهدت المنطقة استقرارًا سياسيًّا ورخاء اقتصاديًّا لم تشهدهما من قبل، صاحبها اهتمام الأمير بالحياة الفكرية وتشجيع العلم والعلماء حتى أصبحت

عسير في عهده مركزًا للعلم ومزارًا للعلماء والمتعلمين، فلقد وفد على عاصمة بلاده علماء أجلاء من وادي الدواسر ونجران والعارض واليمن وغيرها من الأقطار[١٤] وشجع الأمير عايض على نشر العلم وتعميمه على كل حواضر وقرى الإقليم وجعله إجباريًا في كل قرية ولعله أول مَنْ جعل التعليم شبه إجباري في جزيرة العرب. حيث يقول في منشور بعث به إلى ابنه محمد وهو أمير على غامد وزهران يأمره بنشره على المواطنين كافة جاء فيه ما نصه «قد أمرنا الإمام (أي عايض بن مرعي) ـ حفظه الله ـ أن نأمر عليكم بالمعاليم*** في كل قرية فنلزم عليكم بلزم الله، ثم لزم الإمام أن تجعلوا في كل مسجد معلامة كل قرية بقدرها في الكثر والقل، ومع تمام هذا الشهر ـ إن شاء الله ـ تعالى قدنا جاعلين من يطوف على المسجد فَمَنْ نجده سمع وأطاع واستمثل فلا بأس، ومَنْ وجدناه تسافه بالأمر نكلناه النكال الذي يتعبه فكلا الله حذره على نفسه»[١٥].

وكان الأمير عايض يشتري الكتب ويُوقفها في المكتبة الحفظية وغيرها من المدارس ويبدو أن المكتبة الحفظية كانت ملحقة بالمدرسة أو قريبة منها، حيث كان للمدرسة رئيس وأمين للمكتبة في الوقت نفسه، وقد شغل هذا المنصب في وقت من الأوقات محمد بن زين العابدين الحفظي حيث قال عنه ابن عمه أحمد بن عبدالخالق أثناء حديثه عمن تتلمذ على أيديهم: فَعَدَّ من ضمنهم محمد هذا حيث قال: «قرأت عليه المنهاج.. وكان فرض زمانه، ومحقق أوانه، كان ريس المدرسة الحفظية وجامع دفاترها المرضية مما وقفه الأباء والأجداد التي تفوق من أن يحصرها العاد»[١٦].

كان لآل الحفظي شغف زائد بالكتب، فتراهم يبذلون الجهد في الحصول عليها ويتغنّون بها في أشعارهم ويحنون إليها وهم في أسفارهم أو في منفاهم[١٧].

وكما سبق الإشارة إليه بأن الأسرة الحفظية أصبحت كبيرة العدد وتوزع أفرادها في أنحاء كثيرة من البلاد وقد حمل كل منهم جزءا من هذا التراث مما جعله عرضة للتلف والضياع.

وآخر من اعتنى بالعلم وتولى القضاء من الأسرة الحفظية وذلك في عهد الملك عبدالعزيز هو الشيخ إبراهيم بن علي زين العابدين (١٣٠٥ ـ ١٣٧٢هـ)، الذي وافاه القدر وهو قاض في منطقة «جلة الموت»[١٨]. في تهامة قحطان، وأخبرني مدير المالية في أبها الشيخ سعيد أبو ملحة بأنه بعد وفاة الشيخ إبراهيم نُقلت مخطوطاته التي كانت معه إلى مالية أبها، وكانت حمل جمل، ويذكر أنه لا يعرف عنها إذا كانت سُلِّمَتْ لورثته أم أُرسلت إلى الرياض[١٩]، أم حفظت في خزائن مالية أبها، المهم أنه لا يُعْرفُ مصيرها.

والشخصية المهمة الأخرى من هذه الأسرة الكريمة هو السيد الحسن بن علي الحفظي والذي لديه الكثير والكثير من المخطوطات، وقد باع جزءًا بسيطًا من هذه المخطوطات التي يملكها إلى مكتبة فرع جامعة الملك سعود في أبها، ومازال يملك الكثير منها.

وبعد هذه المقدمة، أقدم للقارىء الكريم المهتم بالتراث عدة قوائم ببعض من مخطوطات آل الحفظي، [كما وردت في نصوصها الأصلية بخطوط مالكيها] ـ رحمهم الله رحمة واسعة ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان كتب الفقير إلى الله إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي ـ غفر الله لهما ـ: إثار الحق على الخلق وما إليه من النسخ. ابن الأثير جزءان من القطع الكامل، وبدايع الفوائد، وحادي الأرواح، وألفية ابن مالك وشرحها للمرادي وشرحها لابن عقيل، ومغني اللبيب جزءان، وحاشية ابن الحاجب على الحاجبية وعمدة الأحكام، والكلم الطيب، والعمل الصالح، وإليه نسخ منها كتاب في الصلاة جليل القدر لابن تيمية، والكبائر للذهبي، والتخويف من النار لابن رجب، والدرر البهية للشوكاني، ونقولات

من شرحها، ونسخة من مصطلح الحديث مشروحة، ونسخة حواشي على شرح نخبة الفكر، وزوال القرح شرح منظومة ابن الفرح ونسخة عظيمة المقدار لأبي محمد عبدالله بن السيد البطليوي المغربي في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة، ونبذة في أخلاقه، ﷺ، للشعراني، وطرف من ديوان ابن المقرب، ونسخة لليافعي، ومنظومة التلخيص في علم المعاني والبيان، ونصيحة لبعض الفضلاء إلى بعض الملوك آخر ذلك المجلد، وكتاب الطريقة المحمدية، وإليه طيبة الطلبة، والسيف الباقر في يمين الصابر والشاكر، مختصر محمد بن الأمير نفع الله به. شرح العشر المسائل للحريثي، شرح نخبة الفكر لملأ علي قاري السندي ـ نفع الله به ـ و[ ] للسيد عقيل ـ نفع الله به ـ، ونسخة في الكفاءة لمحمد بن عطاء الله الهندي.

وإنباه الأذكياء بحياة الأنبياء للسيوطي في جلد ومعها نسخ وكتاب الإرشاد في الفقه، نصيحة عظيمة غالبها محشا من الإسعاد، وكتاب الحاوي الصغير، وبهجة ابن الوردي في مجلد، وإليها الإرشاد نسخة ثانية وقطعة من شرح المحلى على المنهاج، ومجلد من شرح معيار العقول في الأصول، ومنتهى الأمل شرح العضد والغيث الهامع، وشرح جمع الجوامع، والجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي، وإليها إجازة وكتاب المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر، وكتاب أكام المرجان في أحكام الجان، والشاطبية في جلد لحالها، وكتاب تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس وإليها العرف الندى في شرح قصيدة ابن الوردي ومجلد فيه أحاديث رواها أبو حنيفة عمن لقي من الصحابة، وإليها نسخة ذكر فيها أصنام العرب، وكتاب شرح الأجرومية لابن المكودي ومجلد فيه عدة نسخ ورسائل وفوائد منها الدرة الفاخرة وأول منحة الوهاب نظم تحرير تنقيح اللباب إلى زكاة النعم، ونسخة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن ديوان الأمير والفوائد المثمرة، وكتاب شرح السنوسية لبعض علماء التكرور، وكتاب إضاءة الدُّجنة وآخر ذلك الجلد القول الحسن في التحذير من الدخول في الفتن للشوكاني.

ومجلد فيه عدة نسخ منها إجازة الوالد للحقير، وفاز من قام الليالي، وعقد جواهر الآل، وكتاب منهج السلف وبيان أوهام الخلف لعبدالعزيز النعمان الضمدي، مختصر إيثار الحق، وشرح حزب النووي، والروض المطلول، وآخره حل العوقه عن أهل دوقه تأليف شيخنا الوالد أحمد الحفظي ـ غفر الله له ـ، ومجموع فيه منجة الطلاب الموضح لمعاني ملحة الأعراب لشيخنا أحمد بن عبدالله الضمدي ـ غفر الله له ـ، وكتاب إحياء الجمعة بيضاء الشمعة شرح لشيخنا الوالد أحمد الحفظي ـ يرحمه الله ـ، والدرة البهية في نظم مقدمة الأجرومية، وفوائد أخر ومسائل، وأجوبات وقصائد في ذلك المجلد، وكتاب بغية الأمل نظم الكافل للسيد محمد الأمير، ومجلد فيه كتاب التوحيد وتحرير التنقيح وقطعة من الأحكام، شرح الأحكام للقاضي زكريا، وشرح لامية الأفعال، وحاشية القليوبي على الأزهري في عدة نسخ وآخر ذلك عبق الجلاب، ومجلد فيه الزبد وشرح نظم ورقات إمام الحرمين، شرح منظومة ابن المقري في دماء الحج، ونسخة في مناظرة وأسئلة وجوابات عظيمة القدر، ومجلد فيه الزبد [ ] ما فيه لشيخنا الوالد الا السبتي فهو للحقير والزبد [ ] الهداية، ومجلد فيه المختصر خط الحقير، والملحة [ ] والرحبية والسنوسية وأما بأفضل فهو من كتب الوالد، والأسدية خط شيخنا محمد بن أحمد ـ يرحمه الله ـ [ ] مجلدان، والجزء الثاني من زاد المعاد وسنن ابن حاجة، وأعلام الموقعين مجلدان والدر المنثور أربعة مجلدات [ ] ومجلد في القطع الكامل أسود فيه بلوغ المرام والسين وشرح الدرر البهية وشرح المختصر لابن دقيق العيد وكتاب [خرم في المخطوط] اللهفان، وإليه نسخ وشرح الحاجبية كأنه للصفي الهندي، ومجلد في ربع جي فيه أدعية وحاشية [ ] على الأربعين وعدة نسخ.

جميع ما ذكره الوالد إبراهيم ـ يرحمه الله ـ أنه من كتب الجد أحمد الحفظي ـ غفر الله له ـ صار قسمة للوالد إبراهيم من كتب والده نفع الله بها.

يعلم ذلك.

كاتبه عبدالخالق بن إبراهيم الزمزمي
ابن أحمد الحفظي كافه الله آمين

الحمد لله

لحق للوالد إبراهيم الزمزمي ـ يرحمه الله ـ من كتب الوالد أحمد الحفظي ـ غفر الله له ـ المجموع الذي فيه كتاب التوحيد وسياسة الشرعية والروض والبهجة وشرح عقد جواهر اللئال.

بيان بكتب إبراهيم الزمزمي الحفظي بعد وفاته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعـد. فهذا بيان الكتب التي بأيدينا للوالد إبراهيم الزمزمي ـ غفر الله له ـ وللحقير عبدالخالق لطف الله به ـ ولابنه أحمد الحفظي ـ جعله الله من العلماء العاملين ـ وبعضها وقفه الوالد ـ يرحمه الله ـ وباقي كتبه وقفها أولاده الذكور والإناث على ما وقف كتبه عليه.

القـــرآن

الختمة الهندية في نصف القطع سمعت الوالد ـ يرحمه الله ـ يقول: إنه مر بها حاج زمن الشيخ بكري ـ يرحمه الله ـ فقال: هي وديعة إن عدت أخذتها وإن لم أعد فهي لك لا أدري أوقف أم لا لكني أظنها موقوفة، فأعطاها الشيخ بكري ابنه الجد عبدالقادر بن بكري ـ يرحمه الله ـ ثم هي مع ابنه محمد بن أحمد الحفظي ـ غفر الله له ـ ثم بيد الوالد ـ يرحمه الله ـ.

التفاسير

الدر المنثور أربعة مجلدات وقفه الوالد ـ يرحمه الله ـ وتفسير ابن عباس والبغوي لكاتبه الفقير إلى ربه عبدالخالق ـ لطف الله به ـ ومجلد من تفسير الواحدي وثلاثة أرباع من الكشاف في مجلدين النصف الأول في مجلد للولد أحمد الحفظي ولي المجلد الذي يليه ربع الكشاف، وقد وهبته للولد أحمد الحفظي ـ فتح الله عليه ـ. والجلالين في مجلد ونصف القطع، وقفه مرعي بن رافع الدوشان على نظر عبدالخالق ونصفه في ربع القطع لعبدالخالق وختمه في القطع الكامل الجلالين مكتوب في حواشيها.

كتب السنة

البخاري مجلدان، ومسلم مجلدان، وسنن أبي داود ومجلد الكل لكاتبه عبدالخالق ـ لطف الله به ـ المجلد الأول من سنن ابن ماجة للوالد وقفه ـ يرحمه الله ـ ومقدمة فتح الباري وشرح مسلم مجلدان وقفها الوالد ـ يرحمه الله وغفر له ـ ومجلد من القسطلاني وقفه الحقير تقبله الله والتيسير نصفه الأول مجلد للحقير والنصف الثاني من الجامع الكبير مجلد للحقير الخلاصة في الرجال لعبدالخالق وإغاثة اللهفان مجلد كامل وأعلام الموقعين مجلدان وبدايع الفوائد الفوايد مجلد كامل والنصف الثاني من زاد المعاد مجلد كامل ونهاية ابن الأثير مجلدان وحادي الأرواح مجلد نصف القطع والبهجة للعامري الكل للوالد ـ يرحمه الله ـ وقفها ـ تقبل الله منه ـ ومشكاة المصابيح لعبدالخالق مجلد في الكامل، والنصف الأول من إحياء علوم الدين مجلد وقفه محمد بن حوقان الدوسري على نظر الأمير عايض بن مرعي فأعطانيه بيدي، وتذكرة القرطبي مجلد كبير للأخ إسماعيل أوقفه [ ] بيدي والنونية مجلد في نصف القطع لعبدالخالق، شرح مشارق الأنوار لعبدالخالق وللوالد كتاب الطريقة المحمدية حنفي في نصف القطع وإليه طلبة الطلبة والسيف الباتر وشرح العشر المسائل وشرح في المصطلح أكثر من ثلث

الكتاب للشيخ ملا علي قاري. ونسخه للسيد عقيل وترجمة ابن تيمية وفي الكفاية وغير ذلك.

وورقتين لمحمد بن عبدالوهاب وانباه الأذكياء بحياة الأنبياء للسيوطي ومرائي طيارة في أسفل الكتاب ومجلد في الكامل للوالد أوله شرح عدة الحصن الحصين ثم العمدة ثم بغية الأمل ثم من المقدمة ثم من نيل الأوطار ثم من فتح القدير للشوكاني ثم الإجازة ثم الألفية الحفظية ثم كلام لابن القيم في الوفود ثم تسخة في الحواشي الخمس ومجلد نظم سالم داود ثلاث نسخ نظمًا في القطع الكامل ومجلدين في نصف القطع للوالد أوله نحو كراس ونصف نقولات ثم الكلم الطيب ثم الكبائر ثم التخويف من النار ثم الدر البهية للشوكاني ثم نقولات من شرحها ثم شرح منظومة البيضوني في المصطلح ثم حواشي على شرح نخبة الفكر ثم شرح غرامي صحيح ثم نسخة البطليوس ثم نبذة في أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، ثم نبذة من ديوان ابن المقرب ثم منظومة اليافعي الرائية ثم منظومة التلخيص ثم المنهج القويم إلى صراط المستقيم لأمراء المسلمين وهي آخر الملجد. [انتهت الصفحة الأولى].

ومجلد للوالد في نصف القطع أوله فوائد ومناظيم منها منظومة التوبة ثم شرح كتاب الأعلام بأحاديث الأحكام ثم كتاب التوحيد ثم التحرير ثم شرح الأربعين ثم رسالة أحمد بن علوان ثم وصية ابن جمعان لولده ثم حواشي القليوبي على الأجرومية ثم شرح ابنية الأفعال ثم نظمها ثم من الأشموني ثم أوراق.

ثم عبق الجُلَّاب شرح ذوق الطلاب وبعده أوراق لا كتب فيها كراس ونصف وهو في كفت [الكفت: جراب مصنوع من ادم].

ومجموع الوالد الذي فيه شرح الملحة وقبله أول أول الجلد مناظيم للسيد أحمد بن إبراهيم الأخرش وغيره ونسخة للسيد محمد بن إسماعيل الأمير اسمها المسائل المرضية

ثم إحياء الجمعة بضياء الشمعة للجد أحمد الحفظي - يرحمه الله - ثم نظم الأجرومية للعمريطي ثم أبيات الحلى في العروض ثم لامية العجم وأوراق ثم إرشاد الاعتقاد ثم أوراق فيها فوائد ثم منظومة ابن المقري إلى كم تهادي ثم الأربعين للجوهري في الظلم ثم مختصر العقـائـد للنسفي ثم كراريس بخط الوالد أحمد الحفظي وغيره مفيدة ثم الأشباه والنظائر ثم أروش الجنايات ثم أوراق مفيدة منها رسالة لسعود ومجلد فيه الدرة الفاخرة أوله كراسين مفيدة ثم حاشية على خطبه ثم أربع أوراق خالية ثم الدرة ثم منحة الـوهاب نظم التحرير إلى زكاة النعم ثم نسخة. إما لمحمد بن عبدالوهاب أو غيره ونسخة له في مسائل النور ثم كتاب ألفه بابطين في منافرة وقعت بينه وبين حسن بن خالد ثم نسخة أظنها للنووي ثم أوراق ثم شرح يتبع النوع في انتساب أباه، ثم أوراق ثم الفوائد المثمرة ثم أوراق ثم منفعة قوت القلوب لحسن بن خالد ثم أوراق ثم شرح السنوسية ثم إضاءة الدجنة ثم القول الحسن للشوكاني ومجلد مجموع فيه إجازة الوالد خط الجد ثم وفاز من قام الليالي وعقد جواهر اللئال ثم كتاب منهج السلف ثم شرح حزب النووي وقصيدة البهلول والروض المطلول لعلي بن الأمير وآخره حل العوقة عن أهل دوقه.

وفي أولـه كراريس وفي اثنـائيه كذلـك مفيدة ومجلد في السياسة الشرعية أوله نقـولات من إغاثة اللهفان ثم مختصر السيرة لمحمد بن عبدالوهاب ثم ثلاث أوراق خالية ثم تفسير شهادة أن لا إلهٰ إلا الله له ثم تفسير الفاتحة له به الثلاثة الأصول له ثم تطهير الاعتقاد لمحمد الأمير ثم كتاب التوحيد إلى باب ما جاء في أن سبب كفر بني آدم ثم كلام لمحمد بن عبدالوهاب ثم منظومة الأمير سماعًا. عبادالله ثم نسخة في التوحيد خط يماني ثم نسخ أظنها أو بعضها للسيد إبراهيم بن محمد الأمير اعتراضًا على محمد بن عبدالوهاب ثم جواب حمد بن ناصر على علماء مكة ثم في البدع وسائل أو تساءل الوالد أحمـد الحفظي الخمس العشرة لأحمد بن ناصر أو لسليمان بن عبدالله وجوابه وسؤال وجواب لهما على المجيب المسئول عبدالله بن محمد بن الشيخ وغير ذلك مسائل وجوابات

لهم عظيمة ثم أوراق نقولات للجد عظيمة ثم منظومة الأسماء الحسنى للسيد أحمد بن إبراهيم الأخرش ثم تفسير آيات لمحمد بن عبدالوهاب ثم نقولات من نسخ للسيد عقيل ثم نقولات من كلام السيد حسن بن مهدي النعمي ثم ثلاث أوراق خالية ثم السياسة ثم سؤال عن آيات الصفات نسخة عظيمة ثم عشرون مسألة والجواب بعدها ومسائل وأجوبات عظيمة ثم رسالة من سعود إلى عبدالوهاب وعرار ومنصور ومعدي ثم نقولات عظيمة في التوحيد وغيره ثم أربع ورقات خالية ثم رسالة من محمد بن عبدالوهاب إلى من أنكر عليه ثم ستة أصول له ثم رسالة له إلى الكافة ثم كلام عبدالله بن عيسى ثم رسالة منه إلى محمد بن عباد ثم منه إلى محمد ابن عيد ثم سؤال الرشوة والجواب وغير ذلك ثم أربع ورق خالية ثم الستة الأصول بقلم الوالد ثم مسائل إلى آل الشيخ وحمد بن ناصر وأجوبتها بقلمه ـ يرحمه الله ـ ثم ورقة خالية ثم أربع قواعد محمد بن عبدالوهاب خمس ورق ونصف بقلمه ثم نسخة للوالد أحمد الحفظي في خروج عرار ثم جواب السيد عبدالله بن محمد الأمير ثم كراريس فيها فوائد عظيمة وذكر الطلاسم والأوقاف وغيرها من الفقه ثم سؤال إلى الجد عن القدم ثم كلام عظيم للمنصور في التوحيد ثم شرح أحمد ابن علي زين المحبسي باعلوي على المنظومة التي أولها يا سائلي عن عبرتي ومدامعي ثم كلام للسيد أحمد الأخرش ثم تأليفة للجد اسمها موجبات الرحمة وعزائم المغفرة وآخره أربعون حديثًا ثم فوائد ثم نسخة مباحث من الأصوليين ثم نقل عن المقبلي عظيم من القلم الشامخ ثم مناظيم وفتوحات للسيد الأخرش ثم أسئلة وأجوبة في طلاق الثلاث ثم أوراق أظنها خط مفتي مكة إبراهيم الزمزمي فيها ثلاثة أبيات أحمر مكرر في النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم البرهان الساطع في الطلاق المتتابع ثم أوراق مفيدة ثم آخره أربع ورق خالية وهو في كفت ومجموع فيه بلوغ المرام مجلد أوله عمدة الأحكام ثم إجازة العم للوالد الرائية ثم إجازة الجد للشريف بركات [ ] والوالد رحمهم الله ثم إجازة الجد للوالد ثم بلوغ المرام ثم درجات الصاعدين للوالد محمد و[ ] عنوانها حديث إقامة عمر الحد على ولده أبي سجمه ثم هي مقطوعة الأول والآخر ثم النفحة القدسية بقلم الجد الأول صافحه ثم

نخبة الفكر ثم منظومة مصطلح ثم أركان النكاح للوالد محمد ثم شرح المنهل الروي ثم أربعة الأصول نظم [ ] ثم شرح الورقات ثم نظم الأجرومية للوالد محمد خط الحسين ـ يرحمه الله ـ ثم الألفية قلم الوالد أولها ثم أركان النكاح للوالد محمد ثم [ ] المعراج كراسين غير تام ثم كراس بعده صلوات ووعظ ثم مولد آخر ثم هدية الأقران آخر ذكر القراء السبعة ثم وصية عبدالله اليامي لأحمد بن هادي ثم رسالة الوالد محمد إلى سعـود ثم تخميس البردي ثم كراريس من حسن المحاظرة بقلم الجد ثم منظومة الحداد يا سائلي عن عبرتي الخ . . . ورواتبه بعدها ثم اللمح الندسي على الفتح القدسي غير تام وهو آخر الكتاب. ومجلد مجموع فيه شرح العروة الوثيقة وله النور الوهاج في منسك الحُجاج للحقير ـ عفى الله عنه ـ وبعده القصيدة الذهبية في الحج ثم إجازة الضحوي للحفظي ثم الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة وهي من كتب الحقير عبدالخالق وما سبقها ثم الدر المنظوم ثم حد الأربعون السلفية ثم سبع ورق خالية ثم أسنى المطالب في صلة الأرحام والأقارب ثم الأيام النحات وغيره ثم ورقتان خالية وما سبق كله للحقير عبدالخالق وبعد ذلك نسخة أظنها للسيد أحمد بن إدريس ـ يرحمه الله ـ للوالد رحمه الله ثم ورقتان خالية ثم الدر المختار للسيد أحمد للوالد ثم آداب العلماء والمتعلمـين ثم مسألة الوفا بأدلة حلّ بيع النساء للسيد محمد بن إسماعيل الأمير وهو لعبدالخالق أو ولده الحفظي ثم كتاب المقاصد السُّنية في جمع الفوائد الفقهية لباسودان غير تام في آخره أربع ورق خالية ثم ورقتين مكتوبة تامة ثم خمس ورق خالية ثم رسالة في آداب البحث ثم ورقة خالية ثم شرح القطر للحضف تام بقلم العم جعفر ـ يرحمه الله ـ وآخره سبع ورق خالية وهي آخر الكتاب والكل للحقير عبدالخالق إلا نسخ ابن إدريس ـ يرحمه الله ـ فهي للوالد ـ غفر الله له ـ وهي في كفت.

مجلد فيه الزبد للوالد ـ يرحمه الله ـ أوله كتاب مسايل التعليم لبافضل ثم كراس من تفسير أظنه للفاكهي . . . ثم أوراق بخط الجد فيها فوائد ثم بخطه أسئلة وأجوبة عن العَشَر وقوم لا يورثون النساء وعن الأوقاف على ذكور العصبة وغير ذلك ثم كتاب

إرشاد العمال إلى ما ينبغي في يوم عاشورا من الأعمال ثم ما وقع في الأرض التي وقفها الشاذلي وسؤال عن قوله وقفت على أولادي ما تناسلوا وغير ذلك ثم العروة الوثيقة ثم الكفاية لقارىء بداية الهداية ثم بداية الهداية ثم الزبد ثم كراريس فوائد بخط الجد وغيره ثم غسالة أقدام المصطفى ثم نسخة للجد في السماع ثم مذاكرة بين الجد وعثمان بن رافع في ثلاث مسائل ثم [ ] استمداد الفاتحة وسؤال وجواب في حكم عوام المسلمين ثم منظومة أبو الفارض ثم الجواهر الخمس.

كتب النحو

مغني اللبيب أوله وآخره في مجلد في القطع الكامل للوالد ـ يرحمه الله ـ وقفه أكثره خطي وأوسطه مجلد للوالد وقف أيضًا في الكامل أو ثلثيه ومغني اللبيب للحقير عبدالخالق في نصف القطع والمكودي للوالد شرح الأجرومية في نصف القطع وجلَّة شرح الألفية للمرادي الغاية شرح الحاجبية لآل حسن بن خالد نصف القطع الحاجبية متن للوالد محشاة جلَّدتها الجامي للحقير الخبيصي لي أيضًا شرح الشذور وقف على نظر الوالد إبراهيم ـ يرحمه الله ـ حاشية السيد شرح الحاجبيَّة مقطوعة الأول والآخر لا أدري هي لي أم للوالد ـ يرحمه الله ـ التصريح مقطوع الآخر أظنه لي من رفيدي بن مشبب ـ يرحمه الله ـ فتح الرؤف قبله نسخة علي بن أبي طالب في النحو ورقتين في النجوم وغيرها وبعدها فتح الكريم الوهاب وبعده ورقتين فيها فوايد وبعده شرح العوامل للتفتازاني وبعده أشرف الرسائل شرح العوامل للهاشمي وبعده بلوغ الأرب شرح شذور الذهب وبعده كتاب إعراب [ ] في الأبيات وبعدها ثلاث ورقات فيها فوايد وبعده شرح الألفية للسيوطي وبعده أبيات في لغة العجوز وبعده ورقة وصافحه في فوايد منها في تصوير اللفظ وحروف الهجاء والنقط للسيوطي وبعده أبيات في الفرق بين الظا والضاد في صفحتين ونصف . انتهى.

الهوامش

١ - تقع هذه المخطوطة في خمس ورقات، الأصل محفوظ لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي.

٢ - لعله يعني بتلك الجهات بلدة رُجال نفسها حاضرة رجال ألمع وما حولها. ورُجال بضم الراء تعني القرية أو البلدة، أو رِجال ألمع بكسر الراء فتعني اسم القبيلة. فيقولون رِجال من رُجال.

٣ - من مؤلفات ابن عجيل هذا «حزب الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل» مخطوطة في مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٥٧٤٩ AY.

٤ - مخطوطة نسب آل الحفظي ورقة رقم ٢ وانظر كذلك مخطوطة بعنوان «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» الأصل محفوظ لدى عبدالقادر الحفظي في أبها.

٥ - حديث مع الشيخ الحسن بن علي الحفظي في منزله برُجال ألمع.

٦ - مخطوطة النسب ورقة رقم ٢.

٧ - «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز الرياض ١٤٠٢هـ ص١٣١.

٨ - المصدر السابق. ص١٣١.

٩ - «نفح العود والظل الممدود». مخطوطة يعمل كاتب هذه السطور على تحقيقها.

١٠ - سمي إبراهيم الزمزمي لأن والده سماه باسم صديقه إبراهيم بن أحمد الزمزمي من بيت الريس أحد علماء مكة، انظر محمد بن إبراهيم الحفظي «نفحات شعر من عسير»، مطابع عسير، أبها ص١١٥.

١١ - اقترحت على بعض الاخوان أن ندعو إلى ترميم هذه المدرسة وكذلك المدرسة الأخرى في بلدة رُجال وجمع تراث آل الحفظي في أي من هاتين المدرستين، وتكون تحت إشراف وزارة المعارف أو الأوقاف حيث لاحظت أن أكثر ما كان يتعلل به شيخنا الحسن بن علي الحفظي والذي يعد الآن فيما أعتقد أكبر أفراد الأسرة سناً وأكثرهم استحواذاً على الكتب المخطوطة بأنها وقف ولا يحق له التصرف بها وذلك حينما طلبنا منه أن ينقلها وباسم آل الحفظي إلى مكتبة فرع جامعة الملك سعود أو جامعة الإمام حيث يتولون ترميمها وصيانتها وتعم الفائدة المرجوة من الوقف.

١٢ - ومن الطريف ما حدثني به الشيخ أحمد بن الحسن الحفظي وكان يبلغ من السن حين زيارتي له فوق التسعين بأن مجلس القضاء كان يعقد في غرفة مجاورة للمدرسة المتقدمة وكان الطلاب يحضرون هذا المجلس وكأنه نوع من التدريب العملي على ممارسة القضاء.

١٣ - وقد أصبحت هذه العقبات بفضل جهود الحكومة الموفقة في هذا العصر الزاهر مذللة، فالمسافة التي كان يقطعها السكان من الشعبين إلى بلدة رُجال فيما يزيد على نصف يوم أصبحت تقطع

خلال دقائق بواسطة أكبر نفق تعرفه تهامة عسير.

١٤ ـ عبدالله أبو داهش، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة العربية، الرياض، مطابع الشريف ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ص١٥٥.

١٥ ـ منشور موجه من الأمير محمد بن عايض بن مرعي ـ أمير غامد وزهران ـ إلى كافة قبائل غامد وزهران، لم يكن المنشور يحمل تاريخًا ولكن يحتمل أنه في نهاية الخمسينات أو بداية الستينات من القرن الثالث عشر الهجري. أصل هذا المنشور لدى محمد الحسيل كاتب عدل بلجرشي ولدي صورة منه.

١٦ ـ أحمد بن عبدالخالق الحفظي، مخطوطة مبتورة من أولها في اثنتي عشرة ورقة وهي إجازة من الشيخ أحمد لأحد طلابه. الأصل لدى عبدالقادر بن سليمان الحفظي مدير التعليم في منطقة رُجال ألمع حاليًا. وتفضل عليّ بصورة منها.

١٧ ـ أحمد الحفظي الثاني بن عبدالخالق، أكثر من حن إلى كتبه ومدرسته ناهيك عن أهله ووطنه أثناء ما كان في منفاه في بلدة «يانيه» في البلقان، حيث مكث بها منفيًا مع أحد عشر زعيمًا عسيريًا ما يربو على ست سنوات دبَّج خلالها مئات القصائد معظمها حنينا إلى الوطن ـ ويكون بذلك قد سبق المهجرين في شعره وحاكا أبا فراس في محنته ـ ولو جمع شعر أحمد الحفظي وهو أسير لا زاد على مجلدات ولم ينشر منه إلا مختارات بسيطة جدًا، هذا بالإضافة إلى تأليفه في جميع فروع المعرفة، كل ذلك أثناء أسره، أهمها تفسيره للقرآن الكريم في ثلاثة مجلدات، وكتب كثيرة أخرى لا تزال مخطوطة، منها ما هو معلوم في المكتبات التركية، ومنها ما لا يزال مكانها مجهولاً وهو ما لدى أسرته. ومن أعماله مذكراته وهو في الطريق إلى الأسر وأثناء الأسر نفسه وحين عودته إلى بلده حينما أفرج عنه في عهد السلطان عبدالحميد وقد اشترك الحفظي في حروب البلقان إن لم يكن بسنانسه فبيراعه حيث ألهب حماس المقاتلين العثمانيين بقصائده الحماسية والتي جُمع البعض منها وطبع في ديوان بعنوان «الصرخة الإلهامية» وطبع في استانبول قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري ولعل هذا الموقف الذي لم يرد به الشيخ الحفظي إلا وجه الله ونصرة الإسلام والمسلمين واحد من الأسباب التي شفعت له ولمن بقي من قومه أحياء بالعودة إلى بلادهم ومن المؤكد أن في الإفراج عن مذكراته بكاملها ثم نشرها ما سيلقي أضواء جديدة على حياة عالمنا الجليل وزملاء أسْره وملامح الحياة في ذلك العصر. وله أيضًا كتاب مخطوط ولعله واحد من أهم أعماله بعنوان «السياسة الشرعية فيما يجب على الراعي والرعية» قدم للسلطان عبدالحميد ولدى الباحث نسخة مصورة من النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة استانبول برقم A ٥١٩٦ وللشيخ الحفظي إجازات علمية منحها لبعض من كبار علماء استانبول وعلى رأسهم أحمد جودت باشا وزير المعارف حينذاك وصاحب تاريخ جودت المشهور. وإجازته له خطية

محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول ضمن مجموعة أوراق يلدز تحمل رقم ٩٣ ـ ٣٧/٤٨٢/٥٥٣ ولدي نسخة منها.

١٨ ـ عُدل اسم هذه البلدة مؤخرًا فأصبح اسمها الجديد «وادي الحياة».

١٩ ـ حدثني العلامة الشيخ حمد الجاسر أثناء زيارتي له يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٦/٥/١٩هـ في منزله بالرياض بأنه جرت العادة في نجد أنه إذا توفي العالِم في أي مكان من أنحاء نجد نُقلت كل كتبه إلى الرياض العاصمة وربما أودعت عند أسرة آل الشيخ.

* أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل ولد سنة ٦٠٨ وبرع في علم الفقه والتصوف وانتهى إليه أمر الفقه في اليمن وكان ملوك بني رسول يصلونه ويعظمونه. توفي سنة ٦٩٠ «انظر الحبشي مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ص ١٨١».

** اتحفني بنسخة مصورة لهذه القوائم الأستاذ الفاضل عبدالخالق بن سليمان الحفظي.

*** معاليم: جمع معلامة مكان التعليم وهو ما يسمى بالكتّاب في بعض الأقطار، وما زال كبار السن في عسير يسمون المدرسة «معلامة» إلى يومنا هذا.

الوثيقة التنظيمية لقرية العلاية

الوثيقة التنظيمية لقرية العلاية

ضمن وثائق منطقة عسير التي عرضنا نماذج منها في المعرض الأول الذي أقمته في قصر شدا في صيف العام الماضي ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م مشاركة في ملتقى أبها الثقافي الأول كانت هذه الوثيقة المهمة التي تنشر لأول مرة والتي تتناول التنظيم المحلي لبلدة العلاية من بلدان قبيلة بني مغيد الواقعة على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترًا جنوب مدينة أبها.

ولقد اشتملت هذه الوثيقة التنظيمية ـ التي تم الاتفاق على صياغتها من قبل ممثلي البلدة ووافق الجميع على ما ورد فيها وصُدِّقت من قِبل شيخ شمل بن مغيد وبني نمار ـ على إحدى وعشرين مادة عالجت كل منحى من مناحي الحياة في قرية العلاية، وما هذه الوثيقة بما اشتملت عليه من مواد تنظيمية وتقنينية لأوضاع هذه البلدة إلا نموذجًا لكثير مثلها من الوثائق المتعلقة بالقانون العرفي التي كانت مطبقة في البلدان والقرى في جميع أنحـاء منطقة عسير والتي ظل العمل بها جاريًا إلى وقت قريب، وربما لا يزال البعض منها مطبقًا إلى الوقت الحاضر لاسيما وهي من الوسائل التنظيمية والملزمة التي ساعدت وتساعد المؤسسات القائمة حاليًا على تسهيل الإدارة المحلية، هذا إذا عرفنا أن القوانين العرفية أحد مصادر التشريع. طالما ليس بها ما يُخالف الشرع الشريف،

والنـاس وهم يقـومـون بوضع هذه القواعد أدرى بأهم المشكلات التي تواجههم في حياتهم اليومية وأقدر على وضع الحلول لها موظفين خبرتهم الطويلة المتوارثة عبر الأجيال للتغلب عليها.

كانت معظم الوثائق التي تم عرضها في قصر شدا وثائق محلية تعالج قضايا محلية ولكنها ذات صبغة شمولية أي أنها لم تترك قضية من قضايا المجتمع اقتصادية كانت أو اجتماعية أو عسكرية أو دينية أو سياسية إلا وعالجتها ووضعت لها من النظم والتقنين ما يكفل للمجتمع حياة آمنة مستقرة، ومنظمة قائمة على العدل كما حددت هذه الوثائق مسئـوليات الفـرد تجاه الجـماعـة والجماعة تجاه الفرد، وعلاقات الجماعات بالجماعات الأخرى وعلاقة الإنسان بالبيئة، وعلاقة الكل بالسلطة المركزية. ولقد تناولت القوانين العرفية في منطقة عسير في دراسة شاملة ـ أرجو أن ترى النور قريبًا ـ وصفت فيها أدق المصادر وخاصة المصادر الوثائقية المحلية التي لم تستخدم في أية دراسة من قبل، ولذلك فلن أطيل الحديث هنا عن القوانين العرفية إذ المجال لا يسمح في هذه العجالة فإن هذا الإصدار لا يستوعب كل ما أود أن أقوله، وكل ما أود أن أقوله في هذا الخصوص وما يود القارىء الكريم أن يعرفه سيجده ـ إن شاء الله ـ في تلك الدراسة الموسعة المشار إليها أعلاه.

ولكن ما أريد أن أكرره وأركز عليه في هذه المناسبة هو أن أحد أهداف إقامة معـرض وثائق عسير كان الغرض منه دعوة المواطنين الكرام في هذا الجزء الغالي من بلادنا إلى المبادرة بتقديم ما لديهم من وثائق إلى أحد مراكز البحوث للاستفادة منها في دراسة أحوال المجتمع وربط الماضي بالحاضر. وفي الختام لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل مواطن ساعدني في الحصول على بعض مما لديهم من وثائق كان من ثمرتها إقـامـة المعرض وإنجاز ما سبق الإشارة إليه من دراسة كما لا يفوتني أيضًا أن أتوجه بالشكر لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز وسموه نائبه على ما وفراه لي من تشجيع ودعم معنوي في إنجاز مشروع توثيق تاريخ منطقة عسير.

أما وثيقة أو قاعدة بلدة العلاية مدار حديثنا هنا فقد جاءت وثيقة شاملة لتنظيم كل شئون البلدة الدينية منها والاجتماعية والاقتصادية ونظام الري والشئون البلدية للبلدة وما يتعلق بالنظافة والنواحي التنظيمية، وكذلك النظم التعاضدية بين السكان وغيرها.

والوثيقة مؤرخة في ١٣٨٩/٦/٩هـ وهي وإن كانت حديثة في تاريخها كما هو واضح فإنها استمدت أصولها من وثائق وقواعد أهل العلاية السابقة التي كتبت في تواريخ متقدمة(*) منها ما يتعلق بالنظم الاجتماعية، ومنها ما يختص بنظام الري، ومنها ما يعالج قضايا الغابات والمناطق المحمية وغيرها من المسائل فجاءت الوثيقة في إصدارها الحديث مشتملة على معظم ما تضمنته القواعد السابقة مضافًا إليها ما جدَّ من تطور في حياة مجتمع القرية ورغبة في أن أترك الوثيقة أو القاعدة تتكلم عن نفسها فلن أطيل في عرضها، ولذلك سأورد الوثيقة بنصها وسأعمل على توضيح ما أستطيع توضيحه من مصطلحات وردت في النص حيث ربما وجد البعض صعوبة في معرفتها. وقد قمت بتصحيح ما ورد في نص الوثيقة الملحقة من أخطاء نحوية وإملائية؛ أما النص الكامل للوثيقة فهو كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يُضلل فلا هادي له.

أما بعد فيعلم الواقف على هذه القاعدة والناظر إليها بأنه بناء على المحضر الموقع منا يا جماعة أهل العلاية بتاريخ ١٣٨٩/٦/٩هـ والذي بموجبه أجملنا(١) على إخراج ستة عدول(٢) من بيننا ينظرون في أوضاعنا الخاصة ويقررون ما يلزم بعضنا لبعض في

جميع ما يتعلق بوسطنا[3] وعادتنا. وقد رضينا بالإجماع كلاً من صهيف بن أحمد/ وسعيد بن عبدالله بن عمر/ وسعد بن موسى/ وإبراهيم بن حسين/ وعبدالله بن محمد بن علي/ وحمد بن علي بن عوض. هذا بعد إطلاعنا نحن الستة على قواعد وعادات أهل العلاية السابقة[4] وجميع الموضوعات الخاصة بجماعتنا قررنا ما يلي:

١ - أن يكون الماء بين أهل معلايه[5] بالعدل والحال[6] بالعدل ومجمع زكاة الحب والغنم واحد والنائب[7] واحد.

٢ - الصلاة ركن من أركان الإسلام فعلي نائب أهل العلايه أو من ينوب عنه الحث على أداء الصلاة الخمس جماعة في المسجد ومراقبة من يتأخر أو يتهاون بها وحثه على المواظبة وإبلاغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل من يتأخر أو يتهاون بالصلاة.

أما صلاة الجمعة فمن تأخر عن حضورها في مسجد العلاية بدون عذر شرعي وهو في حدود العلاية من الدية[8] شمالاً إلى تباشعه[9] جنوبًا فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) للمرة الأولى وإبلاغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا تكرر منه ذلك، أما الموظف وغيره فلا يحق له أن يغيب عن صلاة الجمعة في مسجد العلايه أكثر من جمعة واحدة ومن غاب بدون عذر شرعي وسكنه في قرية العلاية فعليه غرامة عشرة ريالات وإذا تكرر منه الغياب يبلغ فيه هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الذين في تهامة مع قراشهم[10] فلا يحق للرجل منهم أن يغيب أكثر من جمعتين والثالثة يحضر الصلاة في مسجد العلاية وإذا تأخر أكثر من جمعتين فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) يستثنى من ذلك من تضطرهم ظروف الدهر إلى النزول من بئر رخمة وأسفل.

٣ - المساجد: تمنع المساجد وأحرامها وما جاورها من الغثاء والجلوس[11] فيها ومن شهد عليه أنه أغثا المساجد أو جلس في السبل القريبة منها بأذاه فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠).

٤ ـ الزكاة: تجمع زكاة الغنم والحبوب في مكان واحد وبالذمة والأمانة ولا يحق لأحد أن ينفق أو يتصرف بشيء من زكاة غنمه أو حب بلاده إلا بنظر النائب وثلاثة أمناء ينتخبهم النائب معه وفي حالة عدم وجود نائب فتجمع الزكاة بأنواعها عند ثلاثة أمناء تنتخبهم الجماعة في مشورتهم.

٥ ـ الأوقاف جميعها: كل ملزم بوقفه يتكلف به أسوة بحلاله الخاص وعلى النائب ومن ينوب عنه مراقبة الأوقاف وحث أصحابها على القيام بها خير قيام وإذا أهمل أحد في الوقف فعلى النائب أو من ينوب عنه أن يكلفوه بها أو يكلفوا من يقوم به غيره أو يسلموا الوقف لإدارة الأوقاف.

٦ ـ المقابر: تمنع المقابر جميعها من وطي القدم والقراش ومن قطع الشجر النابت عليها أو أخذ شيء منها من طين أو حجر ومن صب الغثاء عليها مهما كان نوعه أما مقبرة المعيشة فهي ممنوعة من وضع الحطب عليها ومن وطيها بالقدم والقراش وأخذ شيئًا منها من طين وحجر وقطع الشجر النابت فيها ومن تعداء (كذا في الأصل) في المقابر بشيء ممًا ذكر أو غيره فعلى النائب أو من ينوب عنه إخبار الحاكم الشرعي بذلك المتعدي وعلى الجميع مخافة الله ومراقبة منع الظرر[١٢].

٧ ـ الكظامة[١٣] قررنا أن يكون ماؤها بالعدل يوزع بين أهل العلاية بالسوية وبذمة. وأمانة العدل[١٤] وفي حالة قصور الماء فتقري[١٥] الكضامة خمسة أيام وترسل في اليوم السادس وتوزع بذمة العدل أما إذا كانت تقرئتها خمسة أيام لا تنفع في الجزعة[١٦] فتوزع على من النجيف[١٧] وفوق فإذا لم تنفع فلها قالت[١٨] ثلاثة وعند قصور الماء وتقرئة الكظامة المدة المذكورة فيكون العدل ثلاثة لا واحدًا وجميع من ينتفع بها[١٩] الكضامة وليس من جماعة أهل العلاية فيلزمه الأوباع[٢٠] وقوانين الكظامة والخلج[٢١] ويلزم الواحد من جماعة أهل العلاية.

٨ ـ الخلج : في مبتدأ الثمرة[٢٢] والسيل يبره[٢٣] أهل العلاية عامة جار[٢٤] وأصلي[٢٥] ومن تأخر بدون عذر شرعي فيقسم له قسم وعليه أن يصلحه في يوم واحد وإذا لم يصلحه في اليوم الثاني عن اليوم الذي صلح فيه الخلج فيؤجر على قسمه بعشرة ريالات (١٠) إذا كان الشغل استغرق يومًا واحدًا للجماعة وبخمس ريالات (٥) إذا كان الشغل نصف يوم[٢٦] وليس لأحد الحق في إرسال ابنه الذي لم يبلغ الرشد في ضيعة[٢٧] الخلج ومن تأخر أو أرسل ابنه وهو على علم بموعد الشغل فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهه[٢٨] خمسة وتكن العشرة الريالات الغرامة زيادة على أجرة قسمه الذي قسم له. أما الجرية الخفيفة التي ليس فيها دمر سيل فيبره من كل بيت رجل واحد ولا يحق لأحد إرسال ابنه الذي لم يبلغ الرشد ومن تأخر فيؤجر على قسمه بعشرة ريالات (١٠) إذا كان الشغل استغرق يومًا واحدًا وبخمسة ريالات (٥) إذا كان الشغل نصف يوم للجماعة ومن تأخر بدون عذر شرعي فعليه بالإضافة إلى أجرة قسمه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة. أما الشعائب[٢٩] التي تمر بالخلج وكذلك مقطع ضموي فأصحابها ملزمون ومكلفون بإصلاح ما ينتج عن شعائبهم من ضرر سواء كان ذلك الضرر في الخلج أو على أحد في ماله الخاص.

إذن الشوائع في الخلج مثل المعادل من بلاد مفرح بن شطوان في خلج الجزعة ومن رأس جرف فضه إلى المسد فهي ممنوعة من القراش ومن غداها بقراشه والماء ومشى[٣٠] فيها وتسبب في قطع الماء فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) وبرهة خمسة وإصلاح الخلج ومن سرح قراشه في الشيء المشاع من الخلج وهو بدون ماء فعليه إصلاح الخلج في اليوم الثاني عن اليوم الذي سرح قراشه فيه وإذا لم يصلحه فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) وبرهة خمسة. أما الشيء الخاص كإسناد[٣١] البلاد[٣٢] فيمشي عليها ما يمشي على شيء[٣٣] المشاع من سرّح قراشه في محارم بلاده والماء يمشي فيها وتسبب في قطع الماء فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) وبرهة خمسة أما إذا كان الخلج بدون ماء فعليه أن يصلح ما سرح قراشه فيه في اليوم الثاني، وإذا لم يصلحه فعليه غرامة

عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة. أما مقاطع الخلج فعلى عادتها وهي أربعة واحد منها في أعلى بلاد مفرح شطوان والثاني من قادة يمن في خلج الضحية والثالث من راس جرف فضه بحرا والرابع من الصفيح من جنب النصب المعروف وتمنع البلاد المجاورة للخلج والبعيدة من العزق والمشي المضر ويمنع وضع زرب الطلح حول الخلج مع ملاحظة أنه عند ما يكن[٣٤] الماء معتدلاً وكثيراً فلا يحق لأحد أن يورد في حد الخلج أكثر مما يستحقه حتى لا يسبب ضرراً على أحد كما أنه عند كثرة الماء لا يحق لأحد أن يقطع أو يشغل مكينته واحد يسقي بالماء وإذا اقتطعه أحد أو شغل المكينة واحد يسقي به فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة.

٩ ـ العدل يكون العدل بين أهل العلاية واحدًا وعند قصور الماء ثلاثة وينظر النائب أو من ينوب عنه ومن عين عليه ولم يقم بواجب العدالة فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة، ومن لم يعدل بذمة وأمانة فحسبنا الله عليه ونعم الوكيل. ومن تكلم على العدل بكلام غير لائق أو شتمه أو سبه أو قطع الماء أو كظم قبل موافقة العدل وقبل مذ لف القنعة من راس مقراء أو أرسل الكظامه بغير نظر العدل فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) وبرهة خمسة.

١٠ ـ المحلة[٣٥] من تأخر عن المحلة التي تطلب من مشورة أهل العلاية من غير عذر شرعي فعليه غرامة عشر ريالات (١٠) وبرهة خمسة إذا كانت المحلة يومًا كاملاً للجماعة وبخمس ريالات (٥) إذا كانت المحلة نصف يوم للجماعة ومن كان غائبًا لم يحضر المشورة وعلم بالمحلة وبموعدها ثم تأخر بدون عذر شرعي أو أرسل ابنه الذي لم يبلغ رشده فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة إذا كانت المحلة يومًا كاملاً للجماعة وخمسة ريالات إذا كانت المحلة نصف يوم وإذا كان في البيت ثلاثة رجال بالغين الرشد فيبره منهم رجلان وهذه الشروط تتم جميع المحلات والمعونات مهما كان نوعها ومن تأخر عن البرهة أو الروحة[٣٦] ثم لحق بالجماعة فله نظر النائب أو من ينوب عنه.

١١ ـ المذلف[٣٧] من عين عليه النائب أو من ينوب عنه من المذلف أو طريقة تخص الجماعة مهما كان نوع تلك الطريقة ثم تأخر بدون عذر شرعي فعليه غرامة عشرة ريالات (١٠) وبرهة خمسة ومن حضر المشورة من أهل العلاية فيقطع[٣٨] ويلزم الغائب ما يلزم الحاضر.

١٢ ـ القطيع[٣٩] العام: يمنع التوسع فيه ولا يحق لأحد أن يأخذ شبرًا واحدًا من القطيع العام غير الحرم الشرعي كما يمنع الشجر الأخضر من القطع ومن راح بيته عود أخضر وقطع عودًا بيده سواء من قطيعنا الخاص أو من غير قطيعنا فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) للمرة الأولى وإذ تكرر قطعه للشجر الأخضر مرة ثانية فيخبر فيه المسئولون في الزراعة. أما محارم البلاد الخاصة فلا يسمح لأحد أن يقطع عودًا أخضر من ماله الخاص إلا بنظر الجماعة في مشورتهم فإذ حصل على موافقتهم وإلا فلا يحق له القطع.

١٣ ـ السبل العامة سبل قرية العلاية ممنوعة من الغثاء ومن تضيقها بالبنيات (اللافيات) ومن الزرب بالشوك ومن ترك مخلفًا البناء من طين أو حجر أو غيره ومن خطر الوضع مواد البناء في أحد السبل فعليه أن يطلب الجماعة في مشورتهم قبل التصرف بوضع شيء وعند موافقة الجماعة يحدد له مكان ومدة معينة يكلف عند انتهائها بإزالة[٤٠] ما وضعه ومن وضع شيئًا مما ذكر في السبل العامة دون موافقة الجماعة فعليه غرامة عشرون ريالاً (٢٠) وبرهة خمسة وتكليفه بنقل ما وضعه في الحال وبالنسبة لغثاء البيوت فقد خصص للقربة مصبان الأول في مجرى السيل أمام مندر الجفير والثاني تحت الطريق بجوار قصبة الهجية. أما المعيشة فيكون مصب كل في بقوعه الخاصة التي لا تسبب ضررًا على أحد ولا على الخلج أو تنزله الوادي في مجرى السيل أمام مندر سبيل الفرس وعلى النائب أو من ينوب عنه مراقبة السبل وعدم السماح لأحد مستقبلاً بوضع شيء مما ذكر فيها وتكليف من سبق أن ضيق السبل بشيء بالبعاده[٤١] ومن شهر[٤٢] عليه أنه

صب اغثيات[٤٣] بيته أو ترك نساءه يصبون شيئًا بالسبيل أو في غير المصاب المصروفة[٤٤] فعليه غرامة خمسة ريالات (٥) للمرة الأولى وعشرة ريالات للمرة الثانية وإذا تكرر منه ذلك فعلى النائب أو من ينوب عنه إبلاغ المسئولين في الحكومة بذلك وطلب معاقبت[٤٥] المعتدي.

١٤ ـ الحوارث[٤٦] الذي يقع عليه من أهل العلاية شيء وراء الشفاء أو دونه[٤٧] أو دون قطيعنا فله قالت[٤٨] ثلاثة سواء كان الحق له أو عليه.

١٥ ـ المبتلاء[٤٩] من حل به كارثة من الكوارث فله قالت[٥٠] ثلاثة من وقتها.

١٦ ـ التعدي أو النص: من تعدي على رفيقه بقراشه أو يده في الزرع أو الخلب والحرم الشرعي أو قطع أو حطب في ماله أو نص عليه بكلام أو شتم فله قالت ثلاثة[٥١] في حينه ومن دمر بيته أو عود نحله أو خليته أو تعدى في غرسه فله شيخته[٥٢] فإذا غوى فرده ثلاثة أهل العلاية وما أشكل فالشرع.

١٧ ـ الشذوذ عن رأي الجماعة، من شذ عنا فليس منا يا جماعة في أمر من الأمور فيخرج له ثلاثة يقومون بمناقشته وموافقته في حينه وإذا أصر على عناده ولم يعدل عن شذوذه ويخضع لقالة الجماعة فيكتب محضر لتخليه عن الجماعة ويترك يتحمل مشاكل[٥٣] الوحدة ويبلغ فيه ولاة الأمور.

١٨ ـ في حالة عدم وجود نائب لأهل العلاية فعلى قبلاء[٥٤] الوسط القيام بتنفيذ جميع ما تحتويه هذه القاعدة وعلى الجميع معاونتهم وإطاعتهم ومطالبتهم بالتنفيذ.

١٩ ـ جميع الغرامات السالف ذكرها من هذه القاعدة نصفها للنائب والنصف الثاني لقبلا وفي حالة عدم وجود نائب فنصفها لقبيل الوسط الذي يقوم مقام النائب

والنصف الثاني للجماعة وإذا لم يخضع أحد لقبيل الوسط فلزمه قبلا الغاشية وحفاوة[٥٥] قبيل الغاشية خمسون ريالاً (٥٠) ويكون قبل الغاشية على قرارنا هذا جماعة أهل العثربان[٥٦] وحضناهم من آل مسعودي عوال ماطر على ولحمتهم آل صالح ومن المظارعة عبدالله أحمد ولحمته آل صلطان[٥٧] ومن المعيشة آل شطوان.

٢٠ ـ تحل هذه القاعدة محل ما سبقها. وتعتبر نافية لجميع ما سبقه وما يتعارض معه من المواقف والعادات والقواعد السابقة.

٢١ ـ من حاول إخفاء هذه القاعدة أو تغيير حرف أو جملة منها أو شقها من غير نظر أهل العلاية فعليه غرامة مائة ريال (١٠٠) وبرهة عشرة في وجه قبيل الغاشية أهل العثربان.

٢٢ ـ تعمل هذه القاعدة من أربع صور توزع كالآتي: (١) صورة تسلم لقبلاء الغاشية (٢) صورة بيد النائب (٣) صورة بيد أحد الستة (٤) بيد أحد قبلاء الوسط هذا ما رأينا وقررنا نحنو[٥٨] الستة الموقعين عليه أدناه، والله نسأل أن يؤلف القلوب وأن يرينا جميعًا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه إنه نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صهيف بن أحمد / سعيد بن عبدالله / سعد بن موسى / إبراهيم بن حسين / عبدالله علي / أحمد علي عواض

لقد حضر لدينا نايب وأعيان جماعة العلاية وطلبوا منا المصادقة على تراضيهم على هذا القرار فعليه نوافق والله ولي التوفيق.

١/ ٨/ ١٣٨٩هـ

شيخ بن مغيد وبني نمار

ومن ضمن الوثائق المتعلقة بقوانين قرية العلاية العرفية وثيقة احتوت على نصوص قانونية لم يرد لها ذكر في الوثائق السابقة ولم تتعرض لها الوثيقة محل الدراسة ولذا فقد رأيت إضافتها إلى هذه الدراسة لإكتمال الفائدة. خاصة وهذه الوثيقة تعرضت لموضوعات مختلفة تتعلق بأمور الزواج والرفدة وتعويض المواطن فيما يفقده من حيوانات ذات علاقة بالإنتاج مثل الثور والبعير وكذلك ما يتعلق بالمغانم والمغارم التي يشترك فيها الجميع.

وأسلوب هذه الوثيقة التي خلت من التاريخ لا يختلف عن أساليب الوثائق السابقة ورد بها بعض المسميات والمصطلحات المحلية التي وجدت صعوبة في تفسير بعضها.

نص الوثيقة(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان أنه أجمل أهل العلاية على قيام الستة(٥٩) فيما شجر بينهم أن نائبهم واحد وأن مصيبهم(٦٠) واحد وأن ما أجملوا [١](٦١) في جهة النكاح خمسين(٦٢) المهر المعلوم والشبرة(٦٣) عشرون والمكسا(٦٤) ثوبان ومحزمة(٦٥) وشيلتان ومنديلان.

. . . ركز(٦٦) الرفيق(٦٧) برفيقه فجزاه خمسين وبرهة(٦٨) شاة الغرام(٦٩) في القراش(٧٠)، الثور مائة ريال إذا أنقذه(٧١) أهل العلاية والمسحوب(٧٢) والضائع خمسين ريالاً الجمل كذلك مائة ريال الذي أنقذه أهل العلاية وخمسين في الضائع.

كذلك دمر[٧٣] السيل الذي بيره[٧٤] له أهل العلاية في ضيعته[٧٥] فالغدا عليهم والعشاء على راعي الشغل برهة الجار وإلا صلى عليه أجرة خمسة من غير عذر شرعي والمنفعة[٧٦] في السنة مرة.

كذلك المخسور[٧٧] في (. . .) والجرب[٧٨] أو الحوادث التي تقع فله رفدة، من راعى النصاب وفوق من واحدة ومن زاد فله يزيده لو ياهب الواحد عشر.

أما الحوادث [التي] تجي[٧٩] من وراء الشفاء[٨٠] لنا ولا علينا فانهى[٨١] لنا فلنانا صفة وانهى علينا فعلينا (غير واضحة).

. . . أما الذي تعدى في الفرع[٨٢] أو في المحجر[٨٣] أو في [١] الحرم الشرعي أو في الخلب[٨٤] بقراش أو قطع أو ما شبه ذلك ففيه خمسة.

والوقوف[٨٥] رف[٨٦] جايزه[٨٧] أنه وقف لمكالف[٨٨] آل يحيى بن حسين للمنقطعة [فأثبتناه أو ارثناه[٨٩]] لمنهو له[٩٠] ويرد الثمن لأهله.

كذلك الوقوف أسفل اموادي[٩١] ومظاهر[٩٢] فأهبنا[٩٣] الوكيل سعيد بن مطوع فيلقي ما بيد الدخيل[٩٤] إلى الوكيل.

من جهة تهامة فالعود[٩٥] الذي يُدمر[٩٦] وهو ناحل ففيه[٩٧] عشرة اريل والخلية والرمى[٩٨] من دمثها[٩٩] [بـ] شيء وهو ناحل فيه خمسة اريل والجيران الذين يأخذون[١٠٠] من بقعتنا شيء من الجرامة فهو ممنوع. الرفيق الذي يانص على رفيقه ما نص فاطلع فاعليه خمسين ريالاً.

وتكذبة رفيق على رفيقه خمسين ريالاً .

والذي يقتفي الرجل على خضرته والاشواطيه فعليه خمسة اريل .

الهــوامش

(*) انظر نماذج مصورة من الوثائق الأصلية ١، ٢.

١ - أجمعنا.

٢ - جمع عدل بمعنى حكم.

٣ - مجتمعنا.

٤ - لقد تم الاطلاع على بعض تلك القواعد (الوثائق) السابقة ولدى الباحث صور منها.

٥ - العلاية وفي القواعد السابقة امعلاية، وأم هنا تقوم مقام ال التعريف وهي إحدى اللهجات السائدة في منطقة عسير وهي لهجة عربية قديمة وردت في حديث الرسول ﷺ في قوله: «ليس من أم بر أم صيام في أم سفر».

٦ - الحال، ويعني به ما يملك الإنسان من أراض أو ماشية أو أي ثروة أخرى.

٧ - النائب وظيفة اجتماعية وهو من يُرشح لينوب عن جماعته وله عليهم الطاعة طالما قام فيهم بالعدل ويساعده عادة خمسة أو ستة أو سبعة من الجماعة وهو ما يمكن أن نسميه بمجلس القرية، انظر دراستنا «القوانين العرفية في منطقة عسير» في طريقها للنشر.

٨ - اسم مكان.

٩ - اسم مكان أيضا وهما حدود بلاد أهل العلاية.

١٠ - تعني دوابهم من بقر وغنم وجمال. ويطلق عليها قراش.

١١ - الجلوس هنا يعني قضاء الحاجة كالتغيط أو التبول.

١٢ - كذا وردت في الأصل (الضرر).

١٣ - المكان الذي يكظم فيه الماء وكظامة العلاية وتسمى المحتطبة من أشهر الكظائم في بلاد عسير والخليج الموصل بين الكظامة والمزارع يمتد لأكثر من ثلاثة كيلومترات.

١٤ - العدل هنا الموكل إليه الإشراف على نظام الري وهو صاحب خبرة وموثوق فيه ويحكم بالعدل ولذلك سمي بالعدل.

١٥ - يحبس الماء.

١٦ - إسم مكان.

١٧ - اسم مكان أيضا.

١٨ - قاله بمعنى حكم أي بها يحكم به ثلاثة.

١٩ - وردت في الأصل ما بدون الهمزة.

٢٠ - كذا في الأصل.

٢١ ـ اسم مجرى ماء الكظامة، واسم مجرى ماء السيل.
٢٢ ـ الموسم الزراعي.
٢٣ ـ يبره، يبدأ العمل أو يباشر والتبريه عادة ما يكون في الصباح.
٢٤ ـ الجار، الساكن من غير أهل الديرة.
٢٥ ـ الأصلي، راعي الديرة.
٢٦ ـ جاءت مكررة.
٢٧ ـ الضيعة يعني الشغل.
٢٨ ـ برهة: تصبيحة أي يصبحونه خمسة من الجماعة وعليه في هذه الحالة أن يذبح لهم ذبيحة واحدة وإذا صبحوه عشرة يذبح لهم ذبيحتين وهو نوع من النكال والتغريم.
٢٩ ـ جمع شعاب.
٣٠ ـ يظهر وجود خطأ ولعله يقصد والماء يمشي.
٣١ ـ جمع سند أي بمعنى حرم.
٣٢ ـ البلاد هنا تعني المزارع.
٣٣ ـ يبدو أن ال التعريف سقطت هنا والصحيح الشيء.
٣٤ ـ كذا في الأصل والصحيح يكون.
٣٥ ـ المحلة: العمل الجماعي الذي يشترك في إنجازه كل أهل القرية.
٣٦ ـ الروحة عكس البرهة، الروحة بعد الظهر والبرهة في الصباح وتسمى البرهة في أماكن أخرى من عسير الغدوة.
٣٧ ـ المذلف، وهو المدول.
٣٨ ـ له حق التفويض.
٣٩ ـ القطيع العام: المنطقة الشجرية المشاعة الملكية لجماعة معينة.
٤٠ ـ إزالة.
٤١ ـ كذا في الأصل ولعله خطأ والقصد بإبعاده.
٤٢ ـ كذا في الأصل ولعله شهد.
٤٣ ـ أي نفايات واغثيات جمع غثاء.
٤٤ ـ لعله يقصد المعروفة.
٤٥ ـ معاقبة.
٤٦ ـ هكذا في الأصل ولعلها الحوادث.
٤٧ ـ وراء الشفا أو دونه مصطلح يعني داخل البلدة أو خارجها.
٤٨ ـ قالة: حكم.

٤٩ ـ كذا في الأصل وهو المبتلي.
٥٠ ـ كذا في الأصل والصحيح قاله.
٥١ ـ يلاحظ استخدام من في أكثر من موقع بدلا عن.
٥٢ ـ شيخته: حكمه أو ما يفرضه بنفسه.
٥٣ ـ مشكلاته.
٥٤ ـ القبلاء الضمناء.
٥٥ ـ حقاوة ربها تعني تعابه.
٥٦ ـ أهل العثربان سكان بلدة العثربان وهي مجاورة للعلاية وهم ضمناء للضمناء على تنفيذ ما يصـدره الضمناء أو القبلاء من أحكام ومسألة القبيل وقبيل القبيل وردت بشيء مفصل في دراستنا عن القوانين العرفية في منطقة عسير المشار إليها سابقا.
٥٧ ـ سلطان.
٥٨ ـ نحن.

(*) أصـل هذه الوثيقة لدى أحمد بن عبدالله بن أحمد من أعيان قرية العلاية وقد تكرم مشكورا بإطلاعي عليها وتزويدي بصورة منها.
٥٩ ـ ستة الجماعة المنتخبة لتصريف شئون القرية.
٦٠ ـ مصبهم: مجمع زكاة بلادهم.
٦١ ـ أجملوا: اتفقوا.
٦٢ ـ أي خمسون ريالا.
٦٣ ـ الشبره: لم أعرف معناها.
٦٤ ـ المكسا: الملابس.
٦٥ ـ المحزمة: هي الحزام المصنوع من الجلد المدبوغ الناعم والمطرزة بأشكال جمالية وقد حل محلها حزام الفضة ثم حزام الذهب في الوقت الحالي.
٦٦ ـ غير واضحة في النص.
٦٧ ـ الرفيق: ابن القبيلة يقول الرجل هذا رفيقي يعني ابن قبيلتي.
٦٨ ـ البرهة: سبق توضيحها.
٦٩ ـ الغرم.
٧٠ ـ القراش: جمع قارشة وهي الحيوانات الغنم والبقر وما غير ذلك.
٧١ ـ أنقذه: أي ذبحوه قبل موته.

٧٢ ـ المسحوب: الميت من البقر والجمال وهو ما يسحب خارج القرية.
٧٣ ـ دمر: ما دمره السيل أي أخربه من بئر أو زرع وبيت.
٧٤ ـ بير: أي بئر.
٧٥ ـ ضيعته: أي ما يخصه من شغل أو عمل.
٧٦ ـ النفعة: المعاونة أو المساعدة.
٧٧ ـ المخسور: أي الخسارة.
٧٨ ـ الجرب: جمع جربة وهي الزرع.
٧٩ ـ تجي: تأتي.
٨٠ ـ من وراء الشفا: أي من مكان خارج مكان القبيلة أو من المجهول.
٨١ ـ فانهي: فإذا هي.
٨٢ ـ الفرع: جمع فرعة وهو الشعيب الصغير.
٨٣ ـ المحجر: هو الحمى الملك المشاع لكل أفراد القبيلة.
٨٤ ـ الخلب: هنا يعني الأرض الزراعية التي رويت بالماء حديثا ولا تتحمل المشي عليها.
٨٥ ـ الوقوف: جمع وقف.
٨٦ ـ رف: ربما يكون اسم الزرع موقوفًا، والرف هو المكان الذي يخزن فيه الحبوب خاصة القمح.
٨٧ ـ جايزه: اسم لسيدة أوقفت جزءًا من مزرعتها لصالح المنقطعات من نساء أسرة آل يحيى بن حسين.
٨٨ ـ المكالف: جمع مكلف وهو من الأسماء المترادفة للمرأة في منطقة عسير.
٨٩ ـ كلمة غير واضحة في النص ربما تكون أثبتناه أو أورثناه.
٩٠ ـ لمنهولة: لمن هو له.
٩١ ـ اموادي: الوادي.
٩٢ ـ مظاهر: الظاهر.
٩٣ ـ فاهبنا: فجعلنا.
٩٤ ـ الدخيل: ربما الذي يستثمر الوقف أي يقوم بزراعته.
٩٥ ـ العود: عود النخل أو حليته.
٩٦ ـ يُدمر: يُخرب بفعل فاعل متعمد.
٩٧ ـ في الأصل فافيه.
٩٨ ـ الرمي: عود صغير يستخدم كمنحل.
٩٩ ـ دمثها: لوثها.
١٠٠ ـ كتبت في الأصل: الجران الذي يخلون.

القوانين العرفية في منطقة عسير(*)

القوانين العرفية في منطقة عسير(*)

كثير هي تلك المواضع التي تجاهلها المهتمون بدراسة تاريخ الجزيرة العربية، والموضوعات القليلة التي أولوها اهتمامهم محدودة التناول محصورة الموضوعات لا تتجاوز أخبار الحروب وتدوين الوقائع وتتبع أنساب القبائل والعوائل، ومع ذلك فقد وقعوا في أخطاء كثيرة في معظم الأحوال. لا نلوم البعض من هؤلاء الذين وصفناهم بالمهتمين بتاريخ الجزيرة العربية على التقصير ولا ننقصهم حقهم، إذ أن البعض من هذا البعض تنقصه عدة الباحث الأكاديمي ومع ذلك يبقى لهم حق الريادة فيما تطرقوا له من موضوعات، ولهم جزاء المجتهد ولهم منا الشكر على ما قدموه، ولكن الذين لا نعفيهم من اللوم هم الأكاديميون الذين أصبحت جامعاتنا ـ ولله الحمد ـ تزخر بالكثيرين منهم، إذ أنهم ـ وبكل أسف ـ أقل عطاء من غير الأكاديميين، أو بمعنى آخر من غير حملة الرسائل العلمية والقليل من هؤلاء الأكاديميين الذين أصبح لهم عطاء أو قل إنتاج منشور لا يخرج عن كون معظمه إنتاجًا تقليديًا ليس فيه جدة، لا في الموضوعات ولا في طريقة التناول، وفي أحسن الأحوال، فما ذلك العطاء إلا قوالب لغوية جديدة لنصوص قديمة لتناسب العصر معتمدين في ذلك على ما أمدتنا به حوليات اقتصرت في معظمها على ذكر الحوادث والوقائع وسير الحكام قام بتدوينها مؤرخو الأزمان التي سبقت زماننا ومعظم هؤلاء المؤرخين يا حضرات السادة تجاهلوا فيما كتبوه تاريخ المجتمع وحياة الناس

(*) ألقيت هذه المحاضرة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة سنة ١٤٠٧هـ ونشرت في جريدة الرياض.

ونمط معيشتهم ومساكنهم وتجارتهم ونظم زراعتهم ونظم الري لديهم وعلاقات الأفراد بالجماعات والمجتمعات بعضها بالبعض الآخر، كل هذه الأمور المهمة من حياة مجتمعاتنا في الجزيرة العربية تجاهلتها مصادر تاريخنا المكتوبة التقليدية والتي عولنا عليها كثيراً واعتقدنا بعدم وجود روافد أخرى تلقي الضوء على تاريخ هذا المجتمع، الحقيقة أنه اعتقاد خاطىء دافعه في الدرجة الأولى الجهل وعدم الاهتمام والجدية في البحث عن المصادر الحقيقية لتاريخ هذا المجتمع وأهمها الوثائق التي تعكس تاريخ المجتمع نفسه ممثلة في الاتفاقيات وكتابات العقود والمعاهدات والأحلاف وقوانين النظم الاجتماعية التي كان مجتمعنا يوليها جلّ اهتمامه من حيث تدوينها والحفاظ عليها وخاصة في المجتمعات الزراعية والحضرية المستقرة، وهي ما سأعول عليه في ورقتي هذه.

أما ما سيقتصر حديثنا عليه في هذا المساء فهو ما يتعلق بموضوع القوانين العرفية في منطقة عسير معتمدين في ذلك على المادة المكتوبة وقبل الولوج في الموضوع دعونا نعرف وباختصار المنطقة، موضوع هذه المحاضرة منطقة عسير جغرافيًا كما حددها المصطلح العسيري المحلي حيث يقول: «عسير من ظهران إلى زهران ومن الشعف إلى السعف» فالمكانان الأولان لا أعتقد أن أحدًا يجهلهما أم الشعف فيعني به قمم الجبال والسعف يقصد به النخل حيث منطقة بيشة والوديان رينة وتربة وربما يمتد التحديد إلى وادي الدواسر هذا من جهة الشرق والشمال الشرقي. أما على سواحل البحر الأحمر الحد الغربي لمنطقة عسير فتمتد حدودها من الموسم جنوبًا إلى الليث شمالاً هذا التحديد الطبيعي لإقليم عسير تسكنه قبائل كبيرة وكثيرة العدد تدين جميعها بالمذهب السني وتتبع في معظمها المذهب الشافعي، وقليل من الحنابلة خاصة في الجهات الشرقية من الإقليم حيث تأثروا بالمذهب الحنبلي المذهب السائد في نجد.

أما عسير بالمفهوم القبلي الأكثر تحديدًا، فهي الأرض التي تسكن عليها عسير القبيلة بفروعها الخمسة الرئيسة وهم بني مغيد ومنها: حكام الإقليم طوال فترة تاريخ

عسير الحديث. وعلكم وبني مالك وربيعة ورفيدة ورجال ألمع، وهي أي قبيلة عسير والتي أصبح الإقليم يعرف باسمها منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي، فتحتل رقعة من الأرض بموجب حدود معروفة ولكل بطن من هذه القبيلة أرضها الخاصة بها بموجب حدود معروفة أيضًا، وقبيلة عسير تنقسم إلى قسمين، قسم يسكن السرات والقسم الآخر يسكن في تهامة والقبائل الكبرى التي يتشكل منها إقليم عسير هي قبيلة قحطان ببطونها وفخوذها وعشائرها الكثيرة، وقبيلة شهران بفروعها المتعددة، وقبيلة عسير التي سبق الإشارة إليها وقبائل رجال الحجر وتشمل هذه الأخيرة (بللحمر وبللسمر وبلقرن وشمران وبني شهر وبني عمرو) ثم غامد وزهران في أقصى شمال الإقليم ووادعه وسنحان إلى أقصاه من جهة الجنوب.

وحدة القبيلة، أيها السادة، هي الوحدة السياسية في مجتمع عسير ولكل من القبائل الكبرى السالف ذكرها شيخ كبير ويسمى شيخ الشمل ينضوي تحته عدد من الأمراء أو الشيوخ، وذلك في أوقات الحروب فقط وخاصة الحروب التي تهدد أمن القبيلة بأكملها أو تهدد أمن الإقليم بشكل عام. وهؤلاء الأمراء يرأسون بطونًا كبيرة من القبيلة الأم لهم الحق في توقيع اتفاقيات تحالف مع من شاءوا من القبائل الأخرى حتى وإن كانت في حالة عداء مع أحد فروع القبيلة الأم كتحالف الحاف ووقشة مع قبيلة بني مغيد من عسير في عام ١٢٥٢هـ، ومن المعروف بأن الحاف ووقشة فخذ رئيسي من قبيلة رفيدة أحد بطون قحطان الكبرى. كما أبرمت القبيلة السالفة الذكر نفسها معاهدة مسالمة وحسن جوار مع قبيلة آل رشيد أحد البطون الرئيسية لقبيلة شهران في عام ١٣٠٠هـ لمدة اثنتا عشر شهرًا قابلة للتمديد، مع أن الأخيرة كانت في حالة عداء مع قبيلة ذعي وبني قيس القبيلة الرفيدية.

من هذا نعرف أن القبيلة تشكل وحدة سياسية مستقلة في شئونها الداخلية وكذلك علاقتها الخارجية حرة في عمل ما تراه يخدم مصلحتها إلا في حالة تعرض البلاد

أو الإقليم لغزو أجنبي كما حدث في بداية الربع الأول من القرن التاسع عشر أثناء تعرض الإقليم للحملات التركية المصرية وأثناء الغزو العثماني لمنطقة عسير في عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧٢م والقضاء على إمارتها نهائيًا، وإقامة نظام عثماني على أنقاضها.

مفهوم القبيلة في منطقة عسير:

مفهوم القبيلة في منطقة عسير غير مفهوم القبيلة لدى البعض من منظري علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ذوي الاتجاه الاستشراقي وخاصة الرومانسيين منهم الذين يعتقدون أن كل القبائل في الجزيرة العربية بدوية في نمط حياتها القائم على الترحال، وطريقة معيشتها المعتمدة على الرعي وهذا مفهوم خاطىء من حيث التعميم. فمفهوم القبيلة في منطقة عسير يختلف تمامًا، إذ أنه مفهوم سياسي اقتصادي اجتماعي لسكان مستقرين - إذا استثنينا نسبة البادية التي لا تزيد على ٢٠٪ وربما أقل من ذلك، تحكمهم قوانين ونظم غاية في الدقة والتنظيم، وذلك من خلال ما يشبه المؤسسات الممثلة في الفئات المنتخبة من كل قرية أو مجموعة سكانية التي تتكون منها القبيلة، كما ستأتي الإشارة إليه.

وقد أدرك ذلك المعنيون بأمر السياسة سواء في العهد العثماني أو العهد السعودي حينما راعوا في التوزيع الإداري لمنطقة عسير التوزيع القبلي المتوارث لما يمثله من مظهر سياسي واقتصادي اجتماعي تتوافر فيه الوحدة الجغرافية والانتماء الجمعي للسكان والمصالح المشتركة. فنظرة على الخارطة الإدارية لمنطقة عسير تكفي عن التوسع في شرح هذا الموضوع الذي قد يستغرق منّا وقتًا طويلاً فيما لو فصّلنا، وهذا ما لا يسمح به وقتنا المحدود.

التنظيم السياسي والاقتصادي للقبيلة:

أشرنا إلى أن الوحدة السياسية في منطقة عسير هي القبيلة، وأشرنا إلى أن القبيلة تنقسم إلى عدة بطون يرأس كل بطن شيخ أو أمير، وتنقسم هذه البطون إلى فخوذ وتنقسم الفخوذ إلى عشائر وتسكن هذه العشائر الحضرية منها قرية أو أكثر من قرية، ويرأس كل قرية نائب، وتكون كل قرية ما يشبه حكومة مصغرة يرأسها هذا النائب يساعده خمسة أشخاص أو ستة أو سبعة، غالبًا ما يمثلون الأسر الكبيرة في القرية ويسمون خمسة الجماعة أو ستة الجماعة أو سبعة الجماعة، ووظيفة مجلس عقال القرية برئاسة النائب هي حل كل ما ينجم في القرية من مشكلات وإصدار التشريعات لما فيه صالح القرية.

ولكل قرية أو مجموعة قرى تنتمي إلى عشيرة واحدة، بيت مال خاص بها موارده عشر الإنتاج الزراعي وعشر الثروة الحيوانية للقرية أو مجموعة القرى ويختار أعضاء مجلس القرية واحدًا من بينهم أو من يختارونه من سكان القرية للقيام بمهمة جباية العشور ويشترط فيه أن يكون من المشهود لهم بالعدل والأمانة، وقد حددت إحدى الوثائق المكتوبة الطريقة التي يتم بموجبها جباية هذه العشور، ويسمى جابي العشور العشار. والعشر الذي نتحدث عنه لا علاقة له بالزكاة التي سنها الدين الإسلامي الحنيف.

بالإضافة إلى العشار هناك شخص آخر يتم اختياره بالطريقة التي يتم فيها اختيار العشار هذا الشخص كسلفه، له وظيفة محددة، وهي ضبط وتوزيع الواجبات الاجتماعية داخل القرية خاصة في المناسبات الاجتماعية التي تشهدها القرية في حالتي أفراحها وأتراحها، ويسمى هذا الشخص المدول.

يجتمع مجلس القرية كلما دعت الضرورة إلى اجتماعه وغالبًا ما يكون الاجتماع بعد صلاة الجمعة مباشرة ويتم التنويه إلى الاجتماع بعد فراغ الإمام من الصلاة بصوت مسموع داخل المسجد، ويتم الاجتماع في الساحة القريبة من المسجد والدعوة إلى الاجتماع تتم إما بناء على رغبة النائب إذا كان الأمر يهم الجميع أو بناء على رغبة أي فرد من أفراد القرية إذا كان لديه أمر ما يريد عرضه على مجلس القرية، وفي كلتا الحالتين لا يقتصر الاجتماع على أعضاء مجلس القرية أو كبار القرية فقط، إنما يكون اجتماعًا عامًا يحضره كل أفراد القرية وكأنه في هذه الحالة يشبه الجلسة العمومية. وللمناقشة والمداولة والمحاورة أصول نظمها العرف أو القانون العرفي وحدد الغرامات والعقوبات لمن أساء أدب المحاورة والمناقشة مع ضمان حرية إبداء الرأي. فإذا ما استعصى أمر على النائب رفعه إلى أمير القبيلة الذي من صلاحياته الأمر بالسجن أو إنزال العقوبة التعزيرية كالجلد فقط.

أما الأمور الشرعية فمردها إلى القاضي الشرعي مثل قضايا المواريث وعقود النكاح والتنذير في الجروح وغيرها ولكل قبيلة قاض يصرف عليه من قبل القبيلة نفسها حسب قوانين ونظم حددها القانون العرفي، وذلك طبعًا قبل توحيد بلادنا بزعامة الملك عبدالعزيز، وغالبًا ما يكون القضاة من الأشراف الذين يتمتعون بوضع خاص في المجتمع العسيري فبالإضافة إلى القضاء يقوم هؤلاء الأشراف بوظيفة التعليم.

مجلس القبيلة أو مجلس النواب:

يدعو أمير القبيلة إذا دعت الضرورة إلى انعقاد مجلس النواب (جمع نائب) أي نواب القرى الذين تحدثنا عنهم توًا للمداولة في أي أمر يهم القبيلة بجميع تجمعاتها القروية، وغالبًا ما يكون انعقاد مجلس النواب في منزل الأمير أو سوق القبيلة، فمجلس نواب القبيلة مخول بسن القوانين الخاصة بالأسواق وعلاقة القبيلة مع القبائل المجاورة أو في حالة إبرام سلم أو إعلان حرب على مستوى مجاوريهم من القبائل الأخرى.

ملكيـة الأرض:

تشكل الزراعة في منطقة عسير المهنة الأولى للسكان - إذا استثنينا نسبة البادية - لكثرة الأمطار، وتميز الموقع الجغرافي، والأغلبية العظمى من العسيريين يملكون أراضٍ زراعية والأقلية البسيطة التي لا تملك تعتمد في عيشها على ما ينتجه المزارع، والذين لا يملكون هم فئة الحرفيين والمهرة من الصناع كالحدادين والخرازين والنجارين والحائكين الذين يوظفون مهاراتهم في خدمة الزراعة مقابل حقوق ضمنها لهم القانون العرفي من المحصـول الزراعي، وكذلك فئات التجار والوسطاء والجمالة والكيالة وغيرهم فإنهم يعتمدون على مزاولة التجارة القائمة على الزراعة أو من أجل خدمة المزارع الذي يأتي في أعلى هرم السلم الاجتماعي.

من هذا ندرك أن الأرض هي محور الحياة العامة للإنسان العسيري، ومن هذا نعرف سر ارتباط الإنسان العسيري بأرضه وعظم اعتزازه بها، وما يناله من عار وعيب وإهانة وسقوط اجتماعي إذا ما فرط فيها، إما بالإهمال أو بالبيع الذي يعد من أشنع ما يمكن أن يقترفه الإنسان من عار لا يستره منه إلا الموت أو الهجرة إلى مكان آخر خارج الإقليم. وعمق هذا التـلاحم العضـوي بين الإنسان وأرضه ولد فراطة الإحساس الوطني لدى الإنسان العسيري الذي تجلى في مواقفه البطولية دفاعًا عن تراب أرضه أمام هجمات الغزاة من مصريين وأتراك وإيطاليين ومرتزقة، غُرست هذه المشاعر في نفوس أجياله ماثلة قوية حتى يومنا هذا فيما يبذلونه من تضحيات جسام وتفان في خدمة الدين والوطن والدفاع عنه بأغلى ما يملكونه.

ملكية الأرض في منطقة عسير:

تنقسم ملكية الأرض في منطقة عسير إلى قسمين، ملكية خاصة وملكية عامة فالملكية الخاصة هي ما يملكه الإنسان أو الفرد من أرض يزرعها لنفسه، وكل الملكيات الخـاصـة معروفة مسـاحتها بمعرفة هيئة مختصة لهذا الغرض ويقوم بالمسح أشخاص

مختصـون في هذا المضمار وهم قلة إذ أنه عمل دقيق، وقليل من يتقنه، ولعل هؤلاء المختصين بهذا الفن قد انقرضوا، أو في أعمار متقدمة جدًّا. والفرد يقوم بواجباته الوطنية والاجتماعية بقدر ما يملكه من الأرض، لذا فإننا لا نرى وجودًا للملكيات الواسعة للأفراد، ربما هربًا من الالتزامات الاجتماعية وضخامة التبعية كلما زادت ملكيته من الأرض.

أمـا الملكيات العـامة أو المشاعة شيوعًا له طابع الخصوصية يقربها من الملكية الجماعية، وهي ما تسمى بالمحاجر (جمع محجر) أو الأحمية جمع حمى، فهي ملك للقبيلة كلها وهي تشبه ما نسميه في وقتنا الحاضر بالمرافق العامة، وغالبًا ما تكون هذه المحاجر أو الأحمية منـاطق شجرية وغابات وأحراش يستفاد منها للرعي والاحتطاب. وأيضًا مصادر لمياه السيول، وتنطبق عليها القاعدة القائلة «الناس سواسية في ثلاث» «الماء والكلأ والنار» بالإضافة إلى أنه يُستفاد منها في أغراض أخرى حددتها أنظمة الأحمية التي وضعت وفق نظام دقيق، فالأنظمة أو القوانين العرفية تمنع قطع الشجر الأخضر ليس هذا فحسب، بل حددت هذه الأنظمة أيامًا معينة في السنة لتهذيب الأشجار، وأيضًا غرسها في مناطق الأحمية ومنع الرعي فيها في أوقات معينة خاصة على أنواع معينة من الماشية مثل الماعز.

وتقوم القبيلة أو العشيرة أحيانًا بحبس جزء من أرضها المشاعة وقفًا على الأعمال الخيرية كأن تكون وقفًا على مسجد كما هو الحال بالنسبة لمسجد الرهوة في شعف شهران والذي يعد واحدا من أكبر المساجد في منطقة عسير وأقدمها. أما بيت مال العشيرة الذي يشرف عليه خمسة الجماعة أو ستة الجماعة أو سبعة الجماعة، الذين سبقت الإشارة إليهم فيقع في وسط القرية وله بناء مميز وله أكثر من مفتاح، بقدر أعداد الهيئة المشرفة عليه، وهي في الوقت نفسه الهيئة المسئولة عن تحديد وجوه الإنفاق، كما حددها العرف وهي كثيرة منها تجهيز الغازي ورفدة المنكوب سواء من العشيرة أو خارجها وإقراء الضيف

الذي لا يخص فردًا بعينه من أفراد العشيرة ومساعدة ابن السبيل والإنفاق على الأعمال الخيرية ذات المصلحة المشتركة كبناء الطرق في الأماكن الوعرة وإقامة المساجد والغرف الملحقة بها لإيواء الغرباء وأبناء السبيل والإنفاق على زوجة وأولاد الغازي حتى يعود وتزويده بمئونة إذا طال أمد مغزاه، وحتى الأكفان توجد في بيت مال العشيرة احتياطًا لأية حالة وفاة طارئة، وكذلك كمية من المؤمن الغذائية القابلة للخزن احتياطًا للطوارىء.

الأسواق ونظمها:

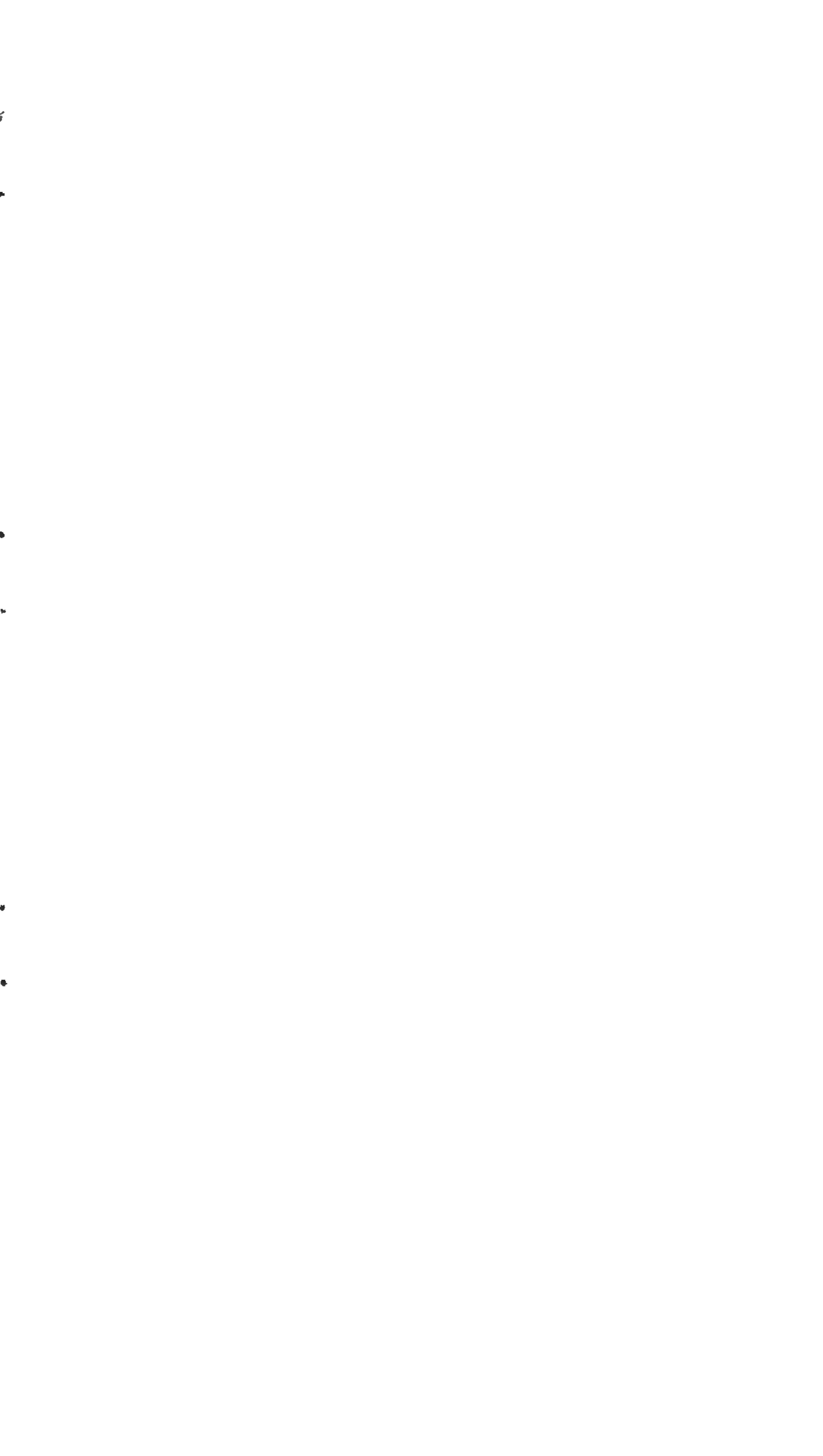
للأسواق في حياة المجتمع العسيري أهمية قصوى، ففي هذه الأسواق يصرف السكان منتوجاتهم الزراعية ويشترون ما يحتاجونه، هذا بالإضافة إلى ما للأسواق من وظائف أخرى اجتماعية وتعليمية وسياسية، قد يطول بنا الحديث لو فصلنا عن الأسواق ووظائفها والأسواق في منطقة عسير ثلاثة أنواع: أسبوعية، وفصلية، وسنوية. فكان يوجد في منطقة عسير بمفهومها الإداري الحالي ٧٦ سوقًا أسبوعيًا تخدم ٢٩٤١ قرية في السراه و٢٠٦٨ قرية في تهامة، والأسواق الفصلية هي ما كانت تقام في نهاية الفصول في بعض المناطق، أما السنوية فهي تلك الأسواق التي تسبق شهر الحج وتتزامن مع مرور قافة الحج اليمنية؛ وتسمى أسواق العصبة. ومن أسواق العصبة المشهورة سوق الحرجة في بلاد سنحان وسوق درب العقيدة في بلاد رفيدة وغيرها. إضافة إلى كل ما سبق فهناك باعة متجولون على القرى وغالب هؤلاء الباعة من النسوة.

حماية السوق:

لدى سكان منطقة عسير مثل شائع يقول «من نص سوق أمنه» فأهم الشروط لإقامة السوق توفير الحماية للسوق ولمرتاديه، ولتأسيس السوق شروط دقيقة أهمها ما يختص بالأمور الأمنية ثم إذا تم الاتفاق على تأسيس السوق وذلك بتحديد مكانه

بأعلام معروفة لما لهذا التحديد من علاقة بالشئون الأمنية حيث يراعى أن يكون موضع السوق في مكان تشترك في ملكيته القبيلة المعنية بحمايته، وضعت له قوانين دقيقة تقنن طريقة البيع والشراء والتعامل والسلوك، وتسمى الأسواق الأسبوعية باسم اليوم الذي يقام فيه السوق كسوق الأحد أو الإثنين أو الثلاثاء أو الخميس يضاف إلى اسم اليوم أحيانًا اسم «حامي السوق».

صفحات من قصص البطولة الوطنية في القرن التاسع عشر(*)



صفحات من قصص البطولة الوطنية في القرن التاسع عشر(*)

صمود بيشة وكفاحها الأسطوري

بدأ اهتمام الغربيين بالجزيرة العربية منذ قيام الدولة السعودية الأولى داعية لمبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية ومدافعة عنها. فقد كانت تلك الدعوة الإصلاحية ثورة ضد ما علق بالإسلام من خرافات لاتمتّ إليه بصلة ودعوة الناس للعودة إلى تعاليم الدين الإسلامي كما كان في عهد السّلف الصّالح.

كان قادة الحركة الإصلاحية وأتباعها مُخلصين فيما يدعون إليه، لا يُجاملون في قول كلمة الحق، ولا يَخشون أحدًا من الناس، ما دامت دعوتهم خالصة لوجه الله.

أحدث ظهور هذه الحركة وقيام الدولة السعودية الفتية، ردود فعل عنيفة داخل وخارج الجزيرة العربية، وخاصة في أوساط الدول الأوربية الاستعمارية سواء منها ذات المصالح في هذه المنطقة أو المتطلعة لأن يكون لها نفوذ فيها.

(*) مقالة نشرت في مجلة الحرس الوطني في شهر رجب ١٤٠٥هـ/ أبريل ١٩٨٥م.

وكانت بريطانيا تمثل الحالة الأولى بما لها من مصالح تجارية في الجزيرة العربية وفي شرقها بشكل خاص ممثلة في مكاتبها التجارية في كل من الكويت والبصرة و«خرمشهر». كانت حريصة على ما هو أهم من ذلك وهو الحفاظ على طرق تجارتها الموصلة إلى الهند عبر البحر الأحمر، وعبر الصحراء الشمالية الشرقية ما بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي وهو الطريق البري المهم الموصل ما بين هذين البحرين.

أما الحالة الثانية فتمثلها فرنسا بما لها من طموح، وتديرها زعامة «نابليون بونابرت» في إنشاء إمبراطورية في الشرق مركزها مصر، وقد وضح ذلك من حملته المشهورة على مصر، سنة ١٧٩٨م. ودخوله في مراسلات مع بعض أفراد وشيوخ الجزيرة العربية آنذاك، كل هذا أدى إلى مجابهة مع بريطانيا، ودخوله في صراع طويل معها، وبذلك نقل المستعمرون صراعاتهم من الساحة الأوربية إلى الساحة الشرقية، في تنافس استعماري، انتهى بنهاية نابليون نفسه في معركة «واترلو» التي انتصرت فيها بريطانيا.

أصبحت بريطانيا نتيجة هذه الظروف تدرك أهمية الشرق الأوسط والجزيرة العربية بصفة خاصة، لما لموقع الجزيرة من أهمية في خدمة مصالحها الاستعمارية وربما أن الدولة السعودية الأولى، بما تحمله من أهداف دينية وقومية لا تعترف بحدود تحدّ من نشر مبادىء دعوتها الإصلاحية، فقد امتدّ نفوذها إلى مناطق الخليج العربي وإلى البصرة وكربلاء، بل وأصبح لها أنصار أقوياء في بغداد وبلاد الشام. فضلاً عن وصول نفوذ دعوتهم الديني والسياسي إلى جميع الشواطىء الشرقية للبحر الأحمر وإلى حضرموت وأجزاء كبيرة من اليمن. كما أصبح لهم نفوذ على إمام اليمن في عاصمته صنعاء.

ونتيجة لانتشار نفوذ الدعوة في كل من هذه الأجزاء، فقد تضررت مصالح

الدول الأجنبية وأدركت أن هناك خطرًا يُهدّد مصالحها، بقيام هذه الدولة العربية الفتية، التي تذكرهم بقيام أول دولة للعرب تحت قيادة الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين من بعده.

لذا فقد ازداد اهتمام الأوربيين سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الأفراد بمعرفة المزيد عن أحوال الجزيرة العربية، وطبيعة الأوضاع بها والدوافع المحركة لتلك الحركة الإصلاحية.

سارع «قناصل» الدول الأوربية المقيمون في المنطقة، لاسيما «قناصل» فرنسا وبريطانيا في كل من بغداد وحلب وجدة والمخا والحديدة وخرمشهر وبيروت برفع التقارير المطولة عن طبيعة الدعوة ونظمها السياسية والعسكرية، تلك التقارير التي تعج بها دور المخطوطات في كل من لندن وباريس وغيرهما من عواصم الدول الأوربية.

شارك في رفع التقارير أيضًا، الوكلاء التجاريون البريطانيون في الخليج العربي والبحر الأحمر، كما شارك ممثلو شركة الهند الشرقية الشهيرة والضليعة في الأمور الاستعمارية، وكذلك قباطنة السفن التجارية والحربية البريطانية الذين بدورهم كانوا يرفعون إلى حكوماتهم تقارير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية في موانىء البحار المحيطة بالجزيرة العربية.

أما النوع الثاني من المهتمين بأمور الجزيرة العربية فهم أولئك الأفراد الذين امتهنوا الاستشراق في المعاهد العليا والمؤسسات العلمية ببلادهم واستهوتهم المغامرة في سبر أغوار عالم كان بالنسبة لهم في حكم المجهول وهو عالم الجزيرة العربية، إلى أن قامت الدولة السعودية الأولى وما حدث من تطورات سياسية نتيجة لقيامها.

ولقد قدم إلى الجزيرة العربية عدد كبير من المستشرقين والمغامرين كان في مقدمتهم «علي بك العباسي» الرحالة الأسباني الجنسية الذي تمكن من دخول مكة في عهد الشريف غالب بن مساعد مدعيًا الإسلام وكان أول من سجل لنا أحداث تلك الفترة واتهم فيما بعد بأنه كان «عميلاً لفرنسا».

سبق ذلك الرجل من الرحالة الأجانب في العصر الحديث «كريستيان نيبور» الرحالة الدنمركي الذي زار الجزيرة العربية في سنة ١٧٦٢م، زار جدة وجيزان والحديدة والمخا وصنعاء، ثم اتجه إلى الخليج العربي والعراق حيث قدم لنا كتابًا كتبه بعد عودته إلى بلاده يعتبر أجود ما وصل إلينا من أخبار الجزيرة العربية في تلك الفترة، كان أول من نبه من الأوربيين إلى أهمية ما يحدث في وسط الجزيرة العربية من قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية.

ثم جاء الغزو المصري التركي للجزيرة العربية في سنة ١٨١١م (١٢٢٧هـ) حيث فتح محمد علي حاكم مصر أبواب جزيرة العرب لكثير من الأوربيين من جنسيات مختلفة منهم العاملون في صفوف جيشه وجلهم من الفرنسيين، نتيجة للروابط الحسنة التي كانت تربط نظام محمد علي بفرنسا. كان أحد الرحالة الرواد الذين قدموا بعد دخول محمد علي إلى الحجاز الرحالة الشهير «لويس بوركهاردت» السويسري الأصل الإنجليزي الجنسية، الذي قدم لنا أحسن ما كتبه الرحالة الأجانب عن الجزيرة العربية وخاصة عن الدولة السعودية الأولى. وذلك في مجلدين أحدهما بعنوان «ملاحظات عن البدو والوهابيين».

ويعد هذا العمل من أهم المصادر الرئيسية لتاريخ الجزيرة العربية الحديث، طبع في لندن ١٨٣٠م.

والثاني بعنوان «رحلة في بلاد العرب» طبع في لندن ١٨٢٩م.

وقد كتب الكثير عن الرواد الأوائل من الرحالة الأجانب، الذين زاروا الجزيرة العربية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، كتاب البروفيسورة «جاكلين بيرين» أستاذة الدراسات الشرقية بجامعة السوربون في كتابها اكتشاف الجزيرة العربية الذي ترجمه إلى العربية قدري قلعجي وقدم له الشيخ حمد الجاسر. طبع في بيروت ١٩٦٣م وكتاب «الرحالة الأوربيون في الجزيرة العربية» تأليف الدكتور «روبرت بدويل» سكرتير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كمبردج وكثير من المقالات التي نشرت في السنوات الأخيرة منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو بلغات أخرى.

والذي يهمنا في هذه المقالة هو كتاب الرحالة الفرنسي موريس تماسيه بعنوان «رحلة في بلاد العرب» طبع في باريس ١٨٤٠م[1]. وصل هذا الرحالة الشاب إلى الحجاز في عام ١٨٣٣م قادمًا من القاهرة مرافقًا لحملة أعدها محمد علي باشا لمهاجمة عسير، كواحدة من سلسلة الحملات التي تعرضت لها تلك المنطقة والتي لم تتعرض أي منطقة أخرى في الجزيرة العربية لمثل ذلك القدر الكبير من الحملات. تلك الحملات التي أشار إليها المؤرخ الأمريكي «بيلي وايندر» في كتابه الذائع الصيت «تاريخ الدولة السعودية في القرن التاسع عشر» ذكر أنها تزيد على ست عشرة حملة.

قسم موريس تماسيه كتابه إلى قسمين تناول في الأول أخبار رحلته منذ مغادرته القاهرة إلى أن استقر به المقام في الحجاز قبل توجهه إلى عسير ككاتب للبعثة الطبية للحملة العسكرية التي كان يترأسها كل من أحمد باشا ابن أخت محمد علي وحاكم الحجاز. والشريف محمد بن عون شريف مكة آنذاك، كان قوام أفراد الحملة يزيد على تسعة عشر ألف جندي.

أمـا القسم الثاني من كتابه فقد خصصه لأحداث تلك الحملة ووقائعها على شكل يوميات. ويعتبر ما ورد فيها من أخبار من المصادر التي لاغنى عنها لأي باحث أو دارس لتاريخ هذه الفترة من بلادنا.

لقد سجل لنا هذا الرحالة كل مشاهداته وملاحظاته على مجريات الأحداث أثناء تلك الحملة، وقدم لنا أيضًا فكرة طيبة عن خلفيات تلك الأحداث معتمدًا على الحوار المباشر مع من شارك في صنعهـا، مثل كبار القوم، والمهتمين بأمور الجزيرة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقال: إن هذه كانت أنجح الوسائل لتدوين أخبار ما جرى من أحداث.

ويسرني أن أقـدم للقارىء الكريم فصلاً من كتاب ذلك الرحالة، كتبه أثناء توقفه في مدينة بيشة، هذا الفصل الذي يمثل جانبين: قصة كفاح سكان مدينة بيشة ضد احتلال قوات محمد علي لها ومحاولاتها المتكررة لإحكام سيطرتها عليها، أثناء الفترة ما بين ١٨١١م و١٨٣٤م. وصفحة من تاريخ مدينة بيشة في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

تاريخ مدينة في قصة رجل

كتب الرحالة الفرنسي «موريس تماسيه»[٢] في خلال تسجيله لحودات شهر يوليو من عام ١٨٣٤م التي عاصرها أثناء وجوده في بيشة مرافقًا لحملة أحمد باشا المتجهة لغزو عسير، كتب مقابلة مع الشيخ علي الصعيري أحد قادة بيشة ضمنها الفصل الثامن عشر من كتابه «رحلة في بلاد العرب» وفيما يلي ترجمة للنص الكامل لتلك المقابلة:

(علي الصعيري[٣] رجل معتدل القامة وبالرغم من تقدمه في السن الظاهر الذي يعاني منه، لا يزال يبدو بمظهر المحارب. يمشي هذا البدوي حافي القدمين إلا أنه في

حالات نادرة ينتعل حذاءه المصنوع من جلد البعير وهو في الوقت نفسه الحذاء التقليدي لأبناء منطقته يرتدي صدرية من القماش الخشن، وثوبًا من القماش الرخيص، أما غطاء رأسه فهو غترة مربوطة بقطعة قماش بيضاء. ولعلي الصعيري ولع جنوني في حمل سيفه في يده دائمًا، ولم يحبذ قطعيًّا ارتداء الحزام الأوربي أو الشرقي المزين بالحرير. كان لا يزور أحدًا أو يقوم أحد بزياراته إلا وسيفه - ذو الصناعة الفارسية أمامه. لقد كان لولع هذا الشيخ بسيفه سبب أسطوري إلا أنه لا يرضى الآن عوضًا عنه عشرة آلاف ريال فرنسي (تالارين) بالرغم من أنه اشتراه بأربعين ريالا فقط.

لعلي الصعيري رأس جميل التكوين وله عينان سوداوان تشعان بريقًا ولهما رموش صبغها الكحل بالسواد، أنفه مقوس. أما ذقنه فتميل إلى الدقاقة وفمه متوسط، لحيته بيضاء كثة وعندما قدمت لهذا الشيخ كتيبًا أوربيًّا كتبت عليه اسمي، كان لذلك أثر كبير في نفس الشيخ، فوعدني أن هذا الكتيب سيذكره بأن يعامل كل رحالة فرنسي يعبر حدود قبيلتـه كأخ أو صديق وسرد لي علي بنفسـه قصة حياته ومعاناته بالطريقة التي أوردها لكم الآن:

كنت مازلت شابًا عندما ترك محمد علي[4] ضفاف النيل الجذابة، دافعًا بنفسه إلى بلادنا الصحراوية، تحفزه الإرادة الجامحة إلى إخضاعنا لحكمه. وأقسم البدو الذين لاتنقصهم الشجـاعـة والحـماس الـوطني أن يحاربوا العدو حتى الموت، حفاظًا على حريتهم واستقلالهم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لم يشأ أن يرجح ميزان الحرب في صالحنا.

قام محمد علي بإلقاء القبض على رجالنا ومصادرة أموالنا وأجبرنا على المخاطرة بحياتنا من أجله[5]. ولعل هذا ما قد كتبه الله لنا في صحيفة القدر بعد أن مكث محمد علي في بيشة عدة أيام متباهيًا بنصره، اتجه إلى جبال عسير وأجبرنا على مرافقته إلى ذلك

الإقليم، وساعدناه في القضاء على أبناء بلادنا، وبعدها عاد محمد علي محمّلاً بالغنائم إلى مقر ولايته على عجل حيث تناهت إليه أخبار مفادها أن السلطان سيعين واليًا على مصر بدلاً منه. هكذا سمعنا من أحد الرواة(٦).

في السنة التالية، ثارت جميع القبائل الخاضعة لحكمه العسكري ورفضت دفع الضرائب التي كان قد فرضها عليهم، لأنه كان أمرًا مؤلمًا لهم أن يضحوا بأغلى ما يملكون، أنفسهم وأموالهم، من أجل أجنبي تركي مستبد. قام حسن باشا حاكم الحجاز بإبلاغ سيده في مصر عن تطورات الأوضاع في جبالنا، فبعث له محمد علي بقوات من أجل إخضاعنا لطاعته، وسرعان ما قام حسن باشا على رأس جيوشه متقدمًا نحو بلادنا، أخبرتنا عيوننا - بصفة سرية - بأن العدو يمتلك جيشًا قويًا قوامه جنود المشاة وفرق الخيالة. تلك الأخبار لم تروعنا بل على العكس ضاعفنا استعداداتنا الحربية، فجمعنا قوات القبائل وأقمنا القلاع التي مازالت أطلالها بادية للعيان من هنا، وملأنا مخازنها بالمؤمن التي تكفي لمدة شهرين، وحفرنا آبارًا في أفنية القلاع لتزويد المحاربين بالماء الكافي.

منذ الحرب الأخيرة اكتسبت بعض التجارب وأصبحت مؤهلاً لتولي أعلى مرتبة في جيش البدو. وفي اليوم المحدد أصبح جنودنا جاهزين تحت إمرة رؤسائهم، منهمكين ما بين منظف للرماح والحراب أو مشتغل بصقلها أو مشغول في إصلاح السروج، وإطعام الخيول بأجود ما تشتهيه من الطعام المؤلف من مقادير كبيرة من الحليب واللحم.

المعركة والحصار

بينما كان الشوخ يناقشون ويخططون «استراتيجية» الهجوم كان الجميع يتحرقون حماسًا وغيرة.

بعد صلاة الفجر من أحد الأيام، ثارت سحابة من الغبار، معلنة عن وصول جيش العدو، لقد قابلنا الهجوم بهجوم معاكس جنوني، ولكن النتجية كانت بانهزامنا أمام صلابة جيش حسن باشا.

بعد هذه الهزيمة الموجعة تراجع أبناء القبائل بسرعة تفوق سرعتهم عند الهجوم، بعد ذلك خيم على هذه الأماكن صمت رهيب، فبعدما كنت تسمع صرخات الحرب أصبح يتخلل هذا الصمت تمازج أغاني نشوة النصر الممتعة للمنتصر، بأنات الألم للمهزوم.

بذلت جهودًا مضنية حتى جمعت أربعمائة رجل[٧] وتحصنا في القلعة[٨] كآخر أمل للنجاة من تسلط جيش حسن باشا.

الاعتقاد السائد عند الناس في بلادنا «أن الأقوى هو الأجدر بالاحترام» لقد خضعت القبائل بالرعب تحت رايات العدو، وعلى الفور أبلغ حسن باشا بأنني كنت المسئول الوحيد المحرك للتمرد، وشعرت حالاً بأن لا أمل في نجاتي، ولذلك صممت على البقاء في قلعتي مفضلاً الموت وسلاحي بيدي على الموت بطريقة مخجلة.

بعد يومين من الهجوم، استعاد الأتراك قواهم على أثر الإنهاك والتعب. بعث إلي حسن باشا بأحد ضباطه كوسيط. كنت في فناء القلعة عندما أبلغني الحارس عن وصول ذلك الضابط وسألني هل يطلق عليه النار؟.

ذهبت إلى أحد المتاريس مراقبًا حركات الضابط التركي، حتى اقترب من سور القلعة، ثم رمى «بجراب» معلق بأحد أطرافه ورقة مطوية، ثم اختفى بعد ذلك عائدًا ممتطيًا جواده بسرعة فائقة.

فتحت الرسالة، وقرأت كلماتها الآتية:

«علي الصعيري، عليك بالاستسلام قبل غروب الشمس، وإلا فستكون هذه آخر ليلة في حياتك».

لم أخبر أحدًا بمضمون هذه الرسالة وقبل صلاة المغرب من اليوم نفسه عاد الضابط مرة أخرى، ممتطيًا جواده، وما أن رأيته حتى رميت له «الجراب» محتويًا ردي على رسالة حسن باشا. كان خطابي يحمل الرد التالي:

«تعرف أن أسوار هذه القلعة مبنية من الطين، ولكن ثمة شيئًا حقيقيًا تجهله، وهو أن سواعدنا مصنوعة من الحديد».

في الصباح التالي شاهدت مائة جندي من مشاة العدو، وكلهم مسلحون بالبنادق يتقدمون طليعة جيش حسن باشا الذي جاء يقود بقية جيشه باتجاه قلعتنا التي سيجعل منها بعد احتلالها مقرًا لقيادته، لم أكن أستغرب قراره هذا، لأنني توقعته، ولكن الذي آلمني أكثر أن أرى أبناء بلدي منضمين إلى قوة العدو للقضاء علينا.

اكتفى العدو في يومه الأول من الهجوم على قلعتنا باستخدام البنادق التي لم يكن لها تأثير على موقعنا مطلقًا. يبدو أن قائد جيش العدو كان حذرًا من زج أفراد جيشه كله في الحرب ضدنا.

في اليوم الخامس من الحصار، بدأت مدفعية الأتراك تقذفنا بقنابلها ولسوء الحظ لم نكن قادرين على الرد على العدو بالطريقة نفسها لأن بدو هذا الإقليم من الجزيرة العربية لا يمتلكون المدافع دائمًا، ولذا كنت أعاني بمشقة، رقع الثلمات التي يحدثها القصف المدفعي المرعب تلك الآلة المدمرة التي اخترعها أبناء جلدتك[٩].

وفي أحد الأيام كنت منهمكًا في قراءة القرآن الكريم في غرفة كنت خصصتها لنفسي. وفجأة سمعت صوتًا مروعًا فوق رأسي. فإذا بي أرى كتلة حديدية هائلة قد انفجرت. تسقط على بعد قدمين من المكان الذي كنت أجلس فيه، ثم أحدثت انفجارًا مروعًا أنقذني منه حارس من ملائكة الرحمة (لطف الله) واستمر الترك في قصف مواقعنا بالقنابل).

تركت مكاني حالاً وذهبت إلى أحد المتاريس. كانت معنويات رجالي على غير ما يرام. بل أقرب إلى التراجع، لذا وجدت لزامًا علي استخدام كل صلاحياتي لتحفيزهم على القيام بالواجب، علمت اثنين من أفراد عائلتي طريقة إبطال مفعول المتفجرات بسحب فتيل المتفجرة قبل أن تصل النار إلى الكبسولة. التي تحدث الانفجار.

تمكن هذان القرويان الموهوبان بشجاعة فائقة من القيام بوظيفتهما بكل إقدام ولكن بالرغم من إخلاصهما، انفجر كثير من القنابل التي أدت إلى خراب إضافي في قلعتي الضعيفة.

وبعد أن قاسينا أكثر من المعتاد من انفجار القنابل جمعت رجالي بعد ظهر أحد الأيام وقلت لهم (أيها الرجال، لقد وجدت طريقة تجنبنا أضرار هذه الآلة الجهنمية، الطريقة هي:

«أغلقوا منافذ مياه الأمطار في فناء القلعة» قاموا بتنفيذ أوامري دون أن يسألوني عما أنوي عمله وبعد إغلاق منافذ مياه الأمطار قلت لهم «اجلبوا الماء من البئر واغمروا به فناء القلعة، وما أن حان وقت الظهر، حتى أصبح كل الفناء مغمورًا بالماء بارتفاع ست بوصات وبينما كنا نقوم بهذا العمل كنا نسخر من قنابل حسن باشا. احتار العدو في عدم انفجار قنابله، وبدأ يتساءل عن السبب. كان أحد جنودي قد تزوج حديثًا من امرأة شابة جميلة جدًّا تربطهما علاقة حب قوية جدًّا أيضًا. تمكن هذا الشاب خلال

الليل من الذهاب لزيارتها سرًّا، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، قبض عليه جنود مدفعية العدو، بينما كان في طريقه إلى مكان عمله. أحضر إلى حسن باشا الذي أجبره على الإفضاء بمعلومات مهمة وافرة عما في داخل القلعة، بل أكثر مما شدد عليه في معرفة الخطة والطريقة التي استخدمناها لإبطال مفعول القنابل، وقد أجبر الشاب على الإفضاء بذلك السر، اندهش القائد بسماعه تلك الخطة التي انتهجناها، مما جعله يغير خطته كمحاولة أخيرة لإجبارنا على الاستسلام، أو مهاجمة قلعتنا. كانت خطته أن قام بحفر نفق يمتد من خارج أسوار القلعة برمتها، إلا أن ـ الله سبحانه وتعالى ـ أنقذنا، فقد هطل مطر غزير، غمرت مياهه النفق وأبطل مفعول المتفجرات، وقتل بعض الجنود الذين كانوا بالنفق فحمدنا الله ـ سبحانه ـ على نعمته تلك التي منّ بها علينا وأمرت بسد فوهة النفق مما يلي داخل فناء القلعة بالأحجار.

طوال فترة الحصار تمكنّا من قتل الكثير من أعدائنا وكنّا في الليل نرمّم ونسد الثغرات التي أحدثتها مدافع الأعداء بالنهار، وهي ثغرات كان الأتراك يأملون توسيعها، حتى يتمكنوا من اقتحام القلعة للقضاء علينا جميعًا غير أنهم كانوا يستغربون من سرعة سدّ وترميم تلك الثغرات.

الانتقام من الأشجار

وأخيرًا، بعد المحاولات المتعددة الفاشلة للسيطرة على القلعة بالقوة اشتاط حسن باشا غضبًا من إخفاق محاولاته، فكتب إليّ رسالة مع أحد فرسانه رميت بالطريقة نفسها السابق شرحها، كان مضمون الرسالة (إذا لم تستسلم في الغد فسأقوم بعقر كل أشجار نخلك).

هذه الأشجار التي هي هبة الله لأرضنا القاحلة، تحتاج إلى سنين طويلة من العناية الفائقة. هل سأبقى متفرجًا وعدوي الحقير يعقر تلك الأشجار.

الأشجار التي هي بالنسبة لي المصدر الرئيسي لسعادتي ورزقي وهي هويتي الوطنية. حتى ومع علمي بأنني سأحرم من كل هذا، فإنه لم يغير من موقفي قيد أنملة وبقيت مخلصًا لواجبي كجندي.

بكل ثقة وقناعة رددت على حسن باشا بالجواب التالي (لو كانت أشجار نخيلي مزروعة في فناء هذه القلعة لما تجرأت على عقر نخلة واحدة منها، وإذا كنت غير قادر على عمل أي شيء من أجل حمايتها، فإن إرادة الله هي الغالبة).

قام هذا البربري بتنفيذ إنذاره، أما أنا فقد صعدت إلى شرفة القلعة لكي أكون شاهدًا على هذا المنظر وأحسست كأن كل ضربة من ضربات تلك الآلة الفتاكة توجه بكل ثقلها إلى قلبي.

قاربت ذخيرتي على النفاد، بالإضافة إلى أنني فقدت كل الآمال في نجدة القبائل المجاورة، ولهذا أصبحت مضطرًا لوضع حدٍّ لهذه الحرب غير المثمرة وقبول شروط الاستسلام المشرفة التي كان حسن باشا يعرضها علي دائمًا.

بالإضافة إلى موقفي من التصدي لهذا العدوان لن يقيني من لوم بين قومي سيكرهونني جميعًا لأنني خسرت الحرب، ولكن لو كنت منتصرًا لمجدني كل إنسان. بعد قبولي لشروط الاستسلام باشرت والألم يحزّ في نفسي بغرس شتلات نخل جديدة على أنقاض الأشجار المقطوعة. وذلك قبل مرافقتي «لسيدي» الجديد حسن باشا في حربه ضد عسير. لم يسبق أن شعرت بوضاعة حياة القبائل المستقرة إلا خلال مثل هذه الحروب، فلو كنت بدويًا متنقلاً لكنت طويت خيمتي ومتاعي على ظهر جملي وذهبت بعيدًا في الصحراء لتحول بين الترك وبيني، فحين نرتبط بالأرض بقوة نقول: وداعًا أيتها الحرية.

تمكن حسن باشا من فرض السيطرة على عسير وإجبار الناس على دفع الضرائب، ثم عاد إلى الحجاز. أما أنا فقد عدت إلى بيشة حيث استرحت بعد الإنهاك المضني وباشرت في إصلاح ما أفسدته الحروب في وطني. وقبل أن يصل حسن باشا إلى مكة ثارت القبائل في منطقة عسير وأعلنت استقلالها ورفضت دفع الضرائب في السنة التالية. وبذلك أصبحنا «عصاة» مرة أخرى حسب مصطلح الأتراك اللفظي، أما بالنسبة لنا فلا نعتبره عصياناً بل جهاد من أجل الحرية التي افتقدناها في ظل الحكم التركي.

الهوامش

١ ـ كتبت المستشرقة جاكلين بيرين في كتابها «اكتشاف الجزيرة العربية» أثناء حديثها عن الرحالة «موريس تماسيه» وما كتبه عن عسير ما قالته تحت عنوان اكتشاف عسير «كان أكثر أقاليم الجزيرة العربية غموضًا على العالم العربي» وقال عنه المستشرق الإنجليزي «هوجارث» في كتابه «اختراق الجزيرة العربية»: كانت عسير نقطة بيضاء على خارطة العالم.

٢ ـ للأسف أننا لا نعرف عنه الكثير فلم يشر إلى شيء عن حياته في كتابه هذا، وكذلك الذين كتبوا عنه لم يذكر أحد تاريخ ولادته ولا متى بدأ اهتمامه بالشرق. أشار في مناسبات عابرة إلى أنه يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا وأنه كان يود دراسة الصيدلة وعلم النبات.

٣ ـ آل الصعيري أسرة عريقة من الأسر المعروفة في بيشة وهم رؤساء قبيلة بني سلول المشهورة المستوطنة في وادي بيشة إلى هذا اليوم وهي أسرة كبيرة عميدها في الوقت الحاضر الشيخ مشاري الصعيري.

٤ ـ محمد علي باشا والي مصر ١٨٠٥ ـ ١٨٤٩م.

٥ ـ لمزيد من التفاصيل عن أحداث هذه الفترة انظر محمد عبدالله آل زلفة «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على مقاومة القبائل العسيرية للحكم المصري التركي ١٨١١ ـ ١٨٤٠م «رسالة ماجستير جامعة كنساس ١٩٨٠م».

٦ ـ تنطبق هذه الرواية مع ما رواه المؤرخون لهذه الفترة مثل بوركهاردت وعبدالحميد البطريق وغيرهما.

٧ ـ لقد بالغ حسن باشا في تقريره بأن رفع عدد رجال القلعة إلى خمسة آلاف رجل. «تقريره إلى محمد علي باشا وثيقة رقم ١٩٦٩٧ ب تاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزارة استانبول.

٨ ـ أما القلعة فهي قلعة «الرقيطاء» المشهورة ومازالت بقايا من أطلالها ماثلة للعيان وبعض الأبراج قائمة في شكل سليم.

٩ ـ الكلام موجه للكاتب موريس تماسيه.

المُلحق رقم ١
مَلاحـــق المَوضوع الأول

الملحق رقم (١)
ملاحق الموضوع الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم ذلك من يراه والحاظر عليه بأنهم طلبوا آل رشيد جميع حظر ربعه وشكوا انه صار تعدي
بقطع الشجر الأخضر لا منهم ولا من من كان حواليهم من من عد يده في حطب البلد وصار
انا منعنا بيع الحطب من بلدنا ولا من من يحطب منه ان البيع ممنوع ويخلا يحطب
من الي بس لطعوه وجاره الذي عنده يحطب لبيته من الي بس وانهم على العوائد
السابقه والقواعد المكتوبه ومن صار منه حمل بقطع حطب لقصد ابيبيع حطب ان يرسل
له الأمير خادم ياخذ ظيفه ويشرع وان من جاء منه شي حشتهر ان عشرت آل رشيد
خمسه من البدو وخمسه من القراي وواحد من آل شبط يطيعونه ويجرا عليه حسب
العاده والبدو يوخذ بعيره وان هو حظري يوخذ شدره زربت البيت مقطوعه
الا صار النعم وزربت الزرع مقطوعه الا زنده والحاب بعد خصه من الدميب
وحتا و البيب ايضا الجلاع من الذرور والكاي فهو ممنوع هذا بحضرت كبار آل رشيد
محمد بن عبدالله ابو ملحه ومحمد بن عبدالله بن عتيق ومبارك ابن سعد وسعيد بن مبارك
وعبدالله بن حمدان وشلوان وحسن ابن سالم وعلي ابن سعد ذياب ابن محمد وسالم
ابن بركه وسعيد بن سعيد بن كحابيه ... ابن سعيد سعد ابن ظافر سعيد بن مرزوق
شويل ابن عامر وسعيد بن غنم عبدالرحمن ابن محمد ابو نخاع جبران ابن عبدالله ابن زريبه
محمد ابن علي عوظ ابن سعد ابن مرزن عبدالله ابن علي ابن عتيق سعيد ابن مبارك وسعيد
محمد ابن فهد ابن فهيد وذلك بحضرت المذكورين وخط ذلك ناجي كتبه فتحت المذكورين تكون معلوم

[ختم] محمد بن حاضر ...

الوثيقة رقم (١)

وثيقة توضح تراضي آل رشيد من شهران على منع قطع الشجر الأخضر من حماهم منعًا باتًا إلا ما يتعلق بالأدوات الزراعية بالنسبة للحضري أو ما يوصد عليه ماشيته بالنسبة للبدوي وقد حددت أسماء ما يحتاجه المزارع من أدوات وكذلك ما يحتاجه البدوي لحفظ أغنامه.

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم من يراه بأننا نحن عموم آل مدير من رفيدة بادية كبير وصغير قابلنا وتراضينا بعد طول النزاع وكثرة التردد بالشكاية إلى =
أمير عسير تركي بن أحمد السديري وأخذ خدام وكتب وثائق في خصوص الصفق وقطع الشجر الأخضر وأخذ العرعر من قطعه فأول
وثيقة كتبت في شهر ربيع آخر ١٤ سنة ١٣٥٨ بحضور خادم الامارة محمد بن عويدان والثانية في شهر محرم ٤ سنة ١٣٦١
بحضور خادم الامارة حسين بن علي العريجي والثالثة كتبت في شهر صفر ٢٢ سنة ١٣٦٣ على يد حسين بن صعان والرابعة
كتبت في شهر شعبان ٢٨ سنة ١٣٦٥ والجميع من الأربع ما أفتت من الشكاية حتى خرج خادم الامارة امبارك بن سعيد =
بن سارة وحصل هذا التجمع والتراضي في خصوص الشعب المذكور الصفق تراضينا جميعا من كل لحمة اثنين وانتخبنا
عدول أمناء من لحمة آل حسن شبيب بن عبد بن عرشان ومحمد بن ناشر بن قريح ومن لحمة آل الحمامة مفلح بن درع ومحمد =
بن عبد بن شويه ومن لحمة آل بوعود سعيد بن صعلوك وشبيب بن محمد بو صديق رضينا الستة المذكورين يحضرون في
أول كل شهر رأس كل ستة أشهر يعطون كل بيت من بيوتنا قانون من فروع الشجر دون جذوعه ومن تعدى القانون في
القطع من الفروع فعليه عشرة أريل ومن عبد الطلح فعليه عشرة أريل وعدم دخول الحريم في الشعب المذكور بتاتا
أولا — عدم اليابس وثانيا — حسب القانون الكافي للبيوت ومن رعى بسرحة مكنه في الصفق فعليه عشرة أريال
والعرعر في البيوت على حسب العادة ومن عارله مبنى فله السقف الأسفل منه بالقوس هذا الستة ، ومن عارضه بإبرة قال =
باب أو بترة تنكسر فأخير ذلك فبنظر الستة ، وذا تالمن يشهد وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين في صفر ٨
سنة ١٣٦٦ هـ

شهد بذلك خادم الامارة امبارك بن سعيد بن سارة / شهد بذلك خادم الامارة حسين بن علي العريجي / كاتبه عن املائهم محمد بن علي الشريف

ختمه — ختمه

تواقيع المكلفين

شبيب بن عبد بن عرشان / محمد بن ناشر بو قريح / مفلح بن درع / محمد بن عبد بن شويه / سعيد بن صعلوك / شبيب بو صديق =

الابهام — الابهام — الابهام — الابهام — الابهام — الابهام

صدق ... امير ... ختمه

ظاهري هذه الورقة فالعمل بموجبه امير عسير الاعماء في ٢/٧/٧٢

ما رقطا لهذه الأحرف من قاعدة قديمة طبق أصلها حسب طلب مصدرها وكاتبها قد بقاهو ناقلها حديثا محمد بن علي الشريف
في ١٩/٤/١٣٨٦هـ

مقابل — مقابل

الحمد لله وحده وبعد فقد اطلعت على ما ذكر أعلاه والمقابل تقدمه منا للتصديق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
في ١٩/٦/١٣٨٦هـ

الوثيقة رقم (٢)

وثيقة اتفاق جماعة آل مدير من رفيدة على ما وضعوه من قانون لحماهم أو محجرهم وفيها يمنعون قطع الشجر الأخضر منعًا باتًا إلا في حالات الضرورة القصوى وتحت نظر هيئة منتخبة كالسباح بخشب الدور الأول من المنازل.

بيان تحليف بني مغيد من الحاف

تحريره شهر شعبان سنة ١٢٥٢

الوثيقة رقم (٣)

وثيقة حلف بين قبيلة الحاف ووقشة من رفيدة قحطان وبني مغيد من عسير بتاريخ شعبان ١٢٥٢هـ. وتمت المصادقة عليها من قبل أمير عسير محمد بن عايض بتاريخ شهر ربيع الآخر ١٢٧٥هـ.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فقد اثبتنا ما في هذه الورقة على مضمون ما ذكر فيها
وكالة اثبات الحلف والقبلا بحضرة من شاء الله من كبار بني
مغيد وكبار الحاف وبحضرة الشيخ العلامة مسفر بن عبد الرحمن
يعلم ذلك من يراه وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]
بتاريخ [illegible] ربيع آخر
١٣٣٠

تابع للوثيقة رقم (٣)
في الملحق رقم (١)

١٧ رجب الخير سنة ١٣١٨ عربيه

على هذه التاعه والناظر فيها من علماء المسلمين وحكامهم حسب التاريخ المشروح اعلاه
انها انعقدة الذمه بينا با قبيلة الحاف و قبيلة الرشيد بموجب التاريخ المشروح اعلاه سنة
وشهرين ابتدائها شهر رجب المذكور اعلاه من رجبه الى رجب و ختامها انسلاخ شهر رمضان سنة ١٣١٩
عربيه والكفلاء من الحاف يحيا ابن عياف و عبدالله ابن مفرح شعيل و شعبان ابن علي وصالح ابن شعطوط
وعبدالرحمن ابن طالع و علي ابن عبدالرحمن ابن جيد واحمد ابن سوده وعلي ابن مزهر وموسى ابن سرحان
وفايع ابن محمد ومشبب ابن حضيري و الكفلاء من الرشيد محمد ابن صالح ومبارك ابن جبران
وعبدالله ابن سفر و محمد ابن عاصر ابن خبيل وهو ذمه على جار ودار وجو ديره وعدويه يكون
عند من راه معلوما و صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله و صحبه وسلم

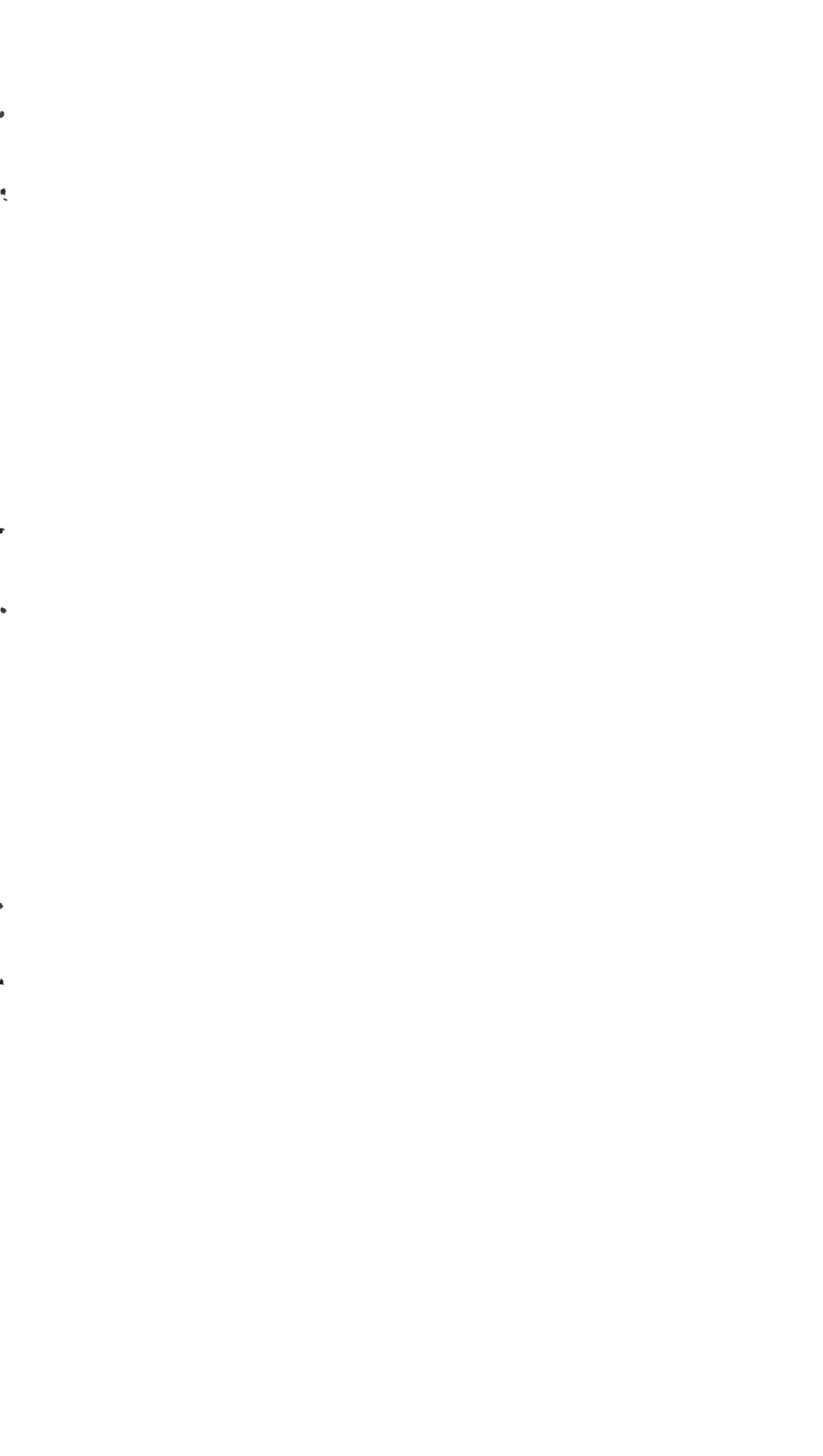
١٣١٨ رجب

محمد ابن علي ابن مريع

عبدالعزيز ابن حسين ابن مشيط

الوثيقة رقم (٥)

وثيقة هدنة أو سلام لمدة سنة وشهرين بين قبيلة الحاف من رفيدة وآل رشيد من شهران بتاريخ ١٣١٨هـ موقعة من قبل شيخ الحاف وشيخ شهران.



المُلحق رَقم ٢
مَلاحق المَوضُوع الثاني

الملحق رقم (٢)

ملاحق الموضوع الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

امير

من عايض بن مرعي الى المحترم المكرم الشريف عبد الله بن ناصر سلمه الله واياه من كل مكاره
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل كتابكم المكرم وفهمت
خطابكم المفخم المبشر باستقامة الاحكام الشرعيه كما امر الله في بلد الله المرعيه وخمول
الاحكام الكفريه من الطايفه النصرانيه ومن والاهم من كافة البريه فحمدنا الله على ذلك
وشكرناه على ما هنالك وصادف وصول هذا الخبر وقد فرقنا شوكات المسلمين
وحققنا لعساكر الموحدين بفرض الجهاد على كافة العباد لازالة الفساد من اشرف
البلاد وانشرحت لذلك صدورهم وازداد لنيل الاجور سرورهم ولا وصل الا وقد
نشرت الاعلام وبرزت الخيام وتزاحفت الجنود من كل فج وامتلا من العساكر الاسلاميه
كل نهج وقصدنا تطهير بيت الله الحرام واقامة شرايع الاسلام ونصرة المستضعفين
من الانام وقمع اعداء الله الطغاة الطغام الناقضين كعرى الحق الاحكام المغيرين شريعة
المصطفا النابذين ملة سيد السادات الحنفا وما كان عليه الاربعة الخلفا فلما ان
وصلت البشرى صرفنا الهمة الى جهة اخرى قاصدين بذلك وجه الله واراحة العباد والبلاد
من حاد الله وازاحة الباطل ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والله المسئول ان
يجمع شمل اهل لا اله الا الله محمد رسول الله وينصر الملة الاسلاميه على جميع الملل الكفريه
واعوانهم من كافة البريه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

٢٩ ربيع اخر

١٢٧٢

الوثيقة رقم (١)

وسالة من عايض بن مرعي أمير عسير إلى الشريف عبدالله بن ناصر وكيل شرافة مكة المكرمة يحمد الله فيها على انطفاء الفتنة التي تسببت في اضطراب الأحوال الأمنية في الأراضي المقدسة.

تاريخ الوثيقة ٢٩ ربيع الآخر ١٢٧٢هـ. مكان حفظها أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول تحت رقم ٢٦٥، إرادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عايض بن مرعي الى من يراه من علماء بلد الله الحرام وجميع من حوى من السادة الكرام سلمنا الله واياهم من كل
الآثام وادام على كافة الامة المحمدية نعمة الاسلام وحمانا واياهم من موادة من حاد الله ورسوله كائنا من كان من
الانام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد عالم السر والنجوى وصلاة وسلاما على [illegible] سيدنا
محمد القايل انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى وعلى آله وصحبه الناصرين شريعته على اهل البدع والاهوى
فانه قد وصل الينا ذلك الكتاب المحتوي على العجب العجاب المبرز من فحواه ذلك الخطاب المبشر بنصر الشريعه
النبويه وقرارها على ما كانت عليه بالسويه وتطهير البقاع الشريفه وحماية المآثر المنيفه واظهار الاحكام
الشرعيه واخمال الاوهام البدعيه وازالة ما آثرته الآراء الكفريه من جميع الحرمين والاقطار الحجازيه فسرنا
بذلك غاية السرور وحصل لنا مما هنالك نهاية الحبور وقد كنا حين بلغنا ما اراده اعداء الاسلام
في قبلة الخاص والعام الزمنا عساكر الموحدين ممن تحت ايدينا من المسلمين بالجهاد في سبيل الله ونصرة اهل حرم الله
وبرزنا الرايات والخيام لحرب اعداء الله اللئام واعددنا لذلك ما استطعنا من القوات من المدافع والخيل المسومة
وغير ذلكم من خالص اللامات نرجوا بذلك تجارة لن تبور كما ندبنا الى ما ذكرنا التوراة والانجيل والفرقان والزبور
فلما ان وصلنا هذا الخبر المبشر المذكور وفهمناه مما هو حوية السطور والمؤمن صادق مصدق لا سيما الامام المحقق
صرفنا الوجه عما كنا نبتغيه وثنينا العنان عما كنا نستضيه وصارت الهمة الى غير جهتكم لتصديقنا
بالخبر الذي برز من حضرتكم وقصدنا انتظام شمل اهل الاسلام واصلاح ما فسد بين الانام فان صدق الخبر
فذلك هو المأمول والا فلا بد لنا من نصرة الحق [illegible] الزمان او يطول والله اسال وبه اتوسل ان يجعلنا
واياكم من الصادقين الذين هم بكلمة الحق من الناطقين وان يرزقنا واياكم وكافة الامة المحمدية على الايمان
الثبات ويجعل على ملة الاسلام المحيا والممات وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

٢٩ ربيع [illegible]
١٢٧٢

الوثيقة رقم (٢)

رسالة من عايض بن مرعي أمير عسير إلى علماء مكة المكرمة يحمد الله على انتهاء الفتنة التي أدت إلى اضطراب الأحوال الأمنية في الأراضي المقدسة بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٢٧٢هـ.

مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول تحت رقم ٢٦٥، إرادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عايض بن مرعي الى جناب الحضرة المكرمة النايب في ولاية الحجاز المعظم محمد كامل باشا سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد من شرع شرايع الاسلام وصانها من التغيير والاهتضام
وصلاته وسلامه على رسول رب العالمين الى كافة خلقه اجمعين وعلى آله المطهرين وصحبه والتابعين فقد
وصل الكتاب وفهمنا ما حواه من خطاب وتعجبنا على تلك الاخبار غاية العجاب مع ما سمعنا به
من الحوادث والانقلاب وما ادت اليه حكمة الطايفة النصرانية في اهل الملة الاسلامية
ولا املنا منكم مساعدتهم حيث وانتم بالمكان الذي انتم به وقد صرح القران بالتحذير من
غرورهم وقال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم فالذي يجب عليك وعلى من ولاه الله على قبلة اهل الاسلام
تغيير ما احدثوه وتلافي ما فعلوه واجرا احكام الله ورسوله مجراها وعداوة تلك الطايفة ومن
والاها والا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ويطيعون
امر الله وينصرونه وارجو ان يسمعنا الله عنكم السار وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible]

Tashifin cinsi	
Numarası	

الوثيقة رقم (٣)

رسالة من الأمير عايض بن مرعي أمير عسير إلى والي الحجاز محمد كامل باشا بشأن ما حدث في الحجاز من اضطرابات وما أعتقد بأن محركها قناصل الدول الأجنبية.

مكان حفظ الوثيقة، أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول تحت رقم ٢٦٥، إرادة.

الوثيقة رقم (٤)

رسالة من الشيخ جاري بن ظافر شيخ قبائل بني شهر إلى الشريف عبدالله بن ناصر وكيل أمير مكة بخصوص أحداث الحجاز وثورة الشريف عبدالمطلب.

الوثيقة بتاريخ ربيع أول ١٢٧٢هـ، مكان الحفظ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول تحت رقم ٢٦٥، إرادة مجلس مخصوص.

معروض قولاري بوردكم

افندم بعد تقبيل الايادي والاقدام ان المنهي الى سعادتكم من مخصوص انه قد حضر جواب

من عند الامير عايض ابن مرعي الى الشيخ لاحق ابن احمد الزبيري ويذكر له ان كتبكم

وصلت وما ذكرتم صار لدينا معلوم نعلم اننا تعاهدنا مع الشريف عبدالمطلب ان

من حلي الى الواحسيه حكمه لنا ومن الواحسيه الى الشام حكمه الى الدوله وهذا ما كان

منطوق جوابه الى الشيخ لاحق المذكور وارد نا به افادة سعادتكم وادام الله بقاكم

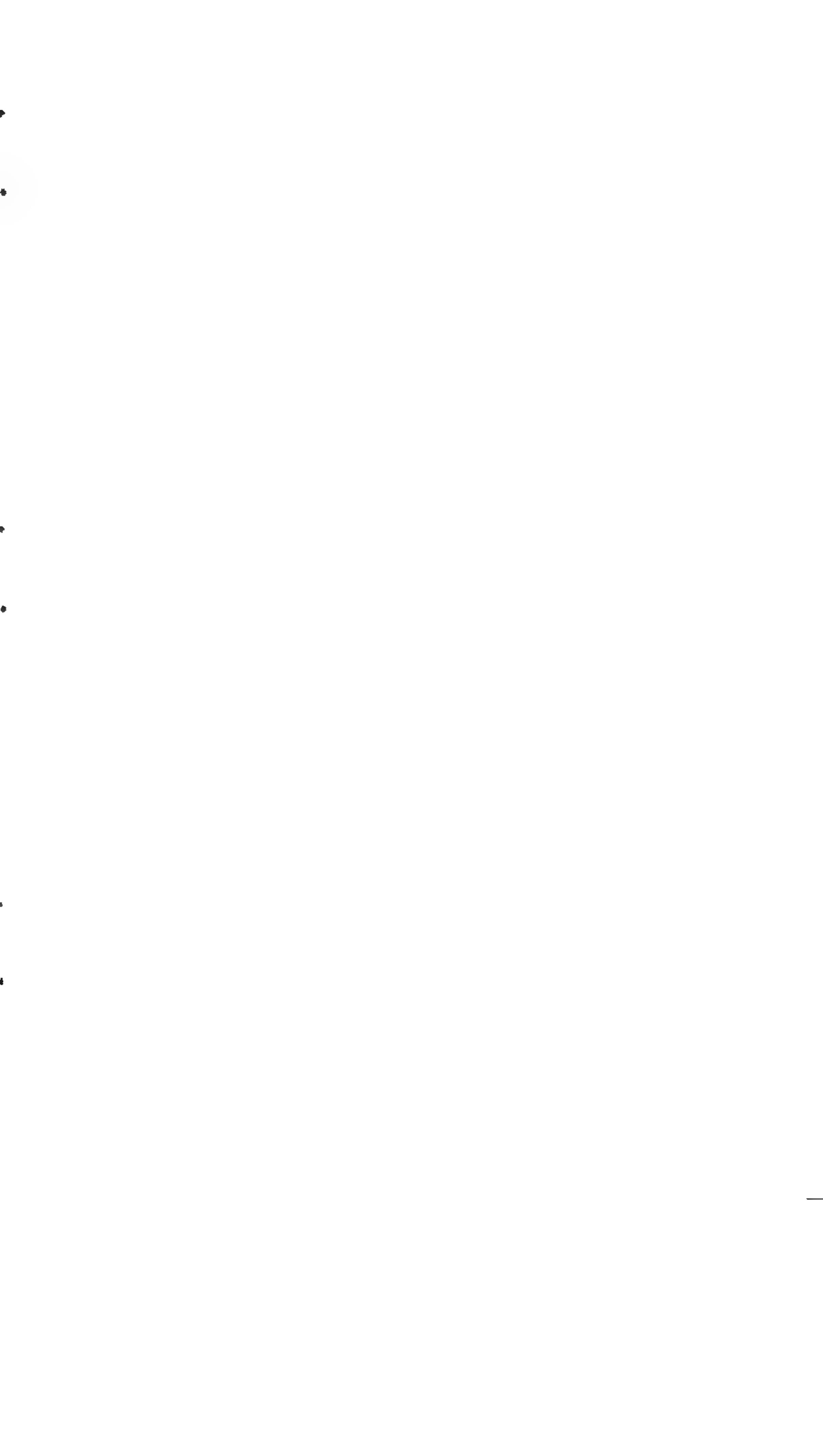
حرر في ١٢٧٠

الوثيقة رقم (٥)

رسالة من شيخ الحضارم بالقنفذة وقاضي القنفذة وقائد المشاة بها إلى والي الحجاز بشأن ما تم الاتفاق عليه بين أمير عسير عايض بن مرعي وشريف مكة الشريف عبدالمطلب بخصوص الحدود بين البلدين.

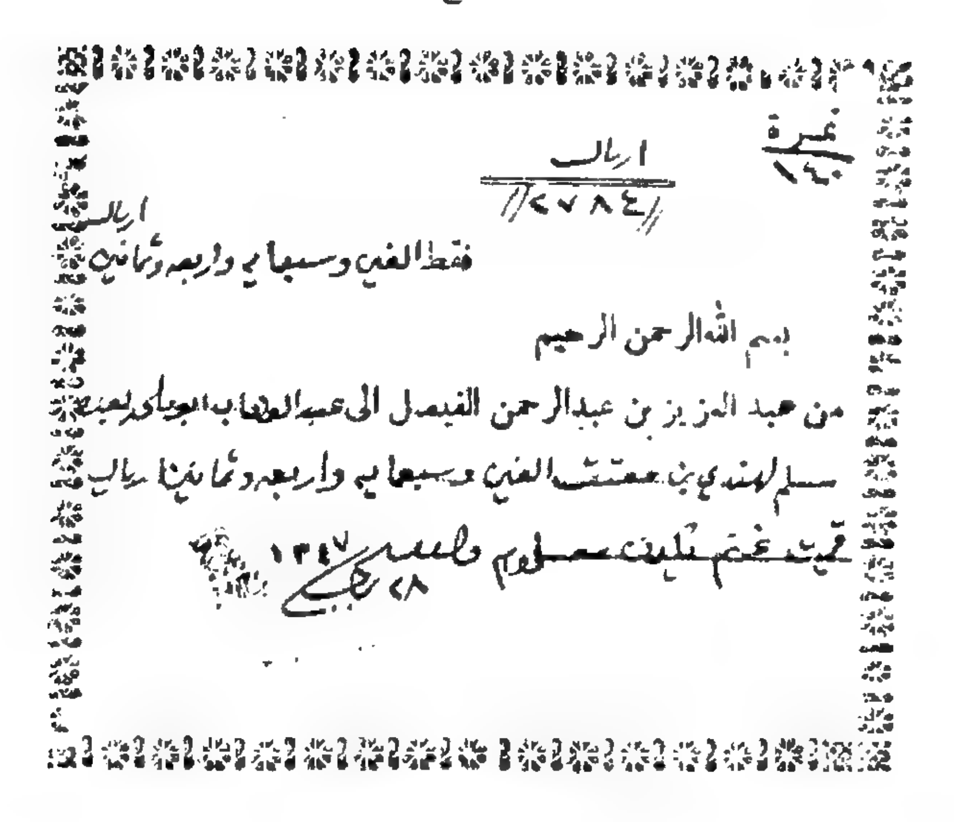
أصل الوثيقة محفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول.

المُلحق رَقم ٣
ملاحق الموضوع الثالث



الملحق رقم (٣)

ملاحق الموضوع الثالث



نمرة

ريال

٢٧٨٤

ريال

فقط الفين وسبعماية واربعة وثمانين

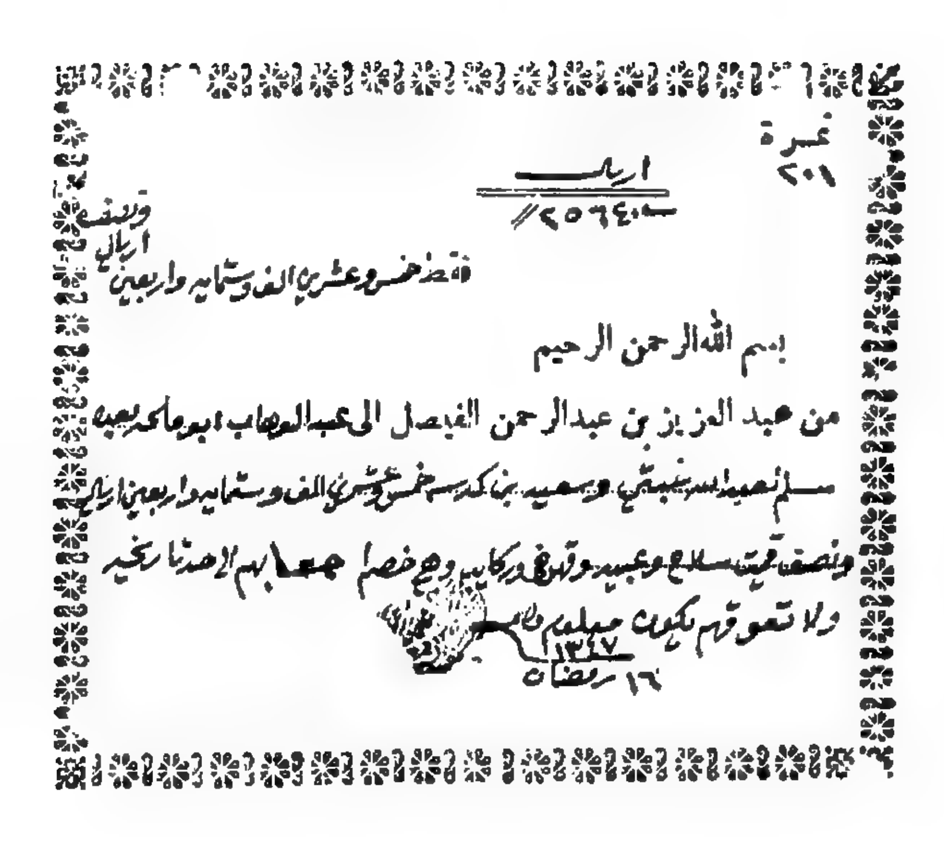
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى عبد الوهاب [illegible] يعطي

مسلم الهندي بن [illegible] الفين وسبعماية واربعة وثمانين ريال

[illegible] والسلام ٢٨ رجب ١٣٤٧

ثلاث نماذج للحوالات التي كان يبعث بها الملك عبدالعزيز على مالية أبها. ويلاحظ أنها تزامنت مع اندلاع فتنة الاخوان، ١٣٤٧هـ.



نمرة ٢٠١

اريال

٢٥٨٤٠

فقط خمس وعشرين الف وثمانمية واربعين ريال ونصف

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى عبد الوهاب ابو ملحه يعطيه

سلم لعبيد [illegible] وسعيد بن [illegible] خمس وعشرين الف وثمانمية واربعين ريال

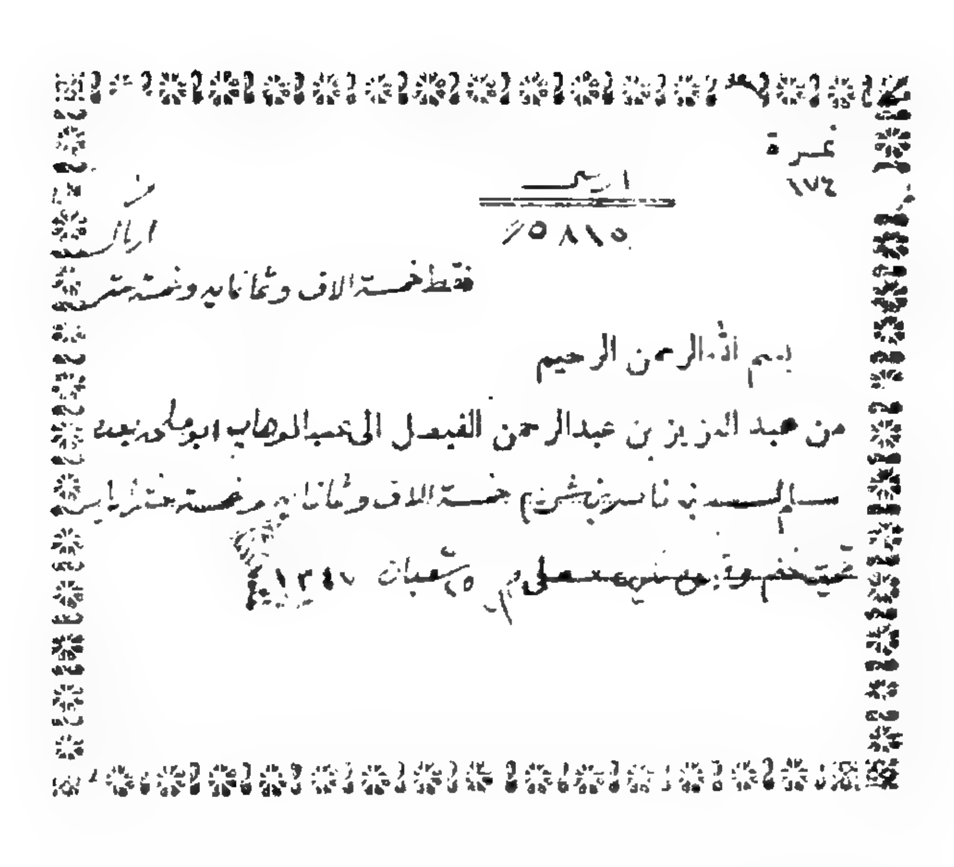
ونصف قيمة سلاح وعتيد و[illegible] وركايب وهي خصم [illegible] الاصدقا [illegible]

ولا تعوقهم [illegible]

١٣٤٧

١٦ رمضان

ثلاث نماذج للحوالات التي كان يبعث بها الملك عبدالعزيز على مالية أبها. ويلاحظ أنها تزامنت مع اندلاع فتنة الاخوان، ١٣٤٧هـ.



نمرة ١٧٤

ريال

٥٨١٥

فقط خمسة الاف وثمانماية وخمسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى محب عبد الوهاب ابو ملحه بعد

السلام [illegible] ناصر [illegible] خمسة الاف وثمانماية وخمسة عشر ريال

[illegible] ٥ شعبان ١٣٤٧

ثلاث نماذج للحوالات التي كان يبعث بها الملك عبدالعزيز على مالية أبها. ويلاحظ أنها تزامنت مع اندلاع فتنة الاخوان، ١٣٤٧هـ.

بيان حسب البنادق

	نمسي	عماني	تبذي	بتمعا	رويس
غارقه	٢	١	٢	١	
بن شويش	١	١	٠	٠	٠
بن صفيه	١	١	٠	١	٠
الا كليب	٠	١	٠	١	٠
بن علي	٢	١	٠	١	
	٦	٥	٢	٤	
بن كاسب	١	١١	٠	٢	
الاثر	٦	٦	١	٣	
العجيب	٢	١	٠	٢	
بن ساسه	١	٠	١	٤	
ال زلال	٠	١	٠	١	
ثمود البع	٤	٤	١	٥	١
	١٩	٢٥	٥	١٨	١
بو القراد	٦	٢	٠	١	

نمسي ٢٤
عصملي ٤٢ لكل بدو
تبزي ٦
... انكليزي ٢٥
روسي ٤
شنو ...

الوثيقة رقم (٤)

بيان بعدد غزو قبيلة شهران وأسماء الفخوذ وأنواع بنادق المحاربين المشاركين في إخماد تمرد قبيلة الريث.

الشعف

	عمانلي	نيمس	روسي	شرفا	تيرك	بنوت
آل سعران	١	٥	١	١		
بن مالك	٤	٢		٢	١	١
القاربه	٢	١				١
بن جابر	٢	١		١		
المستعي	.	١		٢		
القرعا				٤		
	٨	١٠	١	٩	١	

بيابنا اهل الشعف

آل ارسيد

	نيمس	عمانلي	روسي	شرفا
	٢	٨	١	٨
	١			
الحميد				١

[illegible]

جابر بن احمد داخلياه

بنوت عدد
١٢

[illegible]

الوثيقة رقم (٤)

بيان بعدد غزو قبيلة شهران وأسماء الفخوذ وأنواع بنادق المحاربين المشاركين في إخماد تمرد قبيلة الريث.

	بنوته	نيمس	مروسي	محدشه	عصملي
ابي غامي			٢	١٠	١
بني عزيز	٠	٠	٢	٤	٠
اهل شبحات	٠	٠	٠	١	١
بني قشدادي	٠	١	١	٢	٠
الشلاوده	١	١	٢	١	٠
اهل طيب	٠	٠	٧	٢	٠
الحارث	٠	٠	٩	١	٠
ال مرقشي	٠	٠	٤	١	٠
اهل امبالي	٠	٠	٤	١	٠
المجموع	١	٢	٢٢	٢٤	٢

الحكم نائب المنطقة

اعتمدوا اعطاء امير ربيعه ورفيده زهبة خمسين بندقا

حسب اوامر الجلالة لكل بندق خمسة عشر طلقة

امير عسير

٢٦١/٩/٥

الوثيقة رقم (٥)

أمر من أمير عسير وملحقاته إلى قائد المنطقة باعتماد صرف زهبة خمسين بندق لأمير ربيعة ورفيدة، لخمسين محارب من قبائله.

ويظهر في أعلى الوثيقة أسماء البنادق وعددها بينما يظهر في يسار الوثيقة أسماء فخوذ القبيلة للمشاركة في إخماد تمرد قبيلة الريث.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب المكرم نواب قبائل بني شهر المحترمين سلمهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد [illegible]

الوثيقة رقم (٦)

خطاب من أمير عسير ومدير ماليتها إلى نواب قبائل بني شهر يخبرونهم بحلول وقت الخرص وأسماء العاملة المكلفة بذلك، تاريخ ٣/ ٨/ ١٣٥٩هـ، يلاحظ وجود خرم في وسط الوثيقة.

المملكة العربية السعودية

مالية ابها

عدد ٥٧١٤ ٨٦/٤٢٨

مستعجل

الى مدير عاملة خرص بني شهر وبني عمرو

تشعرنا مالية بني شهر عن وجود مزروعات في اطراف بني شهر وبني عمرو وقد حل وقت خرصها فاعتمدوا حالا وصولكم مباشرة خرص هذه المزروعات اولا بعد تفاهم مع مدير مال بني شهر [illegible] لكم وبه جرى ٢٤/٨/٥٩ [illegible]

صورة لمدير مال بني شهر [illegible]

الوثيقة رقم (٧)

أمر من رئيس مالية أبها وتوابعها إلى عاملة خرص بلاد بني شهر وبني عمرو بتاريخ ٢٤/٨/١٣٥٩هـ.

تعليمات عوامل خرص حبوب شتاء عام ١٣٥٩

١

١ الخادم المرافق للعامل هو أميرها وهو المسؤول الرئيسي [illegible]

٢ المراقب الذي من طرف أمير الشمل مع العامل هو المسؤول في الدرجة الأولى [illegible]
وذلك عند ورود أي مسؤولية لعضو جري من افراد العامل

٣ كل الأشخاص المذكورين منهم العامل يجب أن يكونوا [illegible] وحضورهم جميعاً
إذا تخلف أحداً منهم فليس للباقين حق في العمل بدونه قطعياً

٤ وإن تخلف أحد العامل أو أي فرد من أعضائها عن الشيء مع العامل يجب على الخارص أن
يتوقف عن العمل حتى وإن عمل عملاً بدون استكمال حضور الجميع فهو غير مقبول [illegible]
من يجري ذلك

٤ يجب على عموم أفراد العامل وأن يحضروا سوية من ابتداء العمل حتى نهايته ولا يقتصروا بجميعهم
قطعة قطعة بأنفس [illegible] بنواب وكبار أهل القرية

٥ ممنوع منعاً باتاً قبـ [illegible] ـي الخرص مصاحبة الدعاوي والأسباب

٦ يجب على العامل أن لا تخرج من قرية إلا بعد أن تسلم نشراتها لأربابها بأيديهم

٧ الخرص يجب أن يكون قرية بقرية واسم باسم وزرع بزرع وعدد قطع المزارع على وجه
المفردات والتفصيل ويوضح كل ذلك في الدفتر والنشرة

٨ يجب أن يفرز دفتر خرص العثري ونشراته لكل قرية عن دفتر ونشرات المسقوي

٩ الدفاتر تنظم على ثلاث نسخ لكل من العثري ومثلها المسقوي

١٠ خرص العثري يكون بنسبة العشر التام وخرص المسقوي نصف العشر كالمتبع

١١ الكاتب مسؤول في الدرجة الأولى عن أغلاطه الكتابية والنقل وعموم أفراد العامل مسؤولون
عن ذلك فعلى الجميع أن يكلفوا الكاتب بقراءة ما يكتبه سواء في الدفتر أو في النشرة
ويقابلون بين الاثنين وعليهم أن لا يقصروا [illegible]
[illegible] فيستلزم الجميع عن الخرص [illegible]

١٢ لا يمكن إعطاء النشرات إلى نواب القرى إلا بعد أن [illegible]
القرية ويخبر كل واحد بالخرص الذي على زرعه

الوثيقة رقم (٨)

وثيقة تمثل التعليمات الموجهة إلى عوامل خرص الحبوب لشتاء عام ١٣٥٩هـ من أمير عسير ومدير المالية بها. يلاحظ وجود خرم في وسط الوثيقة.

١٣ اذا لم تسلم العماله اوراق الخرص النزات لأهل القريه او لم تقرأها عليهم [illegible] منهم بدون ذلك وحصلت شكيه من الاهالي فسيكون الخراص [illegible] اشد الجزاء عن ذلك

١٤ على افراد العماله بما فيهم المراقبه الذي من طرف الشيخ يكتفون بالختم والتصديق على الدفاتر والنزات بعد قراءتها عليهم من قبل الكاتب وتأكدهم من صحتها ومطابقتها

١٥ يجب ان يصدق بعض افراد الشيخ بأختامهم على آخر دفتر ويعطيهم نسخة منه بيدهم

١٦ يجب على العماله ان لا تخرص ثمار أي زرع قبل نضوجه الشرعي المأمور به بحيث ان اي دعوى تتقدم فيما بعد من الاهالي ويثبت فيها جريان الخرص قبل نضوج الثمار فان اي فرق ينجم فيها من الظرب او البرد او غيره تغرم به العماله

١٧ على امير العماله ومن معه عندما ينتهون من خرص اي قريه (ولو كانت بعد القرى نائيا) ان يسألوا نائب القريه [illegible] ولكن [illegible] اذا كان هناك اسرة او اشخاص او مزارع لم تضبط العماله او يتلقون من النائب والعقال جوابا صريحا بعد بقاء شئ من ذلك [illegible] يكون عليهم بذلك .

١٨ اذا شاهد العمال اهمالا او معاكسه او مخالفات من احد منهم فعليهم معا الرفع بذلك وسكوت احدهم عن التقصير يعتبر اشتراكا منه في الاهمال .

١٩ يجب على العمال [illegible] المحافظة على الحقوق والسير بالعدل التام بدون ادنى تفريط في حقوق الخزينه ولا غدر على حقوق الرعايا .

٢٠ امير العماله مسؤل في الدرجه الاولى عن انفاذ مقتضى هذه التعليمات وافراده مشتركون معه في مراعاة تطبيقها حرفيا .

واذا اشكل عليهم ادنى شئ فعليهم المراجعه كتابيا ولا يجوز لهم بالتصرف خارجا عن التعليمات بعضا باتا

[illegible]

الوثيقة رقم (٨)

وثيقة تمثل التعليمات الموجهة إلى عوامل خرص الحبوب لشتاء عام ١٣٥٩هـ من أمير عسير ومدير المالية بها. يلاحظ وجود خرم في وسط الوثيقة.

[illegible]

... في الخرص بالكلية ... [illegible]
... فعليهم الجزاء الشديد

ثانياً [illegible]
في النقص

ثالثاً [illegible]
ما دام الزرع قائم [illegible]

رابعاً [illegible] الأهالي [illegible] الخرص [illegible]
على أصحاب الزرع [illegible]

خامساً [illegible]
[illegible]
[illegible]

سادساً [illegible]

هذا ما لزم [illegible] الأهالي [illegible]
والسلام [illegible]

[illegible]



الوثيقة رقم (٩)

خطاب مشترك من أمير عسير ورئيس مالية أبها إلى أمراء ونواب القبائل موضحان فيه التعليمات الخاصة بخرص الثمار. تاريخ ٣/٨/١٣٥٩هـ.

(٩)

الوثيقة رقم (١٠)

من دفتر كاتب عاملة الخرص المرسلة لبني الحارث من قبيلة بني شهر ويظهر أسماء أصحاب المزارع ومقدار ما استوفى من خرص بالفرق والمد ونوع الزرع عثري أم سقوي وتواقيع نواب القرى على ما قُرر على جماعتهم من خرص وأنه لم يلحق بهم ظلم من العاملة عند تقدير خرص مزارع جماعتهم.

(١٠)

[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٩	٧	سقي	١٠	[illegible]
٦	٢	عثري	٥	×
-	٥	سقي	٨	[illegible]
٦	١	عثري	٧	×
٦	٦	سقي	٦	[illegible]
-	٤	عثري	٥	×
٦	٥	سقي	٨	[illegible]
-	٣	عثري	٧	×
٦	٤	سقي	٨	[illegible]
-	١	عثري	٥	×
٦	١	سقي	٤	[illegible]
-	٣	عثري	٧	×
-	٣	-	٤	[illegible]
٩	٤٤	---	٨٤	الكل

[illegible]

[illegible]



الوثيقة رقم (١٠)

من دفتر كاتب عاملة الخرص المرسلة لبني الحارث من قبيلة بني شهر ويظهر أسماء أصحاب المزارع ومقدار ما استوفى من خرص بالفرق والمد ونوع الزرع عثري أم سقوي وتواقيع نواب القرى على ما قُرر على جماعتهم من خرص وأنه لم يلحق بهم ظلم من العاملة عند تقدير خرص مزارع جماعتهم.

الوثيقة رقم (١١)

ورقة من دفتر كاتب عاملة خرص القهوة في بلاد بني شهر لعام ١٣٥٩هـ.

الوثيقة رقم (١١)

ورقة من دفتر كاتب عاملة خرص القهوة في بلاد بني شهر لعام ١٣٥٩هـ.

— لاحظنا ان الزرع الموجود في مزارع [illegible] [illegible] وهي كلها في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] المزروعة في [illegible] :

ثانياً — [illegible] مزارع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المزارع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] :

ثالثاً — اما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الزرع ولم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مزارع في [illegible] [illegible] [illegible] :

رابعاً — اما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مزارع
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاراضي الزراعية في كافة [illegible]
[illegible] مزارع [illegible] [illegible] [illegible] الزرع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] زيادة [illegible]
[illegible] اوقات الشتاء [illegible] [illegible] اوقات الصيف [illegible] الشتاء [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟

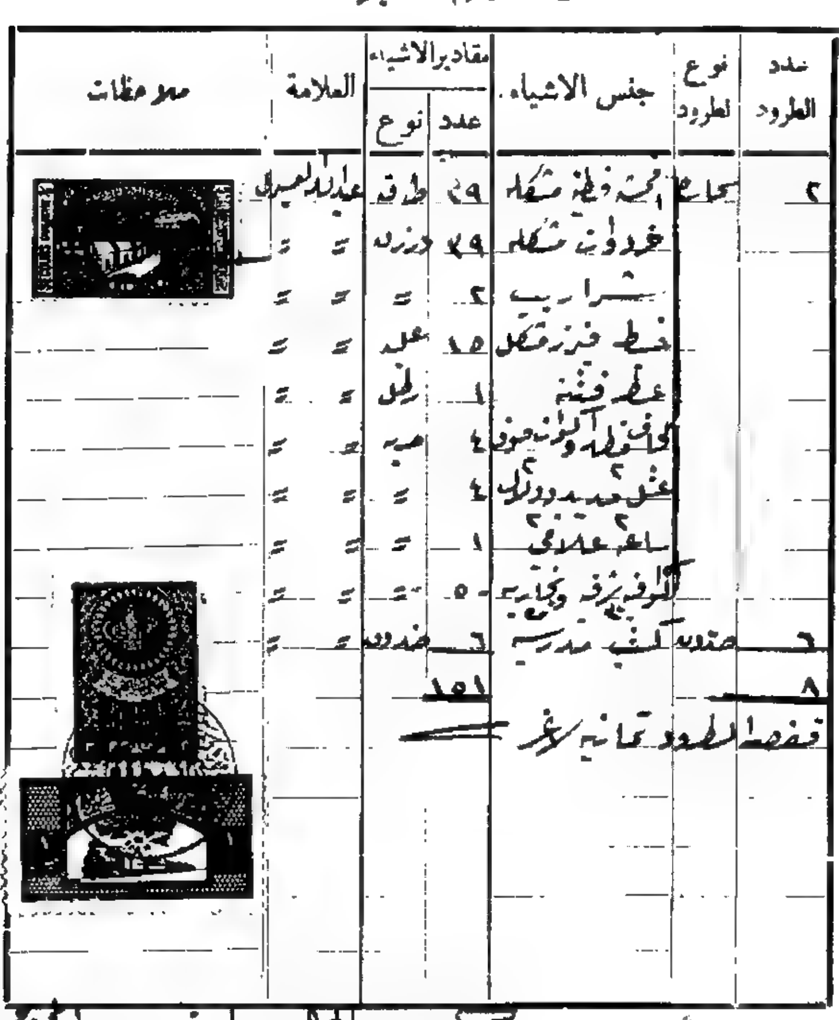
[illegible] الامطار في الوقت المناسب للزراعة ؟
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟

الوثيقة رقم (١٢)

تقرير من عاملة الخرص بعد الانتهاء من مهمتهم، يوضح التقرير الحالة التي كانت عليها المزارع التي قاموا بخرصها.

نمرة ٢٩ ﴿ ورقة اخراج البضائع من دائرة رسوم [illegible] ﴾ جلد ١

الى دائرة رسوم أبها



عدد الطرود	نوع الطرود	جنس الاشياء	مقادير الاشياء: عدد	مقادير الاشياء: نوع	العلامة	ملاحظات
٢	[illegible]	[illegible] شكله	٢٩	طاقه	عبدالله العسيري	
		خردوات شكله	٢٩	دزينه	=	
		شراب	٢	=	=	
		خيط [illegible] شكل	١٥	[illegible]	=	
		عطر [illegible]	١	رطل	=	
		[illegible]	٤	[illegible]	=	
		[illegible]	٤	=	=	
		ساعة [illegible]	١	=	=	
		[illegible]	٥	=	=	
٦	صندوق	كتب مدرسية	٦	صندوق	=	
٨			١٥١			
فقط الطرود ثمانية [illegible]						

صادر الى أبها باسم [illegible] عسيري بالجمال عبدالله [illegible] رياسة [illegible]

[illegible] وذلك من المتحصل عليه الرسوم سابقا [illegible]

وعد كاتب [illegible] الكاتب مأمور رسوم [illegible]

الملحق رقم (١٣)

وثيقة استيفاء رسوم على بضائع مستوردة من مكة المكرمة إلى أبها.

العدد ٢٩

جناب مأمور التخرجية

عدد الجمال ١ صنف

٢

فقط

الاسم المخرج

الجمال

في ١٢ محرم سنة ١٢٦٠هـ

المطبعة العربية — بمكة

الوثيقة رقم (١٤)

وثيقة استيفاء ضرائب على انتقال البضائع من مكان إلى آخر.

عدد السند ٦٦٢٦ 	عدد الجلد

وثيقة بيع الحيوان

مقدار الرسم		مقدار القيمة المباع بها				نوع الحيوان
بارة	غروش سعودي	بارة	غروش سعودي	ريال عربي	جنيه انكليزي	

اسم المشتري ....

اسم البائع ....

اسم الدلال ....

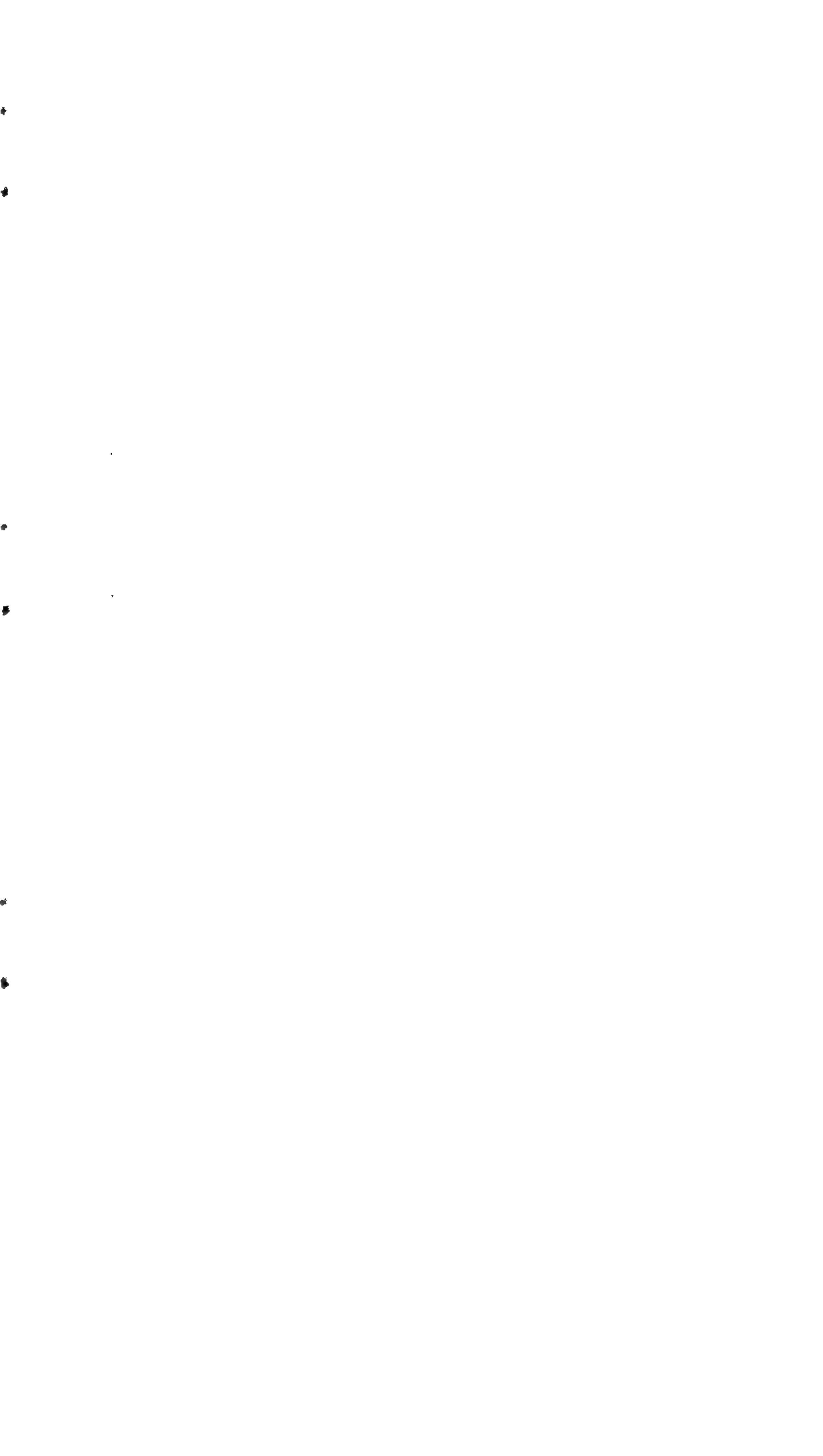
علامة الحيوان ....

قد جري استيفاء الرسم المقرر على الحيوان المباع وقدره ....

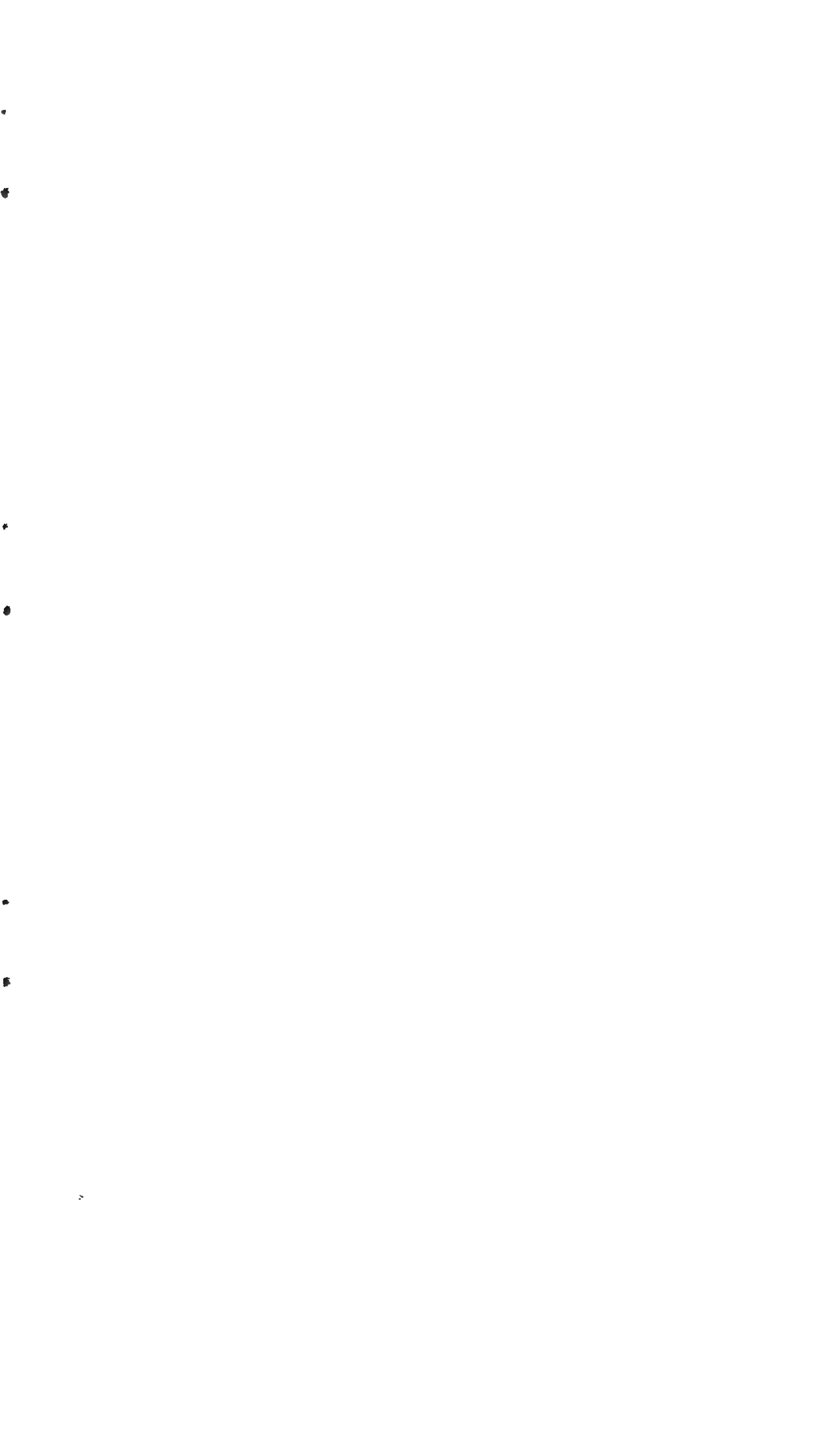
من .... وبالاستلام تحرر في سنه ١٣٥

الوثيقة رقم (١٥)

وثيقة تمثل ما كان يستوفى على بيع الحيوانات من ضرائب صادرة من مالية أبها.



المُلحق رَقـم ٤
ملاحق الموضوع الرابع

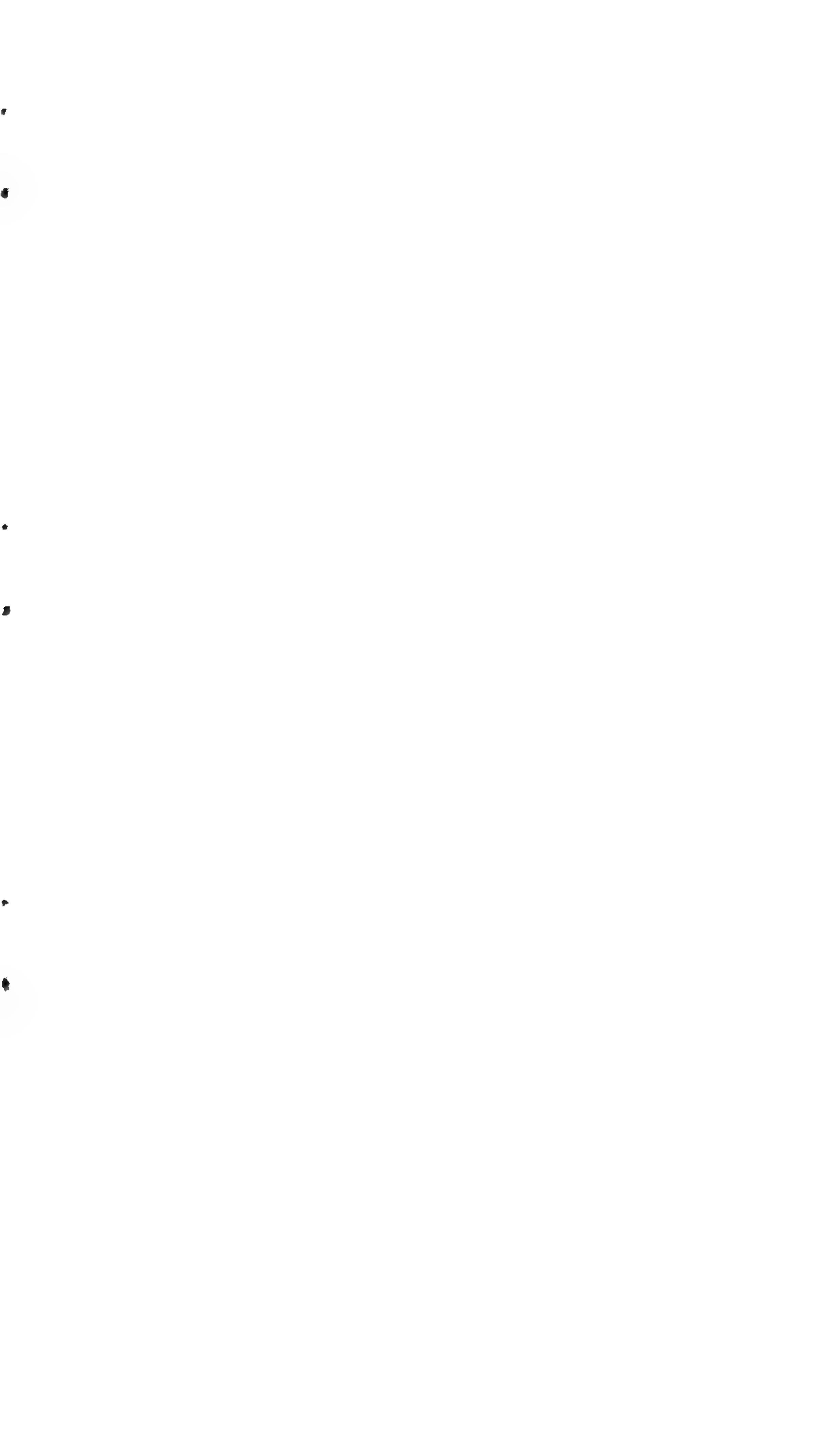


الملحق رقم (٤)

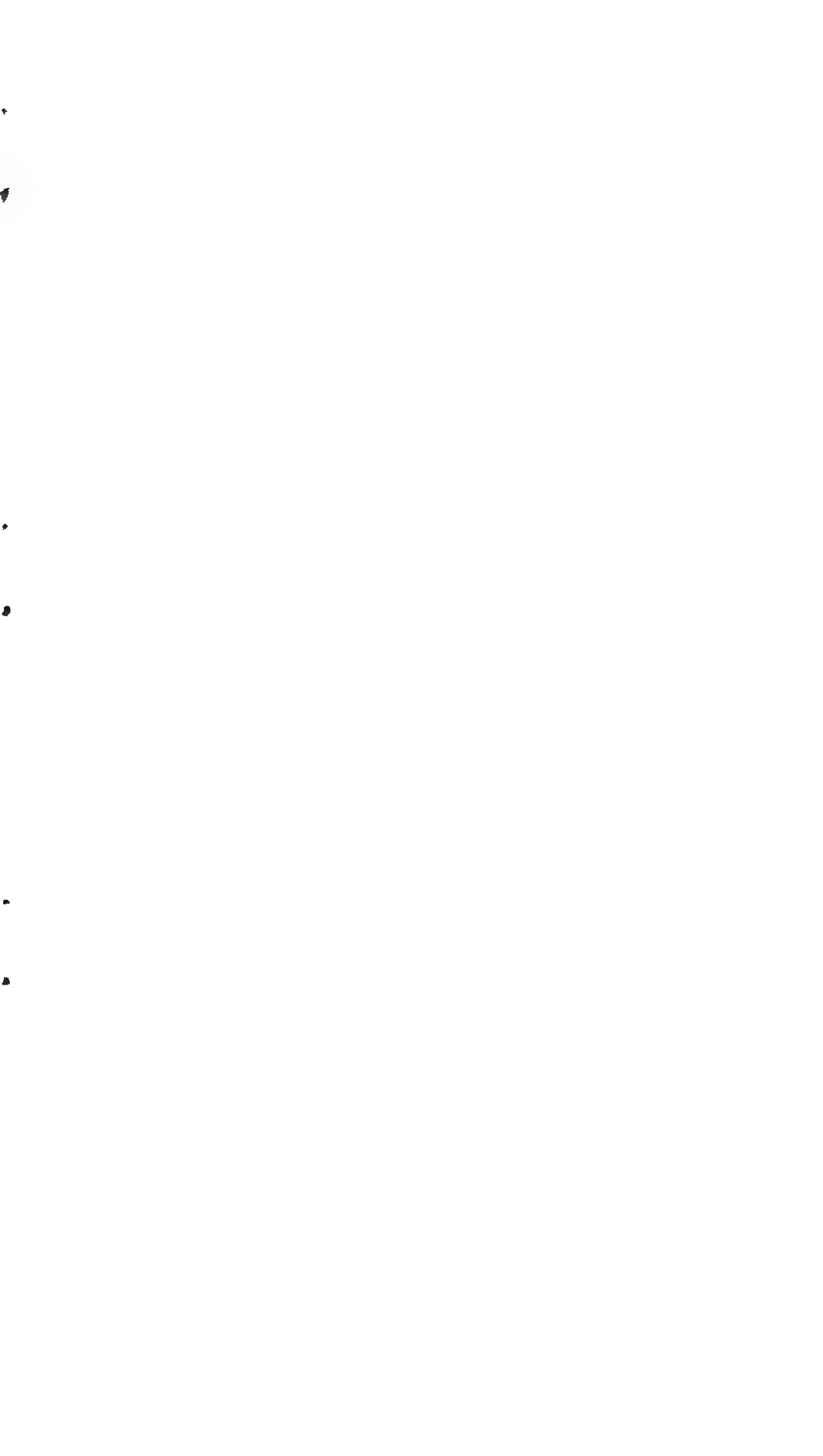
ملاحق الموضوع الرابع

الوثيقة رقم (١)

ورقة مخطوطة تمثل أحد القوائم الخاصة بمخطوطات إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي.



المُلحَق رَقم ٥
مَلاحق المَوضُوع الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين

أما بعد فيعلم من يراه بأننا قد أجمعنا بالجماعة أهل العصرو الواضعين أسمائنا أدناه على اختيار ستة عدول من بيننا ينظرون في عاداتنا ويقررون ما يلزم بعضنا لبعض في جميع الأمور وقد وقع اختيارنا على كل من صهيفا بن محمد ومحمد بن عبدالله بن عمر ومحمد بن موسى وإبراهيم بن حسين وعبدالله بن محمد جارالله ومحمد بن علي بن عواض، وقد وليناهم ورضينا بما ثم وما قرروه فجميعنا ملتزمين التزاماً تاماً كبيرنا وصغيرنا حاضرنا وغائبنا بتنفيذه ومن خالف شيئاً من قراراته فهو مخالف لعاداتنا بالجماعة أهل العصرو وعلينا جميعاً مطالبته وإلزامه بتنفيذ القرار وعليه نوقع في يوم الجمعة الموافق ١٣٨٩/٦/٩ هـ

الموقعين

أحمد بن عبدالله بن عمر
أحمد بن يحيى بن عثمان
علي بن عبدالله آل بريك
نائب علي بن عواض
يحيى بن عبدالله [illegible]
علي بن عبدالله الحسني
عبدالله بن يحيى
يحيى بن عبدالله بن علي
محمد بن أحمد [illegible]
سعيد بن محمد بن عبدالله

محمد بن محمد
محمد بن [illegible]
عبدالله بن علي [illegible]
عبدالله بن سالم
عبدالله بن محمد [illegible]
علي بن محمد بن أحمد
علي بن يحيى
علي بن عبدالله بن علي
يحيى بن محمد [illegible]
علي بن محمد بن موسى
محمد بن عبدالله [illegible]

نائب أهل العلاية / عيسى بن محمد [illegible]

الوثيقة رقم (١)

محضر اتفاق ممثلي بلدة العلاية وتوقيعهم على الوثيقة التنظيمية لبلدتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له

أما بعد فيعلم الواقف على هذه القاعدة وأننا نحن الموقعة بأسمائنا على المحضر المؤرخ بأنا جماعة أهل العلاية بتاريخ ١٩/٦/١٣٨٩هـ والذي بموجبه أجمعنا على اختيار ستة عدول من بيننا يختارون من أوضاعنا الخاصة ويقررون ما يلزم بحضنا لمحصرين جميع ما يتعلق بمصالحنا ولقد رضينا بالإجماع كل من محمد بن أحمد / وسعيد بن عبد الله بن عمر / وسعد ابن موسى / وإبراهيم ابن حسين / وعبد الله بن محمد ابن علي ومحمد ابن علي ابن موسى . هذا وبعد اطلاعنا نحن الستة على قواعد وعادات أهل العلاية السابقة وجميع الوضع الخاص بجماعتنا قررنا ما يلي :-

١ - أن يكون الشيء بين أهل العلاية بالعدل والمال بالعدد وجميع زكاة الحب والغنم واحد وأننا شيء واحد .

٢ - الصلاة ركن من أركان الإسلام فعلى غائب أهل العلاية أو من يتوجه المحصل أداء الصلاة الخمس جماعة في المسجد ومراقبة من يتأخر أو يتغيب عنها وعليه على الموظفين إبلاغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل من يتأخر أو يتغيب عن الصلاة .

أما صلاة الجمعة فمن تأخر عن حضورها في مسجد العلاية بدون عذر شرعي ومن يوجد العلاية من البادية شمالا إلى فيتم تطبيق بالعلوم غرامة عشرة ريالات (١٠) للمرة الأولى وإبلاغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا تكرر منه ذلك . أما الموظف وغيره فلا يحق له أن يتغيب عن صلاة الجمعة في مسجد العلاية أكثر من جمعة واحدة ومن غاب بدون عذر شرعي وسكنه في قرية العلاية فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وإذا تكرر منه الغياب يبلغ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما للذين في تهامة مع قرابتهم فلا يحق لأي رجل منهم أن يتغيب أكثر من جمعتين والثالثة يحضر الصلاة في مسجد العلاية وإذا تأخر أكثر من جمعتين فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) يستثنى من ذلك من تضطره ظروف الله مثل المرض ومن يشرع في السفر .

٣ - المساجد : تمنع النساء من دخولها ولا يحق ونحوها والجلوس فيها ومن شوهد يعمل ذلك في المساجد ويلحق بها السبل التي يستعملها فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) .

٤ - الزكاة : تجمع زكاة الغنم والحبوب في مكان واحد وتعطى للذمة ولأمانة ولا يحق لأحد أن يتقاضى أو يصرف شيئا من زكاة غنمه أو حب بلاده إلا بنظر الثلاثة أمناء ويتقبلهم الناس ... وجود ... تجمع الزكاة ... عند ثلاثة أمناء يختارهم الجماعة من ... .

٥ - الأوقاف جميعها : كل ملزم بوقفه ... ويحلل له الخارج ... أو من يتوجه مراقبة الأوقاف ... القيام بها خير قيام وإذا أهمل أحد ... الوقف ... من يقوم بغيره أو يطلق الوقف ... الأوقاف .

٦ - المقابر : تمنع ... موطئ القدم والتراب ... قطع الشجر الثابت عليها أو الذي ... حجر ومن ... عليها مهما كان نوعه ... وضع الحطب عليها ومن وضعها بالقدم والقرار والحجر ... وقطع الشجر ... في المقابر ... وغيره فعلى ... الشرعي ... وعلى الجميع ... الله ... .

٧ - الكفاءة : قررنا أن يكون ... بين أهل العلاية ... وأمانة العدل وفي ... ويكون ... الكفاءة ... اليوم ... العدل ... الجزية ... فيعود ... النساء ... المذكورة فيكون العدد ... واحد وجميع من ... أهل العلاية ... الخلع ويلزم ... أهل العلاية .

٨ - الحلي : في مبدأ ... الحليل ... أهل العلاية ... ومن تأخر ... شرعي ... فليلزم ... فعليه ... في اليوم الثاني ... الحلي فيوجر على ... بعشرة ريال (١٠) إذا كان الشخص ... واحد ... وبخمسة ريال (٥) إذا كان الشخص ... الحلي ... فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) ... زيادة على أجرة ... ولا يحق لأحد ... بعشرة ريال (١٠) إذا كان الشخص ... يوم واحد وبخمسة ريال (٥) إذا كان الشخص ... للجماعة ... فعليه ... الأجرة ... عشرة ريال (١٠) ... الخاص .

٩ - ... الخلع ... الماء ... فعليه غرامة عشرين ريال (٢٠) ... في اليوم الثاني ... عشرين ريال (١٠) ... عشرين ريال (٢٠) ... عشرة ريال (١٠) ... .

الوثيقة رقم (٢)

النص المطبوع للوثيقة التنظيمية لبلدة العلاية .

... ل وكثير فلا يحق لأحد أن يورد من أحد الحلل أكثر مما يحتاجه حتى لا يتسبب ضرر على أحد نظراً لعدم كثرة الماء لا يحق لأحد أن يقطع أو يشغل كهنته واحد يسقي بالماء وإذا اكتشف أحداً أو شغل الكهنة وأحد يسقي به فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وبرهة خمسة

٩- العدل يكون العدل بين أهل العلاية بحيث لا أحد [illegible] تصور الماء ثلاثة ويخبر النائب أو من ينوب بحضنه ومن عين عليه ولم يقوم بواجب العدل فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وبرهة خمسة، ومن لم يعدل بذمته وأمانته [illegible] الله عليه وتهم الوكيل ومن تكلم على العدل بكلام غير لائق أو شتمه أو سبه أو قطع الماء أو كتم قبل موافقة العدل وقبل [illegible] من [illegible] أو أرسل الكاسة بغير نظر العدل فعليه غرامة عشرون ريال (٢٠) وبرهة خمسة

١٠- المحلية من ثلاث شروط المحلية التي تطلب من عشيرة أهل العلاية من غير عذر شرعي فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وبرهة خمسة إذا كانت المحلية يوم كامل للجماعة وبخمسة ريال (٥) إذا كانت المحلية نصف يوم للجماعة ومن كان ثابت لم يحضر المشورة وعلم بالمحلية وموعدها ثم ثابت غير عذر شرعي أو رحل ابنه الذي لم يبلغ رشده فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وبرهة خمسة إذا كانت المحلية يوم كامل للجماعة وخمسة ريال إذا كانت المحلية [illegible] وإذا كان في البيت ثلاثة رجال بالغين الرشد [illegible] منهم رجلين وهذه الشروط تتم جميع المحلات والمعونات مهما كان نوعها ومن ثابت عن [illegible] والرحلة ثم [illegible] بالجماعة فله تخبر النائب أو من ينوب بحضنه

١١- المدلس من عين عليه النائب أو من ينوب بحضه من المدلسة وطريقه تخبر الجماعة مهما كان نوع تلك الطريقة ثم ثابت غير [illegible] شرعي فعليه غرامة عشرة ريال (١٠) وبرهة خمسة ومن حظر الشور من أهل العلاية فيقطع ويلزم النائب بما يلزم الحاظر

١٢- التقطيع العام يمنع التوسع فيه ولا يحق لأحد أن يأخذ شيئاً واحداً من التقطيع العام غير الحرم الشرعي كما يمنع التحجير الا حظر من القطع ومن راح بيته عود أخضر أو قطع عود أخضر سواء من قطعهنا العام أو من غير قطعهنا فعليه غرامة عشرون ريال (٢٠) للمرة الأولى والتكرر فضعفه للتحجر الأخطر مرة ثانية فيخبر فيه المسئولين في الزراعة أما محارم البلاد الخاصة فلا يسمح لأحد أن يقطع عود أخضر منها أو [illegible] جماعة في الشور وتتم [illegible] على ترتيبهم والا لم يحق له القطع

١٣- [illegible] العلاية ممنوعة من النشاء ومن تغيلها بالهيئات (الاتجاهات) ومن الزرب بالشوك ومن ترك مخلفات البناء من طين أو حجر أو غيره ومن حظر الوضع [illegible] النشاء [illegible] تعليه أن يدل الجماعة في الشور [illegible] قبل التصرف بوضع شيء وعند موافقة الجماعة [illegible] معينة يكلف عند انتهائها بإزالتها وضعه ومن وضع شيء مما ذكرت في السبيل العام دون موافقة الجماعة فعليه غرامة عشرون ريال (٢٠) وبرهة خمسة وتكليفه بنقل ما وضعه في الحال وبالنسبة النشاء [illegible] للقرية ومعيان لا أول في مجرى السيل أمام [illegible] والقير والثاني [illegible] يجبوا رقيبة [illegible] فيكون محسب كل من بقوعه الجماعة [illegible] لا تسبب ضرر على أحد ولا على الخلع أو تنزيله المواد في مجرى السيل أما [illegible] السيل القرو على النائب أو من ينوب عنه مراقبة [illegible] وعدم السماح لأحد مستقبلاً بوضع شيئاً مما ذكر فيها وتكليف من سبق أن [illegible] السيل بشيء [illegible] ومن [illegible] عليه أنه صب [illegible] أو ترك [illegible] بالسبيل أو في غير [illegible] فعليه غرامة خمسة ريال (٥) للمرة الأولى وعشرة ريال للمرة الثانية وإن تكرر منه ذلك تعطي النائب [illegible] ومن ينوب عنه إبلاغ المسئولين في الحكومة بذلك وطلب معاقبت المعتدي

١٤- العمرات التي يتخلف عنه من أهل العلاية بها شيء وراء [illegible] وتهم أو [illegible] قطعها [illegible] كان الحق له وعليه

١٥- المتملك من حل به كما رشه من الكرا و [illegible] ثلاث مرات [illegible]

١٦- التعدي والتعرض في تعدي على رفيقه بقرانه أو يده في الزرع أو الحطب والحرم الشرعي أو تشنيع وحطب في ماله أو [illegible] عليه بكلام أو شتم [illegible] ثلاث مرات في حيئه ومن ضربه وعود [illegible] وتعدل في عرضه [illegible] مواشي [illegible] ثلاثة أهل العلاية وما اشكل فالشرع

١٧- الشك [illegible] من رأى الجماعة [illegible] على الجماعة [illegible] الأمور [illegible] لمواقفه في حينه وإذا اصر على [illegible] الجماعة [illegible] من الجماعة ويتصرف [illegible] الأمور

١٨- في حال [illegible] وجود نائب لأهل العلاية تعطى قبلة الوسط القيام بتنفيذ جميع ما تحتويه هذه القاعدة وعلى الجميع مساعدتهم [illegible] بالتنفيذ

١٩- جميع الغرامات السالفة ذكرها من هذا القاعدة تقسمها للنائب والنصف الثاني لقبيلة ومن حالة عدم وجود نائب تعطى لقبيل الوسط الذي يقوم مقام النائب والنصف الثاني للجماعة والذي يخطئ أحد قبيل الوسط [illegible] فله النائب غرامة [illegible] خمسون ريال (٥٠) ويكون قبل النائب على غرامتنا هذا جماعة أهل العلاية [illegible] ومن آل مسعود [illegible] ومن آل صالح [illegible] عبد الله أحمد [illegible]

٢٠- تحل هذه القاعدة محل ما سبقها وتعتبر نافذة جميع ما سبقه وما يصدر فرعيه من المواقف والعادات والقواعد السابقة

٢١- من حاول اخفاء هذه القاعدة أو تغيير حرفاً أو حذف منها أو شقها [illegible] أهل العلاية فعليه غرامة مائة ريال (١٠٠) وبرهة عشرة في [illegible] (٢٢) تحمل هذه القاعدة من اربع صور تسلم لقبلا الغانبة (٢) [illegible] النائب (١) [illegible] (٢) [illegible] وترتيبها مع الموقعين عليها [illegible] والله تعالى أن يؤلف القلوب وأن يلين جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه أنه نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible] أحمد / سعيد بن عبد الله / سعيد أبين موسى / ابراهيم ابن حسين / عبد الله علي / أحمد علي عواض

لقد حضر لدينا نائب وعيان جماعة العلاية [illegible] تاريخ [illegible] الموافق [illegible]

الوثيقة رقم (٢)

النص المطبوع للوثيقة التنظيمية لبلدة العلاية.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ... اهل العلاية ... اهل الملاية في جهة النظام ...

... ذكر ... اهل العلاية ...

... الذي ... اهل ... الحارة ...

... الجمل ... الحوادث ...

[illegible]

الوثيقة رقم (٣)

الوثيقة الملحقة بوثيقة أهل العلاية وهي بدون تاريخ.

واما الجدعين جايزنا اما الذي تعدي في الزرع
او في الجمر او في الشعير او في الحليب بغير شي
او قطع او ما اشبه ذلك فعليه خمسة وافي الزرع
فتدين ~~[illegible]~~ والزرع فترف جايز انه دفن
لطلال النال يحيي بن حسين المتوطن في الدشنا باه
لمنزله زمبر يدلش لاهله

كذلك الزرع اشغرا مرادي وظاهر فاهنا الوكيل
سعيد امنا صلوح في يلف ما بيه الدخيل الى الوكيل من جهة تلزمه في الصورد الذي
يدمر وهو ناحل فافيه عشرة ريال والحلبية جارحي من دمشق شي واهو ناحل فيه خمسة
ريال والجران الذي يخدوه من بعضنا شي منه الجرامه فاهو مصرح الرفيق الذي بانص على
رالبيقه ما نص فاقطع فاعليه خمسين ريال والكذب رافيه على رافسقه خمسين
والذي يبتني الرجل على خضرته والا شواطيه فاعليه خمسة ريال

الوثيقة رقم (٣)

الوثيقة الملحقة بوثيقة أهل العلاية وهي بدون تاريخ.



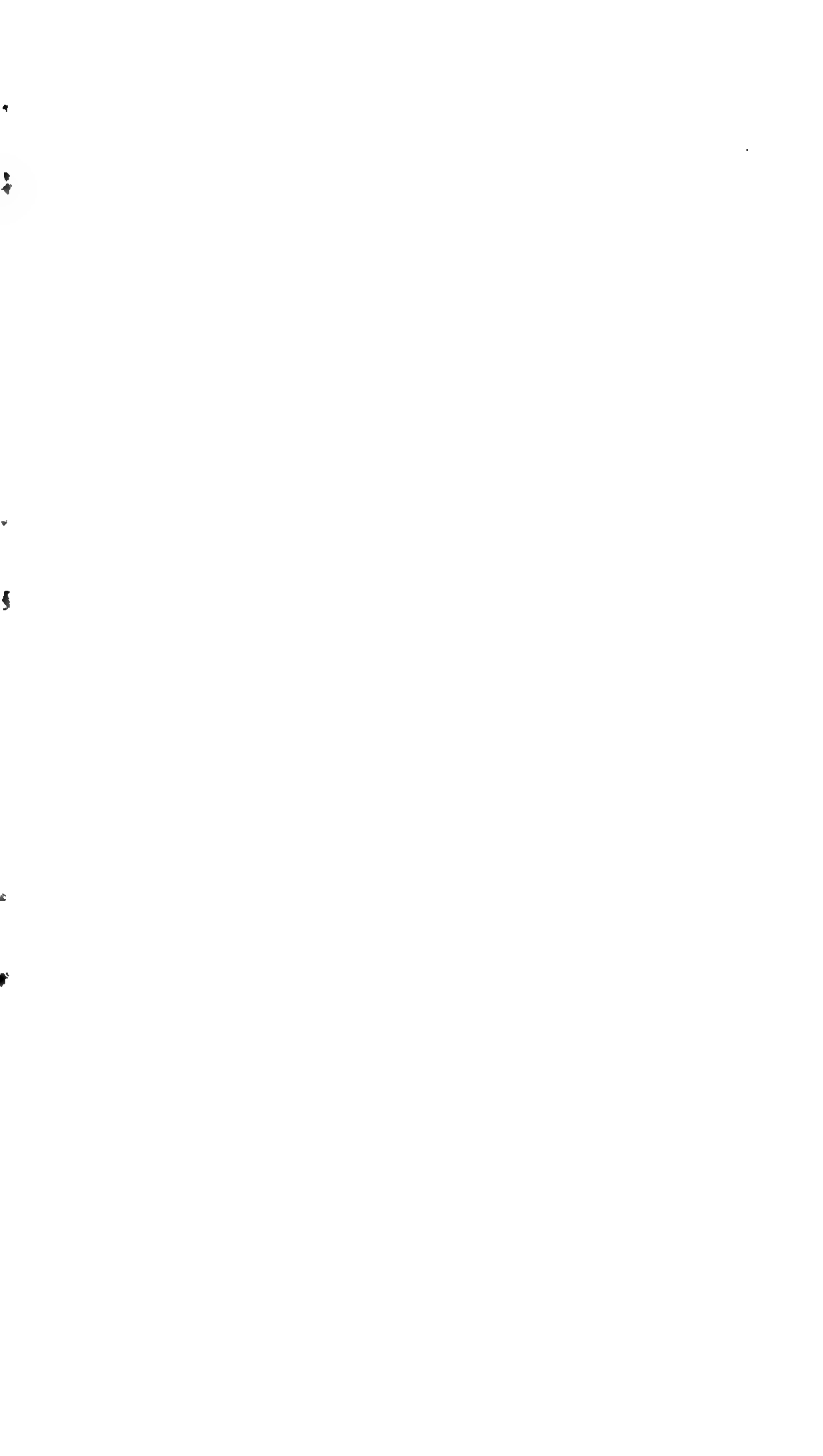
[illegible]

الوثيقة رقم (٤)

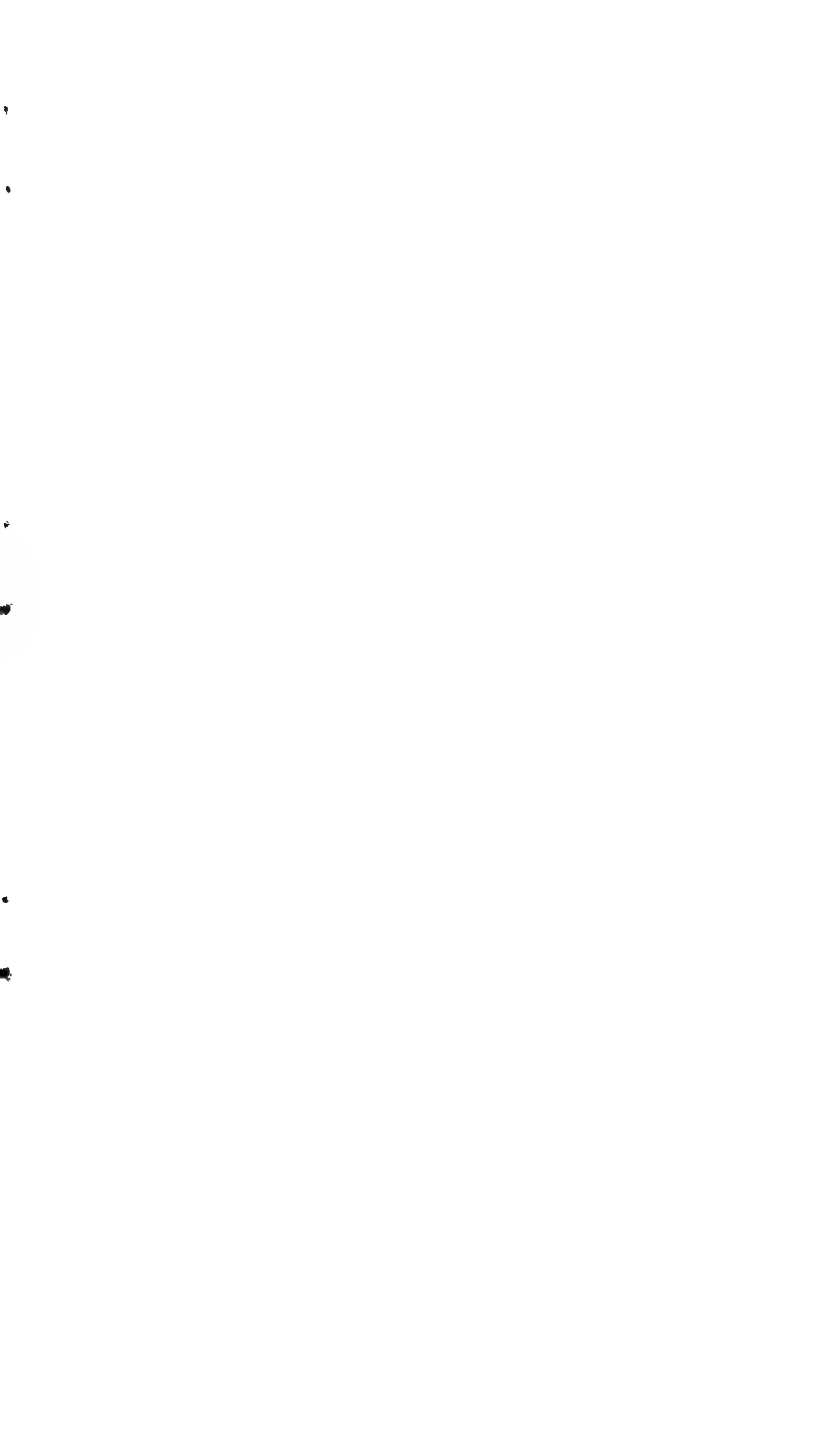
جزء من الصفحة الأولى لوثيقة خطية من وثائق أهل العلاية القديمة.

الوثيقة رقم (٥)

الورقة الأخيرة للوثيقة السابقة من وثائق أهل العلاية القديمة. تاريخ ٧ محرم ١٣٥٩هـ.



المُلحق رَقم ٦
مَلاحق المَوضُوع السادس



الملحق رقم (٦)

ملاحق الموضوع السادس

بيان حصت بلاد الحرير

عبدالله ابن حسن ثلاثة اثمن افراق وستة ونصف — سعد ابن محمود فرق ونصف المد

سعيد ابن محمود فرق وثمنت امداد ونصف

جمعان سبعة امداد ونصف

مسلاد فرق ومد

سعيد ابن عيسان ثمنت افراق

سعد ابن عوضة فرق وصيف الا صفحتين

عوال زين فرق ومد ونصف

سعيد ابن قبيل فرق وصيف ونصف وتسع صفاح

ابن البريكي اربعة امداد

بنت رغوى سبعة امداد وربع

غرام ابن ناجي اربعة امداد ونصف

ابن شيبان صيف

مريح ابن حسين فرقين ومد ونصف صفحتين

شيب ابن دليم سبعة امداد ونصف

مبارك ابن سعيد سبعة امداد ونصف

نوره بنت ريحي سبعة امداد

بطران عبدالله تسعة امداد

محمد بنت محمد اربعة امداد ونصف

سعد ابن مستور اربعة افراق وثمانيه الا ثلاث صفاح

مبارك ابن عون فرقين وصيف واربع صفاح

ظافر ابن محرش فرقين وثمانيه

عبدالله ابن سلطان فرقين وسبعه



جملته ٩ —

الوثيقة رقم (١)

وثيقة تبين ما يملكه كل فرد من الأرض سواء أكان ذكرًا أم أنثى التابعة لبلدة الحرير من آل رشيد من شهران حسب المقاييس المتفق عليها في منطقة عسير.

مد	فرق	بيان طين المقرب
٩	٥	عواض بن مرعي خمسة افراق وستة
٤	٣	مشبب ابن عطيف ثلاثة افراق واربعة
١	٢	سعيد ابن عوض فرقين وحد
٦	٤	فريك اربعة افراق وستة امداد
[illegible]	٢	عبدالله فرقين وسبعة
	٣	علي بن مانع ثلاثة افراق الا مد
٣	٢	عبد ربه ابن ناصر فرقين وثلاثة
٠	٤	سعد ابن عشيه اربعة افراق
٧	٢	سعد ابن عبدالله فرقين وسبعة
١٠	٤	ابن يحيى اربعة افراق وعشرة
١٠	١	حلاص فرقة الا مد
[illegible]	٢	امرأة محمد عشرة امداد
١	٥	حسن ابن يحيى فرقين وعشرة
	١	سعيد ابن يحيى فرقة وحد
٧	١	عوض ابن يحيى فرقة وسبعة
٩	١	عبد ربه ابن معلا فرقة وستة
٨	١	عواد [illegible] فرقة وثمانية
٦	٤	مرعي ابن [illegible] اربعة افراق [illegible]
٠	١	ابن عاد [illegible]
١	٢	[illegible] فرقين وحد
٥	١	عواد ابن [illegible] فرقة وخمسة
٠	٧	عبدالله ابن ناصر سبعة افراق
٥	٢	سالم ابن مسلم فرقين وخمسة
١	٢	ابو [illegible] فرقين وحد
٠	٥	ابن [illegible]

الوثيقة رقم (٢)

ورقة من وثيقة طويلة تبين مقدار ما يملكه كل رجل أو امرأة من الطين حسب المقاييس المتفق عليها في المنطقة.

والوثيقة تعود لقبيلة ذهي من رفيدة. ومقاييس الطين الفَرَق والمدّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه وعلى ناظر عليه بأنه ظهر عندي أنا سعيدان عبد العزيز ابن مشيط اهل العمار بينو دواهم
من صفوف مالتهم وعند ياهم عند الشرع أمهم الصالح فعلوا الصالح فصاروا انا أصلحنا هم
عدوان زربية وادي شهران الطين المدى أربعه وعشرين ذراع وعدوان الغنم ان العشرين
فرق شي ما تين الشاه فعله ويحطه عشرة أفراق بالمدع المذكور أما الدواشي
فتلزم الناقه عشرة وماشيها خمس والجمل عشرة والثور ثمان والبقره وصبيلا عشره
والبقره الذي ماعليها حسيل فهي ثمان والحمار والحايل المعروات من خمس اماطرافه
لأهل بيدها فهي تذرع من أربعه وعشرين ثم يبغا النصف اما قبيلة ما في هذي الورقه
سعيدان فهد وسعيدان عبد الرحمن وسعيدان مانع وسعدان ديلم ومحمد ابن مشب وعبدالله ابن نجيت
وعبدالله بن تركي وعبدالله بن عون ابن ناصر انه ذراع وثلاث وحجة المذكورين أما فن عقوص
بدوان هيس الجابل خيرها نصف الذرع صفا هذا بيان بيد المذكورين وحاظر عند ذلك
سعيدان مبارك وسعدان علمان وسعيدان محمد ابن عقرس وسعدان حميد ومحمد من المسين وانت
على ما نقول شهيد والله خير الشاهدين

[illegible]
سعيدان عبد العزيز
ابن مشيط

الوثيقة رقم (٣)

وثيقة توضح ما يقوم به الفرد من واجبات تجاه جماعته أو ما يُفرض عليه من واجبات أخرى مثل المغازي وغيرها. وذلك حسب ما يملكه من طين أو ماشية.

والوثيقة تخص جماعة من آل رشيد من شهران.

المحتويـــــات

المـلاحـــــق

مطـــــابع الشـــــريف
تلفـون ٤٧٨٥٧٢١/٤٧٨٥٧٨٠

الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة

* دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة كمبردج في بريطانيا.
* ماجستير في التاريخ الحديث من جامعة كنساس بالولايات المتحدة الأمريكية.
* بكالوريوس في التاريخ من جامعة الملك سعود.
* عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود.
* أمين عام الجمعية التاريخية السعودية.
* عضو اللجنة الاستشارية لمكتبة الملك فهد الوطنية سابقًا.
* عضو مؤسس وعضو مجلس الإدارة للجنة العربية للدراسات العثمانية ومقرها تونس.
* شارك في عدد من المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية.
* له عدد من البحوث المنشورة في مجلات علمية متخصصة باللغتين العربية والإنجليزية.
* له مشاركات في الكتابة للصحافة المحلية في شئون وقضايا وطنية.
* له عدة أعمال في مجال تخصصه جاهزة للطبع.

